الإيضاح

في علوم البلاغة

للخطيب القزويني المتوفى عام ٧٣٩ هـ

شرح وتعليق وتنقيح

د. محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ والعميد بجامعة الأزهر

الجزء الخامس

دار الجيل

بيروت

الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الكلمــــة الأولى

هــذا هو الجزء الخامس من شرحى على الايضــاح فى علوم البــلاغة .

وانى لأوجه الشـــكر الى جميع اخوانى وزملائى الذين أولوه حسن القبول وشجعونى على الاستمرار فى اخراج هذا الشرح الجديد.

وأضرع اليه تعالى أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم .

وما توفيقى الا باللــه عليه توكلت واليه أنيب .

محمد عبد المنعم خفاجى
أستاذ بكلية اللغة العربية

القول فى الحقيقة والمجاز (١)

وقد يقيدان باللغويين (٢) :

الحقيقة (٣) : الكلمة (٤) المستعملة فيما وضعت له (٥) فى اصطلاح به التخاطب (٦) .

---

(١) هذا هو المقصد الثانى من مقاصد علم البيان ، والمقصود الاول هو التشبيه ، والثالث الكناية .

والمقصود الأصلى بالنظر الى علم البيان هو المجاز اذ به يتاتى اختلاف الطرق — التى يؤدى بها المعنى المراد — وضوحا وخفاء . اما الحقيقة فليست بمقصودة اصلية بالنظر الى علم البيان ، لأنه لا يتاتى فيها اختلاف الطرق التى يؤدى بها المعنى المراد فى الوضوح والخفاء ، لعدم التفاوت فيها : اما الكناية فكالمجاز يتاتى بها اختلاف الطرق وضوحا وخفاء .

ولكن لما كانت الحقيقة كالأصل للمجاز ، اذ الاستعمال فى غير ما وضع له فرع الاستعمال فيما وضع له غالبا . اذ الغالب ان كل مجاز يتفرع عن حقيقة — جرت العادة بالبحث عن الحقيقة اولا .

(٢) اى ليتميزا عن الحقيقة والمجاز العقليين اللذين هما فى الاسناد ، والاكثر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم انه مقابل للشرعى والعرف فيخرجان بالتقييد مع ان القصد ادخالهما .

(٣) راجع ١٥١ و ١٥٢ من المفتاح ، ٣٠٢ وما بعدها من الاسرار .

والحقيقة فى اللغة وصف بزنة فعيل : بمعنى فاعل من حق الشىء اذا ثبت ، أو بمعنى مفعول من حققته اذا اثبته : نقل ذلك اللفظ من الوصفية الى كونه اسما للكلمة الثابتة أو المثبتة فى مكانها الأصلى ، والمراد بمكانها الاصلى معناها الذى وضعت له أولا .

والتاء فيها للنقل — اى للدلالة على نقل تلك الكلمة من الوصفية الى الاسمية لان التاء تدل اصلها على معنى فرعى هو التانيث ثم دخلت هنا على الكلمة المنقولة من الوصفية للاسمية اشعارا بفرعية الاسمية فيها كما كانت فيها اشعارا بالتانيث ، فالتاء الموجودة فى الوصف بعد النقل غير الموجودة فيه قبل النقل — فالتاء هنا للنقل من الوصفية الى الاسمية ، وليست التاء للتانيث باعتبار ان الحقيقة اسم للكلمة بدليل انه يقال لفظ حقيقة ولو اعتبر كونها للتانيث حذفت .

فقولنـــا « المستعملة » احتراز عما لم يستعمل ، فان الكلمة قبل الاستعمال (٧) لا تسمى حقيقة (٨) .

وقولنـــا « فيما وضعت له » احتراز عن شيئين :

أحدهما ما استعمل فى غير ما وضعت له غلطا ، كما اذا أردت أن تقول لصـــاحبك « خـــذ هـــذا الكتاب » مشـــيرا الى كتاب بين يديك فغلطت فقلت خذ هذا الفرس (٩) .

والثانى أحد قسمى المجاز ، وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعا له الا فى اصـــطلاح به التخاطب ولا فى غيره كلفظة الأســـد فى الرجل

---

(٤) الاولى ابدال الكلمة باللفظ ليشـــمل المفرد والمركب . وقد يقال ان المركب وان كان موضوعا باعتبار الهيئة التركيبية على التحقيق ، لكنه لا يطلق عليه حقيقة ، وان سلم اطلاقها عليه فيقال هذا تعريف بحسب الغالب و « الكلمة » جنس فى التعريف .

(٥) اى المســـتعملة فى معنى وضـــعت تلك الكلمة له . وقـــوله « المستعملة » فصل وقوله « وضعت له » قيـــد .

(٦) اى وضعت له اصطلاح به — اى بســـببه — يقع التخاطب بالكلام المشتمل على تلك الكلمة .

فالمراد بالتخاطب التكلم بالكلام المشتمل على تلك الكلمة . والمراد بوضع الكلمة لذلك المعنى فى الاصطلاح ان يظهر ذلك على السنة اهل ذلك الاصطلاح بحيث يطلقون اللفظ على ذلك المعنى اطلاقا كثيرا حتى صـــار حقيقة فيـــه .

(٧) اى وبعـــد الوضع .

(٨) كما لا تسمى مجازا .

(٩) فاللفظ فيه مستعمل فى غير ما وضع له فهو ليس حقيقة ولا مجازا والغلط الخارج هنا هو المتعلق باللسان ، اما المتعلق بالقلب فهو حقيقة او مجـــازا .

الشجاع (١٠) .

وقولنا فى « اصطلاح به التخاطب » احتراز عن القسم الآخر من المجاز ، وهو ما استعمل فيما وضع له لا فى اصطلاح به التخاطب ، كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب (١١) بعرف الشرع فى الدعاء مجازا (١٢) .

---

(١٠) فان استعماله فيه لم يكن استعمالا فيما وضع له باعتبار اصطلاح التخاطب ولا باعتبار غيره اما المجاز على بعض الاصطلاحات دون بعض فهو خارج بالقيد الآتى ، والكذب يخرج ايضا بهذا القيد « فيما وضعت له » كما اذا قيل للحجر هذا ماء بتعمد الكذب وبدون ملاحظة علاقة وقرينة والكناية ان قلنا انها مجاز خرجت ايضا بهذا القيد وان قلنا هى حقيقة فلا تخرج وقيل هى لا حقيقة ولا مجاز فهى خارجة عن حديهما .

فالاستعارة وان كانت موضوعة بالتاويل — وهو كما ياتى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به وكونه فردا من افراده — الا ان المفهوم من اطلاق الوضع انما هو الوضع بالتحقيق ، اى الذى لا تاويل فيه وهذا القدر غير موجود فى الاستعارة .

(١١) اى المتكلم بكسر الطاء .

ملاحظة : الظرف اعنى « فى اصطلاح » متعلق بقوله « وضعت » ، وتعلقه بـ « المستعملة » على ما توهمه البعض ليس له معنى صحيح لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى : اما من جهة اللفظ فلانه لا يجوز تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد ، واما من جهة المعنى فلان المعهود كون الاصطلاح ظرفا للوضع او سببا له ، لا للاستعمال اذ لا معنى لقولك : نطق اى « استعمل » فلان بهذا اللفظ فى اصطلاحهم لان النطق ليس معه اصطلاح على وضع المنطوق به ، وايضا ان علق فى الاصطلاح بالمستعملة بقى الوضع عاما فيدخل فيه المجاز لانه مستعمل فى اصطلاح التخاطب فيما وضع له لكن فى اصطلاح آخر .

(١٢) فهى اذا مجاز لاستعمال المخاطب (اى المتكلم) لذلك اللفظ فى غير ما وضع اللفظ له الشرع اعنى الاركان المخصوصة له .

والوضع [١٣] تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه [١٤] . فقولنا « بنفسه » احتراز من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة ، أعنى المجاز [١٥] فان ذلك التعيين لا يسمى وضعا ، ودخل المشترك [١٦] فى

---

(١٣) راجع ١٥٢ من المفتاح . وقد عرف الوضع لاخذه فى تعريف الحقيقة والمجاز . والمراد وضع اللفظ لا الوضع المطلق الذى هو تعيين الشىء للدلالة على معنى بنفسه سواء كان ذلك الشىء لفظا أو غيره والمراد وضع اللفظ المفرد اذ وضعه شخصى لا ما يشمل المركب لأن وضعه نوعى على القول بأنه موضوع ، والمراد باللفظ المفرد والمركب بصرف النظر عن الموضوع .

(١٤) اى ليدل بنفسه لا بقرينة تنضم اليه وتكون محصلة للدلالة على المعنى ، اى بان لا يكون هناك قرينة اصلا ، او كان هناك قرينة غير محصلة للدلالة على المعنى بل معينة للمراد عند مزاحمة المعانى كما فى المشترك .. معنى الدلالة بنفسه ان يكون العلم بالتعيين كافيا فى فهم المعنى عند اطلاق اللفظ ، اى عند ذكره مطلقا من القرائن المذكورة ، وهذا شامل لوضع الحرف ، لانا نفهم معانى الحروف عند اطلاقها بعد علمنا باوضاعها ، الا ان معانيها ليست تامة فى انفسها اى ليست مستقلة بالمفهومية بل هى معان جزئية ، تحتاج الى الغير ، وهو المتعلق مع الحروف لفهم تلك المعانى الجزئية ، بخلاف الاسم والفعل ، فان المعنى الذى يستعمل فيه كل منهما تام فى نفسه . نعم لا يكون تعريف الوضع شاملا لوضع الحرف عند ابن الحاجب الذى يجعل معنى قولهم « الحرف ما دل على معنى فى غيره » انه مشروط فى دلالته على معناه الافرادى ذكر متعلقه ، ففى عنده للسببية وعلى الاول للظرفية ، فعلى الاول يدل بنفسه ، وعلى الثانى بضميمة غيره .

(١٥) فقد خرج المجاز عن ان يكون موضوعا بالنسبة الى معناه المجازى وان كان موضوعا بالنسبة لمعناه الحقيقى ، اى فخرج تعيين المجاز ومثله تعيين الكناية بناء على انها غير حقيقة لان كلا من المجاز والكناية يدل على المعنى بالقرينة .

(١٦) راجع ١٥٢ مفتاح ، ١٤٣ اسرار . والمشترك هو ما وضع لاكثر من معنى وضعا متعددا سواء اتحد الواضع او تعدد ، فالمشترك لم يخرج عن حد الحقيقة فهو حقيقة ولو استعمل فى معنييه بناء على جوازه وقيل هو فى هذه الحالة مجاز . فالمشترك قد عين للدلالة على كل =

الحد لأن عدم دلالته على أحد معنييـــه بلا قرينـــة لعارض — أعنى الاشتراك — لا ينافى تعيينه للدلالة عليه بنفسه ، وذهب السكاكى (١٧) الى أن المشترك كالقرء معناه الحقيقى هو مالا يتجاوز معنييه كالطهر والحيض غـير مجموع بينهما ، قال فهـذا ما يدل عليه بنفسه مادام منتسبا الى الوضعين (١٨) ، أما اذا خصصته بواحد ، اما صريحا مثل أن تقول القرء بمعنى الطهر ، واما استلزاما مثل أن تقول القرء لا بمعنى الحيض ، فانه حينئذ ينتصب دليلا دالا بنفسه على الطهر بالتعيين ،

= من المعنيين بنفسه وعدم فهم أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافى ذلك ، فقرينة المشـــترك انما هى لتعيين المراد بخلاف المجاز فان قرينته محتاج اليها فى نفس الدلالة على المعنى المجازى . فالقرء مثلا عين مرة للدلالة على الطهر بنفسه ومرة اخرى للدلالة على الحيض بنفسه ، فيكون المشترك موضوعا بالتعيين فالمجاز والمشترك كل منهما محتاج لقرينة وقت الاستعمال ، والفرق بينهما ان القرينة ملاحظة حين الوضع ايضـــا فى المجاز دون المشترك فقرينته انما هى لتعيين المراد وفهمه ؛ هذا ويلاحظ ان القرينة فى الكناية كالمجاز من جملة الدال ، الا انها مانعة فى المجـــاز دون الكناية . والكناية لفظ استعمل فى لازم معناه الموضوع له معجوازارادة الملزوم وهذا عند المصنف أما السكاكى فيرى انها لفظ استعمل فى معناه مرادا مثل لازم ذلك المعنى ، فهى عنده حقيقة لاستعمال اللفظ فى معنـــاه وان اريد منه لازم ذلك المعنى ؛ واما عند المصنف فهى وسط بين الحقيقة والمجـــاز .

(١٧) ١٥٢ و ١٥٣ من المفتاح .

(١٨) يريد السكاكى انه عند الاطلاق صالح لكل منهما ، فهو عنـــد الاطلاق يدل بنفسه على معناه الذى هو احدهما ؛ فهو عند عدم القرينة يدل على واحد مبهم من معنييه او معانيه ، وعند وجودها يدل بنفسه على المعين ولا مدخل للقرينة فى الدلالة . اما الجمهور فيقولون ان وجدت قرينة دالة على العموم دل المشترك على العموم ، وكذلك ان لم توجد قرينـــة مطلقا ، وان وجدت قرينة معينة فالمشترك يدل على هذا المعين بواسطة القرينة ، بخلاف السكاكى فهو يرى ان المشترك لا يحتاج الى قرينة مطلقا فى الدلالة .

كما كان الواضع عينه بازائه بنفسه ، ثم قال فى موضع آخر (١٩) : « وأما ما يظن بالمشترك من الاحتياج الى القرينة فى دلالته على ما هو معناه فقد عرفت أن منشأ هذا الظن (عدم تحصيل معنى المشترك الدائر بين الوضعين » .

وفيما ذكره نظر :

لأنا لا نسلم ان معناه الحقيقى ذلك ، وما الدليل على أنه عند الاطلاق يدل عليه ، ثم قوله : اذا قيل : القرء بمعنى الطهر ، أو لابمعنى الحيض فهو دال بنفسه على الطهر بالتعيين ، سهو ظاهر ، فان القرينة كما تكون معنوية تكون لفظية ، وكل من : قوله « بمعنى الطهر » وقوله « لا بمعنى الحيض » قرينة (٢٠) .

وقيل (٢١) : دلالة اللفظ على معناه لذاته (٢٢) وهو ظاهر الفساد:

---

(١٩) راجع ص ١٠٣ من المفتاح .

(٢٠) فى ابن السبكى أن السكاكى لا يريد الا ان ذلك ليس قرينة لدلالة اللفظ على المعنى بل لتعيين دلالته على احد معنييه .

ملاحظات :

١ — المشترك يدل بنفسه على احد معنييه لا بعينه ، فهو لا يدل بنفسه عليه بل بالقرينة .

٢ — الحرف موضوع لمفهوم كلى ولا يستعمل الا فى جزئى من جزئيات هذا المفهوم فهو يدل بنفسه على ما وضع له من المفهوم وذكر المتعلق لفهم الجزئى .

(٢١) راجع ١٥٢ من المفتاح .

(٢٢) هو قول عباد بن سليمان الصيمرى الذى ذهب الى ان دلالة الالفاظ على معانيها لا تحتاج الى الوضع والتعيين ، بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية اى ذاتية تقتضى دلالة كل لفظ على معناه لذاته ، فذهب الجمهور الى أن هذا القول فاسد مادام محمولا على ما يفهم منه ظاهرا ، لأن دلالة اللفظ على المعنى لو كانت لذاته كدلالته على وجود اللافظ — فان هذه الدلالة لذات اللفظ لانها عقلية لا تنفك اصلا — لوجب أن لا تختلف =

لاقتضائه أن يمنع نقله الى المجاز ، وجعله علما ، ووضعه للمتضادين كالجون للاسود والأبيض فان ما بالذات لا يزول بالغير ، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم .

وتأوله (٢٣) السكاكى رحمه الله على أنه تنبيه على ما عليه أئمة علمى الاشتقاق والتصريف (٢٤) من أن للحروف فى أنفسها خواص بها

= اللغات فى معنى اللفظ الواحد باختلاف الامم ، وان يفهم كل احد معنى كل لفظ لعدم انفكاك المدلول عن الدليل ، ولامتنع أن يجعل اللفظ بواسطة القرينة بحيث يدل على المعنى المجازى دون الحقيقى لان ما بالذات لا يزول بالغير ، ولامتنع نقله من معنى الى معنى آخر بحيث لا يفهم منه عند الاطلاق الا المعنى الثانى .

والحقيقة على مذهب الضيمرى ليست هى الكلمة المستعملة فيما وضعت له اذ لا وضع على هذا المذهب ، وانما هى الكلمة المستعملة فى معنى تناسبه بتكوينها وتاليفها . وكذلك المجاز كلمة مستعملة فى معنى يناسب معناها الذى تدل عليه بتاليفها الخاص فلا دلالة على المعنى المجازى بتاليفها وانما تدل عليه بالقرينة والعلاقة .

والردود التى رد بها الخطيب هذا المذهب قابلة للجدل العقلى . ولعل اخصر رد ان المناسبة ليست مطردة وفهم المعنى من اللفظ لهذه المناسبة اذا وجدت غير مطرد لانها قد تخفى .

(٢٣) راجع ١٥٢ مفتاح — اى تاول القول بدلالة اللفظ لذاته — اى صرفه عن ظاهره فقال معنى قوله « يدل لذاته » ان فيه وصفا ذاتيا يناسب ان يوضع بسببه لمعنى دون آخر لا ان المناسبة بسببها يدل اللفظ على المعنى بدون الوضع كما هو ظاهر ، وهذا التاويل خلاف ما صح نقله عن عباد .

(٢٤) علم الاشتقاق علم يبحث عن مفردات الألفاظ من حيث انتسابها بعضها الى بعض بالاصالة والفرعية وعلم التصريف علم يبحث عن مفردات الالفاظ من حيث اصالة حروفها وزيادتها وصحتها واعتلالها وهيئتها .

تختلف كالجهر (٢٥) ، والهمس (٢٦) ، والشدة (٢٧) ، والرخاوة (٢٨) ، والتوسط بينهما ، وغير ذلك (٢٩) ، مستدعية أن العالم بها اذا أخذ فى تعيين شىء (٣٠) منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما (٣١) ، قضاء لحق الحكمة كالفصم بالفاء الذى حرف رخو لكسر الشىء من غير أن يبين (٣٢) ، والقصم بالقاف الذى هو حرف شديد لكسر الشىء حتى يبين ، وان للتركيبات (٣٣) كالفعلان والفعلى بالتحريك (٣٤) كالنزوان والحيدى وفعل مثل شرف (٣٥) وغير ذلك خواص أيضا ، فيلزم فيها ما يلزم فى الحروف ، وفى ذلك نوع تأثير لأنفس الكلم فى اختصاصها بالمعانى .

---

(٢٥) هو خروج الحرف بصــوت قوى . وحروفه ما عدا حروف الهمس .

(٢٦) هو خروج الحرف بصوت غير قوى ، وحروفه (سكت فحثه شخص) .

(٢٧) هو انحصار صوت الحروف عند اسكانه فى مخرجه انحصارا تاما .

(٢٨) هو عدم انحصار الحروف عند اسكانه فى مخرجه .

(٢٩) كالاستعلاء والاستفال والتصحيح والاعلال .

(٣٠) أى فى وضع لفظ مركب منها .

(٣١) أى بين الحروف والمعنى .

(٣٢) أى ينفصل .

(٣٣) أى لهيآت تراكيب الحروف .

(٣٤) لمـا فيه حركة .

(٣٥) للافعال الطبيعية اللازمة .

المجاز (١) :

والمجاز مفرد ومركب :

المجــاز المفرد

أما المفرد فهو الكلمة (٢) المســتعملة فى غير ما وضــعت له فى اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم ارادته .

فقولنا « المستعملة (٣) » احتراز عما لم يستعمل لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازا كما لا تسمى حقيقة .

وقولنا فى اصطلاح به التخاطب (٤) ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة

---

(١) راجع ١٥٣ مفتــاح ، ٣٠٤ وما بعدها و ٣٤٣ و ٣٤٤ اسرار البلاغة .

(٢) « الكلمة » جنس .

(٣) فصل احترز به عن الكلمة قبل الاستعمال وبعد الوضع فليست بمجاز ولا حقيقة . وقوله « فى غير ما وضــعت له » اى فى معنى مغاير للمعنى الذى وضعت الكلمة له فصل آخر احترز به عن الحقيقة ، مرتجلا كان او منقولا او غيرها كالمشتقات . ويرد عليه انه ان اريد الوضــع الشخصى خرج عن التعريف التجوز فيما هو موضوع لمعناه الاصلى بالنوع كالمشتقات وان اريد الوضع النوعى خرج التجوز فيما كان الوضع فيــه لمعناه الاصلى شخصيا كالاسد وان اريد ما هو اعم من الشخصى والنوعى لم يشمل شيئا من افراد المجاز الا ان يجاب بان المراد الوضعان ويرتكب التوزيع اى فى غير ما وضعت وضعا شخصــيا فى الموضوعة بالوضــع الشخصى وفى غير ما وضعت له وضعا نوعيا فى الموضوعة بالوضع النوعى .

(٤) هذا قيد فى الفصل للادخال لا للاخراج . فالجنس لا يخرج به ، والفصل للاخراج ، وقيد الفصل للادخال .

وقوله « فى اصطلاح به التخاطب » متعلق بقوله « وضعت » والمراد بذلك كونه موضوعا له فى ذلك الاصطلاح ســواء حدث الوضع فى ذلك أولا .

اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازا فانه وان كان مستعملا فيما وضع له فى الجملة (٥) فليس بمستعمل فيما وضع له فى الاصطلاح الذى به وقع التخاطب (٦) .

وقولنا « على وجه يصح (٧) » احتراز عن الغلط كما سبق وقولنا « مع قرينة عدم ارادته » (٨) احتراز عن الكناية كما تقدم .

---

(٥) اى فى بعض الاصطلاحات وهو اللغة .

(٦) وهو الشرع فهو مجاز شرعى بمقتضى اصطلاح الشرع وان كان حقيقة لغوية بمقتضى اصطلاح اللغة ، وقيد « فى اصطلاح به التخاطب » ايضا يخرج من تعريف المجاز ما يكون له معنى آخر باصطلاح آخر الذى هو من افراد الحقيقة كلفظ الصلاة المستعملة بحسب الشرع فى الاركان المخصوصة فانه يصدق عليه انه كلمة مستعملة فى غير ما وضعت له لكن بحسب اصطلاح آخر وهو اللغة لا بحسب اصطلاح التخاطب وهو الشرع فلذا لا تكون مجازا .

(٧) متعلق بالمستعملة وهو فصل يخرج به الغلط فلا بد فى المجاز من ملاحظة العلاقة ليكون الاستعمال على وجه يصح والغلط الذى يخرج بذلك هو اللسانى اما الغلط فى الاعتقاد فتارة يكون حقيقة وتارة يكون مجازا .

(٨) اى حال كون تلك الكلمة المستعملة فى الغير مصاحبة لقرينة فقرينة المجاز مانعة من ارادة الاصل واشتراط القرينة المذكورة فى المجاز واخراج الكناية بها انما هو عند من لم يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز كالبيانيين اما من جوزه كالاصوليين فلا يشترط فى القرينة ان تكون مانعة فعندهم يجب اسقاط هذا القيد من التعريف واذا سقط دخلت الكناية .

وقوله مع عدم ارادته اى ارادة الموضوع له وضعا حقيقيا .

ملاحظات :

١ — ملاك الامر ان المجاز لا يتقيد الا بوجود علاقة (ارتباط بين الانتقال من المعنى الحقيقى الى المجازى) وان يكون موافقا لعرف البلغاء ومناسبا لذوق البيئة وان يعتمد على قرينة مانعة .

٢ — البيانيون يوجبون فى القرينة أن تكون مانعة من ارادة المعنى الحقيقى ومقارنة للمجاز ، بخلاف الأصوليين فقد اجازوا ان تكون غير مانعة كما اجازوا الا تقارن المجاز حيث يجيزون تأخير البيان لوقت الحاجة —

والحقيقة (٩) لغوية وشرعية وعرفية خاصة (١٠) أو عامة (١١) ، لأن واضعها ان كان واضـع اللغة فلغوية ، وان كان الشـارع فشرعية ، والا فعرفية ، والعرفية ان تعين صـاحبها نسـبت اليه كقولنا كلامية ونحوية ، والا بقيت مطلقة . مثال اللغوية : لفظ أسـد اذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى السبع المخصوص ، ومثال الشرعية لفظ صلاة اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى العبادة المخصوصة ، ومثـال العرفية الخاصة لفظ فعل اذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الكلمة المخصوصة ، ومثال العرفية العامة لفظ « دابة » اذا استعمله المخاطب

= اما كون القرينة معينة للمراد فلم يشترطه جمهور البيانيين واشـتراطه عصام الدين .

٣ — القرينة اما لفظية او حالية ، وقـد تكون امرا واحدا او امورا كل واحد منها يصلح ان يكون قرينة ، او مجموع امور كلها قرينة واحدة .

٤ — القرينة المـانعة واشتراطها فى المجاز لاخراج الكناية بنـاء على انها واسطة لاحقيقة ولامجاز لان الكناية الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له مع جواز ارادة ما وضعت له اى بان لا ينصـب المستعمل قرينة على انتفائه ، فالكناية لفظ استعمل فى لازم الموضوع له مع جواز ارادة الملزوم ومجرد جواز ارادة الملزوم لا يوجب كون اللفظ مستعملا فيه .

ويرى السبكى عكس هذا وهو ان الكناية اريد بها موضوعها استعمالا واريد لازمه افادة فهى موضوعة لان اللفظ عين فيها للدلالة على معنـاه الذى هو موضوع اللفظ بنفسه وكونها دالة على لازم ذلك المعنى بقرينـة حالية كدلالة طويل النجاد على طول القامة يحتاج لقرينة لكن ذلك ليس المعنى الذى استعملت الكلمة فيه .

٥ — اطوار كلمة الحقيقة هى : حقيقة وصفا للمؤنث فى نحو قولهم هى المراة حقيقة بالحصانة ، ثم حقيقة مستعملة استعمال الاسـماء فى نحو قولهم هو يدافع عن الحقيقة ، ثم الحقيقة البيانية .

(٩) ١٥٣ مفتـاح .

(١٠) اى يكون ناقله من المعنى اللغوى طائفة مخصوصة من الناس منسوبين لحرفة كالنحويين والصرفيين وغير ذلك .

(١١) وهى ما لا يتعين ناقلها بطائفة مخصوصة وان كان معينا فى نفس الامر .

بالعرف العام فى ذى الأربع (١٢) .

وكذلك المجاز المفرد (١٣) : لغوى وشرعى وعرفى ، مثال اللغوى لفظأسد اذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى الرجل الشجاع ، ومثال الشرعى لفظ صلاة اذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء ، ومثال العرف الخاص لفظ فعل اذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الحديث، ومثال العرف العام لفظ دابة اذا استعمله المخاطب بالعرف العام فى الشاة . والحقيقة (١٤) اما فعيل بمعنى مفعول ، من قولك حققت الشيء أحقه اذا أثبته ، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك حق الشيء اذا ثبت ، أى المثبتة أو الثابتة فى موضعها الأصلى ، فأما التاء فقال صاحب المفتاح: هى عندى للتأنيث فى الوجهين ، لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجراة على الموصوف (١٥) وهو الكلمة ، وفيه نظر (١٦) ، وقيل : هى لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية الصرفة كما قيل فى أكيلة ونطيحة ان التاء فيهما لنقلهما من الوصفية الى الاسمية ، فلذلك لا يوصف بهما فلا يقال شاة أكيلة أو نطيحة .

---

(١٢) اى فى ذى القوائم الاربع المعهودة وهى الحمار والبغل والفرس.

(١٣) ص ١٥٣ مفتاح . هذا واما المجاز فلان الاصطلاح الذى به وقع التخاطب وكان اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له فى ذلك الاصطلاح ان كان هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوى وان كان اصطلاح الشرع فشرعى والا فعرفى عام او خاص .

(فهذه الاقسام بالنسبة الى الحقيقة تعتبر بالقياس الى الواضع) (واما فى المجاز فباعتبار الاصطلاح الذى وقع الاستعمال فيه فى غير ما وضع له) .

وهذه الاقسام فى غير الاعلام الشخصية ، فقد اخرجها بعض العلماء من الحقيقة والمجاز ، والمعقول ان تكون من الحقيقة ولا مانع ان نقول هى حقيقة شخصية .

(١٤) ص ١٥٣ مفتاح .

(١٥) لانها فى هذه الحالة يصح الحاق التاء بها اذا كانت من فعيل بمعنى مفعول .

(١٦) لانه يجوز ان يقال هذا اللفظ حقيقة ولو كانت للتانيث لم يجز.

والمجاز (١٧) قيل مفعل (١٨) من جاز المكان يجوز اذا تعداه (١٩) أى تعـدت موضعها الأصـلى ، وفيه نظر ، والظاهر (٢٠) أنه من قولهم جعلت كذا مجازا الى حاجتى أى طريقا له على أن معنى جاز المكان : سلكه ، على ما فسره الجوهرى وغيره فان المجاز طريق الى تصـور معناه واعتبار التناسب فى التسمية يغاير اعتبار المعنى فى الوصف ، كتسمية انسان له حمرة بأحمر ، ووصفه بأحمر ، فان الأول لترجيح الاسم على غيره حال وضعه (٢١) « له والثانى لصحة اطلاقه ، فلا يصح

---

(١٧) ص ٣٤٢ اسرار ، ١٥٤ مفتاح .

(١٨) اى باعتبار اصله مصدرا ميميا على هذا الوزن .

(١٩) فهى مشتقة من جاز يجوز ، ويصح ان تكون من الجواز على ان المصدر هو الاصل كما عليه البصريون فقـد نقل المجاز الى الكلمة الجائزة اى المتعدية مكانها الاصلى او المجوز بها على معنى انهم جازوا بها وعدوها مكانها الأصـلى ، فهو فى الاصـل مصدر بمعنى الجواز والتعدية ثم نقل فى الاصطلاح من المصدرية الى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له باعتبار انها جائزة مكانها الاصلى او مجوز بها فيكون اسـم فاعل واسم مفعـول .

(٢٠) حاصله ان لفظ مجاز فى الاصل مصدر ميمى بمعنى مكان الجواز والسلوك وهو نفس الطريق ثم نقل فى الاصطلاح الى الكلمة الخ باعتبار كونها طريقا الى تصور المعنى المراد منها فالحاصل ان المصنف وعبد القاهر اتفقا على ان لفظ مجاز مصدر ميمى لا يصلح ان يكون المستعمل فى الزمان منقولا هنا لعدم المناسبة ثم اختلفا فقال المصنف المنقول هنا هو المستعمل اسـم مكان وقال عبد القاهر المنقول هنـا هو المستعمل فى الحدث . (المصدر الميمى يصلح للزمان والمكان والحدث) .

وايد المصنف رايه بان استعمال المصدر الميمى فى الحدث بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول مجاز بخلاف استعماله اسم مكان .

(٢١) راجع ص ١٢٧ ج ١ من البيان والتبيين .

والخلاصـة ان نقد الخطيب لراى عبد القاهر من ان المجاز مفعل من جاز المكان يجوزه اذا تعداه خلاصته ان المجاز على هذا يكون مصدرا ميميا واستعمال المصدر الميمى بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول مجاز بخلافه على ما اختاره فانه يكون اسم مكان ولا يحتاج الى ارتكاب هذا التاويل فيه.

نقض الأول بوجود المعنى فى غير المسمى كما يلهج به الضعفاء (٣١) والمجاز ضربان (٣٣) : مرسل (٣٤) واستعارة ، لأن العلاقة المصححة(٣٥)

ملاحظـــات :

١ — خلاصة ما سبق ان كلمة مجاز فى اللغة صالحة للحدث والمكان والزمان ، فلاحظ عبد القاهر انها نقلت من الحدث الى المعنى الفنى . ولاحظ الخطيب انها نقلت من المكان اليه ، واما نقلها من الزمان فلا معنى له .

٢ — التـاء فى الحقيقة قيل انها للنقل ومعنى كونها تاء النقل انهـا علامة على النقل ، وقيل هى علامة على الاسمية التى هى فرع الوصفية وهو الاصح . وقيل انها علامة على الفرعية .

٣ — قيل ان كل مجاز له حقيقة يتفرع منها ، والتحقيق ان هـذا غالبى ، فرحمن استعمل فى المنعم وهو معنى مجازى ولم يستعمل فى المعنى الاصلى وهو رقيق القلب .

٤ — فى الدسوقى (٨٦، ج ١) بحث عن المجاز وهل هو من مقتضى الظاهر او من خلافه .

٥ — العلاقة هى (الامر الذى به الارتباط بين المعنى والمعنى المجازى وبه الانتقال من الاول للثـانى كالمشابهة فى مجاز الاستعارة وكالسـببية فى المرســل) .

والعلاقة المعتبر نوعها لا شخصها ، ولذا صح انشاء المجاز فى كلام المولدين .

وانما اشترط فى المجاز ملاحظة العلاقة بين المعنى المجازى والاصلى ولم يصح اطلاق اللفظ عليه بلا علاقة ويكتفى بالقرينة الدالة على المراد ، لان اطلاق اللفظ على غير معناه الاصلى ونقله له على ان يكون الاول اصلا والثانى فرعا تشريك بين المعنيين فى اللفظ وتفريع لاحد الاطلاقين على الاخر » وذلك يستدعى وجها لتخصيص المعنى الفرعى بالتشريك والتفريع دون سائر المعانى وذلك الوجه هو المناسبة والا فلا حكمة فى التخصيص ويكون تحكما ينافى حسن التصرف فى التأصيل والتفريع .

(٣٢) فعلة التسمية لا يلزم اطرادها او انعكاسـها ، بخلاف علة الوصفية ؛ فعلة التسمية لا توجبها بخلاف علة الوصفية .

(٣٣) راجـع ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٥٠ و ٣٥١ من اسرار البلاغة ؛ ص ١٥٤ من المفتاح .

(٣٤) سمى مرسلا (اى مطلقا) لان الارسال لغة الاطلاق والمجاز الاستعارى مقيد بادعاء ان المشبه من جنس المشبه به المرسل مطلق عن «

ان كانت تشبيه معناه بما هو موضـــوع له فهو استعارة (٣٦) والا فهو مرســـل .

وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال (٣٧) اســـم المشبه به فى المشبه (٣٨) ؛ فيسمى (٣٩) المشبه به مستعارا منه ؛ والمشبه مستعارا له ؛ واللفظ (٣٠) مستعارا .

= هذه الدعوى ؛ وقيل لارساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل ردد بين علاقات بخـــلاف المجاز الاستعارى فهو مقيـــد بعلاقة واحدة هى علاقة المشـــابهة .

(٢٥) اى لاستعمال اللفظ فى غير ما وضع له .

(٢٦) هذا مخالف لاصطلاح عبد القاهر والسكاكى ؛ والتحقيق أن العلاقة اذا كانت المشابهة ولم تقصد المبالغة فلا يكون ذلك استعارة وان قصدت المبالغة كان استعارة .

فعلى هذا الاستعارة هى اللفظ المستعمل فى معنى شـــبه ذلك المعنى المستعمل فيه بالمعنى الأصلى لذلك اللفظ لعلاقة المشابهة كاســـد فى قولنا رايت اسدا يرمى . واطلاق لفظ الاستعارة على اللفظ المستعار من المعنى الاصلى للمعنى المجازى من اطلاق المصدر على المفعول .

(٢٧) اى فعل المتكلم وهو المعنى المصدرى ؛ لا على اللفظ المستعار.

(٢٨) فعلى هذا تكون بمعنى المصدر ؛ فالاستعارة على هذا استعمال اللفظ ؛ وهو توسع ؛ فان المجاز هو اللفظ المستعمل لا الاستعمال ؛ وهذا ليس خاصا بالاستعارة ؛ بل المجاز كذلك ؛ فهو اللفظ المســـتعمل فى غير موضوعه او استعمال اللفظ فى غير ... الخ .

(٢٩) اى فيصح الاشتقاق منها على انها بالمعنى المصدرى ؛ بخلاف اطلاق الاستعارة على نفس اللفظ المستعار ؛ فانه لا يصح منه اشتقاق لأن اســـم المفعول لا يشتق منه .

(٣٠) اى لفظ المشبه به فيسمى مستعارا لانه بمنزلة اللباس الذى استعير من احد فالبس غيره وهو المعنى المشبه ؛ فالتشبيه بين المعـــانى والاستعارة للالفاظ ؛ ففى « رايت اسدا يرمى » المعنى المشبه هو ذات الرجل الشجاع وهو المستعار له ؛ والمعنى المشبه به هو الحيوان المفترس وهو مستعار منه ؛ ولفظ اســـد مستعار ؛ والمتكلم بهذا مستعير .

وعلى الأول لا يشتق منه لكونه اسما للفظ لا للحدث .

ملاحظـــات :

١ — لابد في جميع اقسام المجاز من العلاقة المصححة للانتقال ومرجع العـــلاقة اللزوم وان كان اللزوم قـــد يذكر في بعض الأوقات علاقـــة . وانما كان مرجع العلاقة اللزوم لان مرجع المجاز دلالة التضمين والالتزام، وكل منهما انتقال من الملزوم الى اللازم ؛ الا ترى أن مجازى الاســـتعارة التحقيقية والمكنية يصح أن يردا الى اللازم (راجع ٣/٢٨٦ الدسوقي) .

٢ — المجاز بمرتبتين المراتب :

هو لفظ اريد به معنى لم يوضع له مع وجود واسطة أو وسائط بين المعنى الحقيقي وبينه ولم يلاحظ صحة استعمال اللفظ في الواسطة أو في الوسائط . وذلك مثل « وانزلنـــا عليكم لباســـا يوارى سوآتكم » ؛ اريد من اللباس اولا انعزل . ثم اريد به الزرع ؛ ثم المـــاء .

٣ — المجاز على المجاز :

مثل : لا تواعدوهن سرا ؛ استعمال في الوطء مجاز مرسل علاقته المحلية لان الوطء يكون غالبـــا في السر ؛ ثم اريد من الوطء العقد مجازا مرسلا علاقته السببية (السر ضد الجهر = ثم الوطء = ثم العقد) .

ومثـــــل :

بني عمنـــا لان تذكروا الشـــعر بعـــد ما
دفـــنتم بصـــــحراء الغمـــير القوافيـــــا

اطلق الوأى على الشعر مجازا مرسلا علاقته الجزئية ، ثم اطلق الشعر على المفاخر مجازا مرسلا علاقته المسببية .

ومثل : « هو قرة عين لى ولك » اطلق القرة على سببها مجازا مرسلا علاقته المسببية : ثم اطلق سبب القرة على الانشراح والسرور مجازا مرسلا علاقته السببية (هو قرة = هو سبب قرة = هو مبعث سرور وسعادة).

فالمجاز على المجاز هو مجاز مبنى على مجاز آخر متزل منزلة المعنى الحقيقي .

٤ — شرطوا في القرينة كما سبق ان تكون مانعة وهو رأى علمـــاء البيان اما الاصـــوليون فقد اجازوا الجمع بين الحقيقة والمجاز ؛ فمثل « الخال احـــد الابوين » من عموم المجاز اى يراد منه معنى كلى يشمل الحقيقى والمجازى معا ؛ فالمعنى المستعمل فيه اللفظ واحد لا اثنان ؛ اما الاصـــوليون فيقولون أن اللفظ مستعمل في كل منهما : الأب والخال المدعى أبوته .

٥ — (القرينة هى الامر الذى يصرف الذهن عن المعنى الوضعى الى=

الضرب الأول المرسل(١)

وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه (٢) :

كاليد اذا استعملت فى النعمة (٣) ، لأن من شأنها أن تصدر عن

= المعنى المجازى سواء عينت المراد ام لم تعينه) ، مثل رايت بحورا فى المدينة ، فكلمة « فى المدينة » قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى ولكن لم تعين المراد من البحور اهم العلماء ام الاجواد ؟ — واشترط عصام الدين فى القرينة مع منعها من ارادة المعنى الحقيقى أن تكون معينة للمعنى المراد .

٦ — مثل السببية والحالية والمحلية الخ علاقات للمجاز المرسل ؛ اما الاستعارة فعلاقتها المشابهة .

هذا ويمكن ارجاع علاقات المجاز المرسل المتعددة ألى شىء واحد هو التلازم بين المعنيين : الحقيقى والمجازى ، سواء كان التلازم فى الخارج ام فى الذهن ، وبهذا تصبح علاقات المجاز اللغوى اما المشابهة فى الاستعارة وأما التلازم فى المجاز المرسل ، بل ان علاقة المشابهة يجوز ارجاعها الى علاقة التلازم .

(١) راجع ١٥٥ مفتاح ، ٣٠٥ و ٣٥١ أسرار .

(٢) الأولى كما سبق : غير المبالغة فى التشبيه .

ويرى السبكى أنه اذا كانت العلاقة فى المجاز المشابهة فان قوى الشبه بحيث يمكن ادعاء ان هذا هو ذاك كان استعارة والا كان مجازا مرسلا ، قال : ويشهد لصحة ذلك قول السكاكى فى المجاز المرسل انه الخالى عن المبالغة فى التشبيه ، ولم يقل : الخالى عن التشبيه (٢٠١ جـ ٣ السبكى) .

اقول وكلام السكاكى هو كلام عبد القاهر فى الأسرار (ص ٢٠٤ الأسرار) .

(٣) راجع ٢٦٨ صناعتين فى ذلك . وقال الشاعر :

له أياد على سابغة أعد منها ولا أعددها

وقال آخر :

خلقت عيوفا لا ارى لابن حرة على يدا اغضى لها حين اغضب

فاليد الموضوعة للجارحة المخصوصة اذا استعملت فى النعمة كانت مجازا مرسلا لكونها بمنزلة العلة الفاعلية للنعمة لان النعمة منها تصدر =

الجرحة ومنها تصـــل الى المقصود بهـــا (٤) ، ويشترط أن يكون ف الكلام اشارة الى المولى لهـــا (٥) ، فلا يقال : « اتسعت اليد ف البلد »، أو « اقتنيت يـــدا » ، كما يقال « اتســـعت النعمة ف البـــلد » ، أو « اقتنيت نعمة » ، وانما يقال « جلت يده عنـــدى » ، (أوكثرت أياديه لدى) ، ونحو ذلك .

ونظير (٦) هذا ف صفة راعى الابل : « ان له عليها اصبعا (٧) » أرادوا أن يقولوا : له عليها أثر حذق ؟ فدلوا عليه بالأصبع : لأنه ما من حذق ف عمـــل يد الا وهو مســـتفاد من حسن تصريف الأصابع ، واللطف ف رفعها ووضعها كما ف الخط والنقش ، وعلى (٨) ذلك قيـــل

= وتصل الى المقصود بها فهى مجاز مرسل من اطلاق اســـم السبب على المسبب ، قال السبكى : أو من اطلاق المحل على الحال . اما العلة الفاعلية حقيقة فهى الشخص المعطى والعلاقة هنا العلة الفاعلية .

(٤) راجع ٣٤٣ و ٣٠٥ من الأسرار ، ١٥٥ مفتاح .

(٥) هذا الشرط هو الذى توجد به العلاقة ولولاه لم يكن علاقة بين اليـــد والنعمة فانما يكون للنعمة ارتباط باليـــد اذا لوحظ المولى لهـــا . وقال السبكى . هذا لا يتعين ، بل يذكر قرينة ما ، فقد تحصـــل القرينة من غير اشارة الى المولى مثل رايت يدا عمت الوجود ، وقـــد تحصـــل الاشارة الى المولى ولا قرينة تصرف الى المجاز مثل يعجبنى يد زيد ، ثم ان « جلت يده عندى » ليس فيـــه ما يعين المجاز ، اما « كثرت اياديه » فلفظ « كثرت » قرينة . .

(٦) راجع ٣٩٦ من الأسرار .

(٧) قال المبرد : يقال لفلان عليك يد وله عليك اصبع ، وكل جيد ، وانما يعنى هنا النعمة . (١٧٢ جـ ١ الكامل) .

وذكر عبد القاهر ما ذكره الخطيب (٣٠٥ الاسرار) . وقال الشاعر:

ضعيف العصا بادي العروق ترى له ... عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا

(٨) راجع ٣٠٧ من الأسرار .

ملاحظة :

الأفعال الدالة على القدرة لـــا كانت لا تظهر الا باليد صارت القدرة وآثاره كل منهما لايظهر الا باليد وان كان ظهور احدهما مباشرة وظهور =

ف تفسير قوله تعالى (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) : أى نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة فأرادوا بالاصبع الأثر الحسن ، حيث يقصد الاشارة الى حذق ف الصنعة ، لا مطلقا حتى يقال رأيت أصابع الدار ، وله اصبع حسنة واصبع قبيحة على معنى أثر حسن وأثر قبيح ، ونحو ذلك .

وينظر الى هذا قولهم « ضربته سوطا » لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط ، فجعلوا أثر السوط سوطا ، وتفسيرهم له بقولهم : المعنى « ضربته بالسوط » بيان لما كان الكلام عليه ف أصله [9] .

ونظير قولنا « له على يد » قول [10] النبى صلى الله عليه وسلم لأزواجه « أسرعكن لحوقا — ويروى لحاقا — بى أطولكن يدا » وقوله « أطولكن » نظير ترشيح الاستعارة [11] ، ولا بأس أن يسمى ترشيح

= الآخر بواسطة ، فصارت اليد كالعلة الصورية لهما ، فالعلاقة ترجع الى معنى السببية .

هذا وأنواع العلاقة المعتبرة ف المجاز المرسل كثيرة ترتقى الى خمسة وعشرين . والمصنف قد أوردها تسعة غير ما ذكره أولا ف اطلاق اليد على النعمة والقدرة بعلاقة السببية الصورية اذ العلاقة فيهما السببية ف الجملة وهى داخلة فيما يأتى ، الا ان يقال السببية الآتية غير هذه لأن هذه سببية تنزيلة والآتية سببية حقيقية ، فمثل « للأمير يد أى قدرة » ينتقل من اليد الى الآثار الظاهرة ومن الآثار الى القدرة التى هى أصلها من بناء مجاز على مجاز آخر تقديرا ، فالعلاقة كون اليد كالعلة الصورية للقدرة وآثارها ، فاليد مجاز عن الآثار من اطلاق اسم السبب على المسبب ، والآثار مجاز عن القدرة من اطلاق اسم المسبب على السبب فرجعت العلاقة للسببية .

(٩) راجع ٢٠٨ من الأسرار .

(١٠) راجع ٢٠٨ أسرار ، ٣٨٢ مطول .

(١١) لأن الطول أى الانعام يناسب اليد الأصلية ، والصحيح انه يلائم النعمة أيضا فلا يكون ترشيحا ، وجعله من الطول ضد القصر =

المجاز (١٢) ، والمعنى بسط اليـــد بالعطاء ، وقيل قوله « أطولكن » من الطول بمعنى الفضل . يقال : لفلان على فلان طول أى فضـــل (١٣) . فاليد على هذين الوجهين بمعنى النعمة . ويحتمل أن يريد أطولكن يداً بالعطاء ، أى أمدكن . فحذف قوله بالعطاء للعلم به (١٤) .

وكاليـــد أيضا اذا استعملت فى القـــدرة (١٥) ، لأن أكثر ما يظهر سلطانها فى اليد ، وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع . وغير ذلك من الأفعال التى تنبىء عن وجوه القدرة ومكانها : وأما اليـــد فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « المؤمنون

= يؤدى الى خلو الكلام عن الاخبار بكثرة الجود المقصـــود الا ان يقال انه مستعار للاتساع فى العطاء وهو ترشيح باعتبار أصله .

(١٢) فهو مأخوذ من الطول بالفتح بمعنى الانعام والاعطاء وذلك ملائم لليـــد الأصلية لأن الانعام انما يكون بها . والاظهر ان الطول بمعنى الانعام كما يلائم اليـــد الأصلية يلائم النعمة فلا يكون ترشيحا .

(١٣) فلا ترشيح على هذا ولا تجريد على المختار .

(١٤) قال الجاحظ بعد أن ذكر الحديث : فكانت عائشة تقول انا أطول منكن يداً ، فكانت زينب بنت جحش ، وذلك انها كانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صناعا تصنع بيدها وتبيعه وتتصدق به (٨٥ جـ ٢ البيان والتبيين) .

(١٥) قال تعالى « يد اللـــه فوق أيديهم » وقال : « والســـموات مطويات بيمينه » وقال الشاعر : « تلقـــاها عرابة باليمين » ، وعبد القاهر يعتبر هـــذا تمثيلا ، فالمعنى تمثيل القدرة باليمين لمـــا فى أخذ الشىء بهـــا من قوة التمكن . والحق أن كل هـــذا كناية عن شـــدة التمكن والاستيلاء وليس مجازاً مرسلا ولا تمثيلا . وقيل ان اليـــد فى القـــدرة مجاز مرسل علاقته الحالية . ومن المثل لهذا المجاز أيضا قول الشاعر :

وحملت زفرات الضحى فأطقتها   ومالى بزفرات العشى يـــدان

وقال الشـــاعر :

سأشكر عمـــرا ان تراخت منيتى   أيـــادى لم تمنن وان هى جلت

وقول الشـــاعر :

اذا القـــوم مدوا بأيـــديهم   الى المجـــد مـــد اليـــه يـــدا

تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم (١٦) » ، فهو استعارة ، والمعنى أن مثلهم مع كثرتهم فى وجوب الاتفاق بينهم مثل اليـــد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضا وأن تختلف بها الجهة فى التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين فى تعاضدهم على المشركين ، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم .

وكالراوية (١٧) للمزادة (١٨) مع كونها للبعير الحامل لها ، لحمله اياها وكالحفض فى البعير (١٩) مع كونه لمتاع البيت لحمله اياه .

وكالسماء فى الغيث (٢٠) كقوله : « أصابتنا السماء » ، لكونه من جهة المظلة .

وكالاكاف فى قول الشاعر (٢١) :

---

(١٦) ٣١ ج ٢ البيان ، ٢٠٩ من الاسرار ، ٥٩ ج ١ زهر الآداب .

(١٧) راجع ٣٤٤ الاسرار ، ١٥٥ مفتاح . فالراوية فى الاصل اسم للبعير الذى يحمل المزادة ، وفى القاموس : الراوية البعير والبغل والحمار الذى يستقى عليه فاطلاقه على المزادة مجاز .

(١٨) المزادة ظرف المـــاء الذى يســـتقى على الدابة التى تسمى راوية . والعلاقة هنا كون البعير حاملا لهـــا أى مجاورا لهـــا عند الحمل فالعلاقة المجاورة وهى بمنزلة العلة المـــادية وهى علاقة اخرى غير المجاورة وهى مطلق السببية .

هذا والعلاقة قيل انهـــا تعتبر وصف المنقول عنه كما فى الامثلة وهو التحقيق وقيل تعتبر وصف المنقول اليه ، وقيل انها تعتبر وصـــفا لهمـــا معا .

(١٩) ٣٤٤ الاسرار . قال شبيب بن البرصاء :

فلم تدرك العينان حتى تحملت مع الصبح احفاض لهم وحدوج

(٧٥ المفضليات شرح السندوبى) .

(٢٠) ٣٤٤ الاسرار ، ١٥٥ مفتاح ، ٢٦٨ صناعتين ، ٦٤ الصاحبى .

(٢١) هو ابو حزابة الوليـــد بن حنيفـــة يمدح طلحة الطلحات .

والاكاف البرذعة اطلق على العلف لان ثمنه سبب فى الحصول عليه فهو من ...

(ان لنــا أحمــــرة عجافا)   يأكلن كل ليـــــلة اكافـــــا

أى علفا بثمن الاكاف .

وهذا الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكرنا :

(١ —) منها تسمية الشىء باسم جزئه (٣٢) (أو الجزئية) :

كالعين (٣٣) فى الربيئة ، لكون الجارحة المخصوصة هى المقصود فى كون الرجل ربيئة : اذ ما عداها لا يغنى شيئا مع فقدها فصارت كأنها الشخص كله (٣٤) .

وعليه قوله تعالى : قم الليل الا قليلا أى صل ، ونحوه لا تقم فيه أبدا ، أى لا تصل ، وقول النبى عليه السلام : من قام رمضان ايمانا

= علاقة السببية ، فهو مجاز على مجاز (الاكاف ، ثم ثمن الاكاف ، ثم العلف) ، أريد من الاكاف ثمنـــه مجازا مرسلا علاقته السببية ، وأريد من الاكاف بمعنى الثمن العلف مجازا مرسلا علاقته السببية ، ويصح كون المراد من « يأكلن » يفنين مجازا ، أى انها من هزالهـــا نتنـــا ظهرها فاصبح كالمدية يحـــذ البرذعة فيفنيها . هذا والاحمرة جمع حمار . والعجاف الهزيلة جمع عجفاء على غير قياس . والشطر الاخير فى المفتاح ص ١٥٥ .

(٣٢) المجاز ليس هو نفس التسمية ، بل هو اللفظ الذى كان للجزء واطلق على الكل للملابســة .

(٣٣) ٣٤٤ و ٣٤٥ الاسرار . وقال تابط شرا :

وبجعــل عينيــه ربيئـــة قلبه   الى سلة من حد أخلق صائك

(٣٢ جـ ١ حماسة) .

والربيئة الشخص الرقيب (الجاسوس) والعين جزء منه ، فالعلاقة الجزئية .

(٣٤) ويقول الشاعر :

كم بعثنـــا الجيش جرا   را وارســـــلنا العيـــونا

واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . أى من صلى (٣٥) .

(٢ — تسمية الجزء باسم كله أو الكلية) :

ومنها عكس ذلك ، نحو « يجعلون أصابعهم فى آذانهم (٣٦) » أى أناملهم . وعليه قولهم : قطعت السارق ، وانما قطعت يده .

---

(٢٥) وقال الله تعالى : واركعوا مع الراكعين .
ومن هذا قول الشاعر :
وكنت اذا كف اتتك عديمة ترجى نوالا من سحابك بلت
وقول الشاعر :
وأن حلفت لا ينقض النأى عهدها فليس لمخضوب البنان يمين
فقوله يمين مجاز مرسل ايضا علاقته السببية . أى وفاء . واليمين سبب فى الوفاء ، وتقول : هؤلاء وجوه البلد ، وقال تعالى : كل شىء هالك الا وجهه اى ذاته ، وقال تعالى : « فك رقبة » وقال الشاعر :
وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى
هذا وقد اشترطوا فى هذه العلاقة :
١ — أن يكون الكل مركبا تركيبا حقيقيا فلا يعبر بالأرض عن مجموع الارض والسماء .
٢ — أن يكون لهذا ألجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود بحيث يلزم من انتفاء هذا الجزء انتفاء ذلك الكل عرفا .

(٣٦) قيل ان هذا من باب نسبة الفعل الذى فى نفس الامر للجزء الى كله . ولا يسمى مجازا ؛ مثل ضربت زيدا ومسحت بالمنديل . وفيه تعسف لان نسبة مطلق الجعل الى الاصابع كثيرا ما يراد به الكل فلولا الاذان لجرى على الاصل واما الضرب فلا يخلو من تصوره على الكل فجعل من باب الحقيقة والالم يخل كلام عن مجازا غالبا . ثم القرينة فى المثال هى استحالة دخول الاصابع بتمامها فى الآذان عادة . وفيه مزيد مبالغة ويصح ان يكون ألتجوز فى الاسناد او على حذف مضاف . اى انملة اصابعهم .
اما اسم الكلى اذا استعمل فى الجزئى فقيل حقيقة مطلقا ؛ على ان اللام فى تعريف الحقيقة بانها الكلمة المستعملة فيما وضعت له — لام التعليل ولا شك ان اسم الكلى وضع لاجل استعماله فى الجزئى ؛ وقيل ان كان استعمال اسم ألكلى فى الجزئى من حيث اشتماله على الكلى فهو حقيقة وان كان استعماله فيه لا بالنظر الى ما ذكر بل من حيث ذاته كان مجازا .

(٣ — تسمية المسبب باسم السبب او السببية (٢٧)) .

ومنها تسمية المسبب باسم السبب : كقولهم : رعينا الغيث (٢٨) . أى النبات الذى سـببه الغيث .

وعليه قوله عز وجل . فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثـل ما اعتدى عليكم ، سمى جزاء الاعتداء اعتداء لأنه مسبب عن الاعتداء (٢٩)

وقوله تعالى : ونبلو أخباركم ، تجوز بالبلاء عن العرفان لأنه مسبب عنه ، كانه قيل « ونعرف أخباركم » .

وعليه قول عمرو بن كلثوم (٣٠) :

ألا لا يجهلن أحـد علينـا   فنجهل فوق جهل الجاهلينـا

الجهل الأول حقيقـة ، والثانى مجاز (٣١) ، عبر به عن مكافأة الجهـل .

---

(٢٧) ١٥٥ مفتاح و ص ١٥ من الموازنة . والسببية هى كون المعنى الحقيقى للفظ سـببا للمعنى المجازى المراد .

(٢٨) قال ابو هلال فى ٢٦٩ صـناعتين : ويطلقون السـماء على الغيث . قال جرير من قصيدته فى هجاء الراعى النميرى :

اذا نزل السـماء بأرض قوم   رعينـاه وان كانوا غضـابا

وراجع القصيدة فى ٣٢٤ الادب الاسلامى لمحمود مصطفى ، واولها :

اقلى اللوم عاذل والعتـابا   وقولى ان اصبت لقـد اصـابا

والبيت « اذا نزل السماء » نفسه فى المفضـليات ص ١٧٢ ، من قصيدة لمعاوية بن مالك .

(٢٩) راجع ص ١٣ ما اتفق لفظه للمبرد .

(٣٠) راجع ١٤ ما اتفق لفظه للمبرد ، ١٧٩ الدلائل .

(٣١) هذا ولك أن تقول ان الجهـل الثانى فى حقيقته ايضـا لانه لم يقل فنجهل مثل جهل الخ بل قال « فوق جهل الجاهلينا » .

وكذا قوله تعالى : وجزاء سـيئة سيئة مثلها ، تجوز بلفظ السيئة من الاقتصاص ، لأنه مسبب عنها ، قيل وان عبر بها عما ساء أى أحزن لم يكن مجازا ، لأن الاقتصاص محزن فى الحقيقة كالجناية .

وكذا قوله تعالى : « ومكروا ومكر الله » تجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سببها . قيل ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة ، لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم ، وهذا محقق من الله تعالى ، باستدراجه أياهم بنعمة مع ما أعد لهم من نقمه (٣٢) .

٤ — تسمية السبب باسم المسبب أو المسببية (٣٣) :

ومنها تسمية السبب باسم المسبب ، كقولهم « أمطرت السماء نباتا » ، وعليه قولهم « كما تدين تدان » (٣٤) أى كما تفعل(٣٥) تجازى ، وكذا لفظ الاسنمة فى قوله بصف غيثا :

---

(٣٢) ملاحظة : استعمل الكلى فى الجزئى :
قيل حقيقة مطلقا بنـاء على ان اللام فى قولهم فى تعريف الحقيقة « المستعملة فيما وضعت له » للتعليل .
وقيل ان اللام صـلة فيكون الكلى المستعمل فى الجزئى من حيث خصوصه مجازا مرسـلا من استعمال العام فى الخاص فعلاقته العموم والخصوص وان استعمل فى الجزئى من حيث كون الجزئى من افراده كان حقيقـة .

(٣٣) اى ان يكون مدلول اللفظ الحقيقى مسببا عن المعنى المجازى المراد .

(٣٤) وليزيد بن الصعق الكلابى ٥٦ ج ١ الكامل :

واعلم وايقن ان مالك زائل   واعلم بان كما تـدين تـدان

وقال الفند الزمانى فى حرب البسوس ١٥ ج ١ الحماسة :

فلـمـا صرح الشـــر   فأمسى وهـــو عريـــان
ولم يبـق سـوى العـدوا   ن دناهم كـمـا دانـــوا

(٣٥) فاطلق الدين وهو الجزاء على الفعل لان نفس الفعل سبب فى الدين بمعنى الجزاء .

آقبـــل فى المستن من ربابه أسنمة الآبال فى سحابه[٣٦]

وكذا تفسير انزال أزواج الأنعام فى قوله تعالى « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » بانزال المــاء على وجه [٣٧] لأنها لا تعيش الا بالنبات ، والنبات لا يقوم الا بالمـــاء ، وقـــد أنزل المــاء فكأنه انزلها ؛ويؤيده ما ورد أن كل ما فى الأرض من السماء ينزله الله تعالى الى الصخرة ثم يقسمه ، قيل وهذا معنى قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض » ، وقيل معناه « وقضى لكم [٣٨] » ، لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء ، حيث كتب فى اللوح كل كائن يكون ، وقيل خلقها فى الجنة ثم أنزلها [٣٩] ، وكذا قوله تعالى « وينزل لكم من السماء رزقا » أى مطرا هو سبب الرزق ، وقوله تعالى « انما يأكلون فى بطونهم نارا » ، وقولهم « فلان أكل الدم » أى الدية التى هى مسببة عن الدم [٤٠] قال :

---

(٣٦) المستن : المنصب ، من استن الفرس . الرباب : السحاب الابيض . الآبال : الجمال جمع ابل . اسنمة : جمع سنام اراد ان ذلك السحاب ينبت ما تاكله الابل فتصير شحوما فى اسنمتها (٦٨ جـ ٢ كامل المبرد) .

(٣٧) اى على راى .

(٣٨) فالمجاز على هذا فى « انزل » وعلاقته المسببية ، والقرينة ذكر الانعام ، وعلى الأول المجاز فى « ثمانية ازواج » والعلاقة هى هى والقرينة « انزل » .

(٣٩) وعلى هذا فليس فى الآية مجاز .

(٤٠) هذا سهو لان المثال من تسمية المسبب وهو الدية باسم السبب وهو الدم وأجاب بعضهم عن المصنف بانه يريد ان « اكل » مجازا مرسلا لان الاكل سبب فى المراد منه وهو الاخـــذ فهو من تســـمية السبب باسم المسبب .

آكلت دما ان لم أرعك بضرة
بعيدة مهوى القرط طيبة النشر (٤١)

وقوله تعالى « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » أى أردت القراءة بقرينة الفاء مع استفاضة السنة بتقديم الاستعاذة • وقوله تعالى (٤٢) : ونادى نوح ربه ، أى أراد بقرينة : فقال رب ، وقوله (٤٢) تعالى ، وكم من قرية أهلكناها أى أردنا اهلاكها ، بقرينة فجاءها باسنا ، وكذا قوله (٤٣) تعالى ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها : بقرينة « أفهم يؤمنون » وفيه دلالة واضحة على الوعيد بالاهلاك اذ لا يقع الانكار فى « أفهم يؤمنون » فى المحز الا بتقدير ونحن على أن نهلكهم (٤٣) •

٥ ــ تسمية الشىء باسم ما كان عليه (٤٤) :

---

(٤٨) هو لاعرابى تزوج امرأة فلم توافقه فقيل له ان حمى دمشق سريعة فى موت النساء فحملها اليها . وقيل هذا البيت .

دمشق خذيها واعلمى ان ليلة   تمر بعودى نعشها ليلة القدر

بعيدة مهوى للقرط (أى الحلق) : كناية عن طول العنق . النشر : الرائحة الطيبة والبيت فى الحماسة (٣٨ جـ ٢) .

(٤٢) ١٥٦ من المفتاح .

(٤٣) هذا رأى السكاكى فى الآية فمعناها عنده : « هؤلاء الذين اقترحوا عليك انزال آية من السماء اردنا اهلاكهم وكل من اردنا اهلاكهم لا يؤمنون فهؤلاء لا يؤمنون . ويرى علماء التفسير ان معنى الآية : لم تؤمن امة من الامم التى اعطيناها ما اقترحت فأهلكناها فهؤلاء لا يؤمنون لو اعطوا ما اقترحوه ونحن لا نريد اهلاكهم فلا نجيبهم الى ما اقترحوا .

ملاحظة :

من مثل المجاز المرسل الذى علاقته السببية قوله تعالى : « قد بدت البغضاء من افواههم » . اى آثار البغضاء . ومنها :

تمنى رجال ما احبوا وانما   تمنيت ان اشكو اليها فتسمعا

اى فتجيب .

(٤٤) اى على صفته فى الزمان الماضى لكنه ليس عليه الآن .وقيل=

ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه ، كقوله عز وجل « وآتوا اليتامى أموالهم » أي الذين كانوا يتامى اذ لايتم بعد البلوغ([٤٥]) وقوله : انه من يأت ربه مجرما ، سماه مجرما باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الاجرام .

٦ — تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه ([٤٦]) :

ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى : « انى أرانى اعصر خمرا ([٤٧]) .

٧ — تسمية الحال باسم محله أو المحلية ([٤٨]) :

ومنها تسمية الحال باسم محله ، كقوله تعالى « فليدع ناديه »، أى أهل ناديه ([٤٩]) .

= أن الاطلاق المذكور حقيقى استصحابا للاطلاق حال وجود المعنى . وقيل بالوقف .

(٤٥) يرى بعضهم ان اليتيم على حقيقته ، فالمجاز فى « وآتوا » بأن يراد منه لازمه وهو حفظ المال ، لعلاقة المسببية . وقيل اليتيم يطلق على البالغ حقيقة استصحابا للماضى فلا مجاز فى الآية .

(٤٦) أى فى الزمان المستقبل تحقيقا أو ظنا لا احتمالا .

(٤٧) أى عنبا فيصير الى هذه الحال (٦٨ ج ٢ كامل المبرد) .
ومثل ذلك : « هدى للمتقين » ، « من قتل قتيلا فله سلبه » (راجع ٣٦ ج ٣ ابن يعقوب) .
ومثل ذلك : يمرض المريض وتضل الضالة .

(٤٨) أى المكان الذى يحل فيه ذلك الشيء .

(٤٩) وقيل المجاز فى الآية مجاز بالحذف .
ومثل ذلك : « واحسن نديا » اى اناسا فى ندى « واسأل القرية » اى اهلها .

٨ ــ تسمية المحل باسم الحال أو الحالية (٥٠) :

ومنها عكس ذلك ، نحو « وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله » أى فى الجنة (٥١) •

٩ ــ تسمية الشيء باسم آلته أو الآلية (٥٢) :

ومنها تسمية الشيء باسم آلته كقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ، أى بلغة قومه ، وقوله تعالى واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، أى ذكرا جميلا وثناء حسنا (٥٣) •

(علاقات أخرى للمجاز المرسل) :

وكذا غير ذلك مما بين معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه •

---

(٥٠) فيما اذا ذكر لفظ الحال واريد المحل لما بينهما من الملازمة .

(٥١) التى تحل فيها الرحمة . وهو مجاز على مجاز :
اطلقت الرحمة بمعنى رقة القلب واريد منها اثرها من الانعام والتفضل مجازا مرسلا علاقته السببية ثم اريد من ذلك المنعم به وهو النعم مجازا مرسلا علاقته السببية ايضا ثم اريد من ذلك الجنة مجازا مرسلا علاقته الحالية .

(٥٢) اى فيما اذا ذكر اسم الآلة ــ واريد الاثر الذى ينتج عنه : فالآلية هى كون الشيء واسطة فى ايصال اثر المؤثر الى المتأثر . فالآلة هى الواسطة بين الفعل وفاعله والسبب ما به وجود الشيء . وقيل الآلة من جملة افراد السبب لان بها وجود الشيء .

(٥٣) راجع ١٨٠ جـ ١ الكامل المبرد . فاللسان اسم لآلة الذكر . وقيل هو من اطلاق المحل على الحال لان الذكر حال فى اللسان . وقال بعض المفسرين « لسانا » اى ولدا صادقا يجدد دينى ويدعو اليه المتأخرين، حتى فهو على هذا مجاز مرسل علاقته الجزئية .

قال صاحب المفتاح (٥٤) :

وللتلعق بين الصارف عن فعل الشيء والداعي الى تركه يحتمل عندي أن يكون المراد بمنعك في قوله تعالى (٥٥) : ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك : دعاك ولا غير صلة (٥٦) قرينة المجاز ، وكذا ما منعك

---

(٥٤) ١٥٦ مفتاح .

(٥٥) راجع ص ١١٩ الاسكاف — درة التنزيل .

ملاحظة :

سبق أن ذكرنا أن الانتقال في المجاز من الملزوم ألى اللازم ، وبعض أنواع العلاقة بل أكثرها (كاليتامى ، والعنب ، والنادى ، والرحمة ، واللسان) لا يفيد اللزوم ، فلا وجه لجعلها علاقة لأن العلاقة امر بسببه يحصل الانتقال من المعنى الحقيقي للمجازى لاستلزامه اياه . والجواب انه ليس معنى اللزوم هنا عدم الانفكاك في الذهن او الخارج بل تعلق وارتباط ينتقل بسببه من أحدهما الى الآخر في الجملة وفي بعض الأحيان ، وهذا متحقق في كل امرين بينهما علاقة وارتباط ، فجميع أنواع العلاقة على هذا تفيد اللزوم ، وحاصل الجواب أن اللزوم هنا ليس المراد به اللزوم الحقيقي اعني امتناع الانفكاك في الذهن او الخارج بل المراد به الاتصال ولو في الجملة . ثم هذا تذكرة لما سبق في المقدمة في الكلام على اللزوم .

(٥٦) فالعلاقة عند السكاكي الضدية ، أو تقول انها علاقة اللزومية اذ التعلق بين الصارف والداعي معناه انهما متلازمان غالبا .

هذا والآية لها معنيان : معنى حقيقي هو أي سبب منعك من السجود وهذا المعنى قطع فيه النظر عن كلمة « لا » ، ومعنى مجازى مراد هو أي سبب دعاك لعدم السجود وهذا هو المعنى المجازى المنظور فيه الى كلمة « لا » ، فكلمة « لا » قرينة على أن الآية مراد منها ما دعاك الى عدم السجود .

وهذا تعسف ، والأولى ان يكون كلام السكاكي معناه هكذا : للتعلق بين الصارف عن فعل الشيء (وهو السجود) والداعي الى تركه (وهو ترك عدم السجود) .

ملاحظة :

زاد بعضهم علاقات . اللزومية ، والاطلاق ، والتقييد ، والعموم والخصوص والتعلق الاشتقاقي وهو اطلاق المصدر على اسم الفاعل أو اسم المفعول وبالعكس مثل هو نبل وذكاء ، وحجاب مستور أي ساتر ، ==

اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن • وقال الراغب رحمه اللــه : قال بعض المفسرين ان معنى ما منعك ما حماك وجعــلك فى منعــة منى فى ترك السجود أى فى معاقبة تركه • وقد استبعد ذلك بعضهم بأن قال : لو كان كذلك لم يكن يجيب بأن يقول أنا خير منه ، فان ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك الوجه وانما هو جواب من قيل له ما منعك أن تسجد•

ويمكن أن يقال فى جواب ذلك أن ابليس لــما كان الزم ما لم يجد سبيلا الى الجواب عنه اذ لم يكن له من كالىء يحرسه ويحميه ، عدل عما كان جوابا ، كما يفعل المــأخوذ بكظمه فى المناظرة » •

انتهى كلامه •

(اقسام المجاز المرسل) :

وقسم الشيخ صاحب المفتاح (٥٧) المجاز المرسل الى خال عن الفائدة ومفيد :

١ ــ وجعل الخالى عن الفائدة ما استعمل فى أعم مما هو موضوع له ، كالمرسن فى قول العجاج :

وفاحما ومرسنا مسرجا (٥٨) :

= وهم غياث الناس ، ومن العلاقات المجاورة مثل :

فشككت بالرمح الاصــــم ثيــــابه   ليس الكريم على القنــــــا بمحــــرم

اى جسمه وقلبه ، ويصح ان تكون علاقته المحلية •

(٥٧) ١٥٤ من المفتاح •

(٥٨) سبق البيت راجعه فى ٢٣ و ٤٨ اسرار ، ١٥٥ مفتاح ، ٢٤٠ ج ٢ الامالى •

فانه (٥٩) مستعمل فى الأنف لا بقيد كونه لمرسون (٦٠) مع كونه موضوعا له بهذا القيد ، لا مطلقا . وكالمشفر فى نحو قولنا : فـــلان غليظ المشافر « اذا قامت قرينة على أن المراد هو الشفة لا غـــير . وقال : (٦١) سمى هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو ليث وأسد وحبس ومنع عند المصير الى المراد (٦٢) منه .

٢ — وأراد بالمفيد ما عدا الخالى عن الفائدة والاستعارة كما مر والشيخ عبد القاهر رحمه الله (٦٣) :

(١ —) جعل الخالى عن الفـــائدة ما استعمل فى شىء بقيد ، مع كونه موضوعا لذلك الشىء بقيد آخر ، من غير قصد التشبيه (٦٤). ومثله ببعض ما مثله الشيخ صاحب المفتاح ونحوه ، مصرحا بأن الشفة والأنف موضوعان للعضوين المخصوصين من الانسان ، فان قصـــد التشـــبيه صار اللفظ استعارة كقولهم فى مواضع الذم غليظ المشفر فانه بمنزلة أن يقال كأن شفته فى الغلظ مشـــفر البعير ، وعليه قول الفرذدق (٦٥) .

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى   ولكن زنجى غليـــظ المشـــــافر

أى ولكنك زنجى ، كأنه جمل لا يهتدى لشرف (٦٦) ، وكذا قول

---

(٥٩) اى المرسن (وهو الأنف) .
(٦٠) اى البعير .
(٦١) ١٥٥ مفتاح .
(٦٢) فعلاقة هذا المجاز عند السكاكى التقييد .
(٦٣) راجع ٢٢ — ٣٢ و ٣٥٢ و ٣٥٣ من اسرار البلاغة .
(٦٤) فعلاقته عنده التقييد ثم الاطلاق .
(٦٥) البيت فى ٢٨٢ ج ١ الكتـــاب لســـيبويه ، ٢٧ من الاسرار ، والخطـــاب لأيوب بن عيسى الضبى وكان قـــد حبس الفرزدق فقال ذلك هجاء له .
(٦٦) فهو هنا استعارة لا مجاز مرسل ، وذلك لقصد التشبيه .

الحطيئة يخاطب الزبرقان (٦٧) .

قروا جارك العيمان لــا جفوته   وقلص عن برد الشراب مشافره

فانه وان عنى نفسه بالجار جاز أن يقصد الى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد فى التهكم بالزبرقان ، ويؤكد ما قصده ، من رميه باضاعة الضيف واسلامه للضر والبؤس ، وكذا قول الأخر (٦٨) :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها   الى ملــك أظلافــه لم تشــقق

---

(٦٧) راجع ٢٧ اسرار البلاغة .

قروا : اضافوا . العيمان : العطشان الى اللبن قلص : انكمش من تاثير البرودة كناية عن انه كان لا يجد عنده الا المــاء .

(٦٨) هو عقفان القيسى او الاخطل ، والبيت فى ص ٢١ من الاسرار، و ص ٢٩٣ صناعتين .

يعنى بملك غطفــان بن قيس بن عاصم . الأظلاف جمع ظلف وهــو لمــا اجتر من الحيوان كالظفر للانسان ويريد بذلك انه حر لا عبد .

ملاحظــات :

١ — نحو « مشــفر زيد مجروح » المشــفر لغة شــفة البعير ، ثم اريد هنا مطلق شفة ، فكان المجاز المرسل هنا منقولا عن المقيــد الى المطلق وكان مجازا مرسلا علاقته التقييد ثم نقل من مطلق شفة الى شــفة الانسان فكان مجازا مرسلا بمرتبتين وكانت علاقته التقييــد والاطلاق ، وذلك ما لم يقصد التشبيه والا كان « المشــفر » استعارة . وهذا هو راى عبد القاهر فى هــذا النوع من المجاز المرســل ، اما السكاكى فيرى ان المشفر اسم للمقيد وهو شفة البعير فاطلق اى جرد من قيــده وهــو اضافته للبعير واستعمل فى شفة الانسان من حيث انها من افراد مطلق شــفة ، فهو عنده مجاز مرسل بمرتبة وهى التقييد بناء على ان العلاقة وصف المنقول عنه .

٢ — بلاغة المجاز المرسل تتلخص فيما يلى :

ا — يوسع اللغة ويعين على الافتنان فى التعبير .

ب — وكثيرا مايدعو اليــه المعنى كالتعظيم فى قولك « رايت الملك » اى ولى العهــد .

جـ — وقــد يدعو اليه اللفظ والمعنى جميعا كاستعمال الأذن فى الرجل الكثير الاستماع للوشــاة ، فلفظ الأذن اخف لفظا وهو مع ذلك ادق تصويرا للمعنى .

الضرب الثـــانى من المجـــاز

الاســـــتعارة (١)

وهى (٢) ما كانت علاقته تشـــبيه معناه بما وضع له .

وقـــد تقيـــد بالتحقيقية (٣) ، لتحقيق معناها (٤) حســـا (٥) أو عقلا (٦) أى التى تتناول أمرا معلوما ، يمكن أن ينص عليه ، ويشار

---

(١) المراد بها التصريحية وهى التى يذكر فيها المشبه به دون المشبه، واما المكنية التى لا يذكر فيها الا المشبه فستأتى .

فالمصـــنف يرى ان الاستعارة على التحقيق مع التحقيقية لا المكنية على ما سيأتى .

هذا وراجع بحث الاستعارة فى ١٥٦ مفتاح وما بعدها وتعريفها ن الاسرار ص ٣٠٤ و ٣٤٦ .

(٢) اى هى مجاز تكون علاقته المشابهة اى قصد ان الاطلاق بسبب المشابهة وذلك راى الخطيب ، وراى عبد القاهر والسكاكى والسبكى انها مجاز علاقته التشـــبيه بشرط قصـــد المبالغة . والمراد بمعناها ما عنى وقصد بها وهو المشبه .

(٣) لتتميز عن التخييلية والمكنى عنها ، لان معنى التحقيقية محققة المعنى فتخرج التخييلية ، لانها عند المصنف كالسلف ليست لفظ فلا تكون محققة المعنى ، وعند السكاكى فهى وان كانت لفظا عنده الا انها غير محققة المعنى لان معناها عنـــده امر وهمى . وتخرج المكنية ايضا عند المصنف لانها التشبيه المضمر وهو ليس بلفظ فلا تكون محققة المعنى ، واما عنـــد السلف فهى داخلة فى التحقيقية لانها اللفظ المستعار المضمر وهو محقق ، وكذا هى داخلة فيها على مذهب السكاكى لانها عنده لفظ المشبه ومعناه (المشبه به) محقق .

(٤)ـــاى ما عنى بها — وهو المعنى المجازى لا الحقيقى — واستعملت هى فيه وهو المشبه فى التصريحية ، والمشبه به فى المكنية بنـــاء على دخول المكنية هنا كما هو مذهب الجمهور والسكاكى .

(٥) اى فى الحس بأن يكون معنـــاها مما يدرك باحدى الحواس الخمس الظاهرة .

(٦) المراد بأن يكون اللفظ قـــد نقل الى امر معلوم يمكن ان ينص =

اليه اشارة حسية أو عقلية ، فيقال ان اللفظ نقل من مسماه الأصلى فجعل اسما له على سبيل الاعارة للمبالغة فى التشبيه .

اما الحسى :

فكقولك رأيت أسـدا وأنت تريد رجلا شجاعا ، وعليـه قول زهـير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف (له لبد أظفاره لم تقـلم (٧))

أى لدى رجل شجاع ، ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه فى الحركات (٨) كقول أبى دلامة يصف بغلته :

= عليه ويشار اليه اشارة حسية او عقلية بأن لا يدرك معناه بالحواس بل بالعقل ، بان كان له تحقق وثبوت فى نفسه بحيث لا يصح للعقل نفيـه فى نفس الأمر ، وهذا بخلاف الأمور الوهمية فلا ثبوت لهـا فى نفسـها بل بحسـب الوهم ولذلك كان العقل لا يدركها ثابتـة ويحكم ببطلانهـا دون الوهم .

فالاستعارة عنـد المصـنف تنقسم الى : تحقيقية — وتخييلية — ومكنية . وعند الجمهور والسكاكى تنقسم الى : تحقيقية وتخييلية ، لأن المكنية عندهما من التحقيقية ، اما التخييلية فهى عند السكاكى لفظ مستعمل فى معنى وهمى لا تحقق له لا حسـا ولا عقلا ولم يوضـع له اللفظ ، وعنـد القوم هى قرينة المكنية وهى عندهم مجاز عقلى .

(٧) شاكى السلاح : ن الشوكة اى تام السلاح . مقذف اى رجل شجاع قذف به كثيرا الى الوقائع ، وقيل قذف باللحم ورمى به فصار له جسامة ، فعلى المعنى الاول يكون « مقذف » تجريدا لملاءمته المستعار له ، وعلى الثانى ليس تجريدا ولا ترشيحا ، ويصح أن يكون « مقذف » اسم فاعل اى قذف بلحم أعدائه فهو ترشـيح لملاءمته المستعار منه بتمحل . اظفاره لم تقلم كناية عن القوة والعزة والمنعة . واللبـد : الشعر المجتمع بين كتفى الاسـد .

(٨) راجع ذلك فى الاسرار ص ٢٣٠ .

أرى الشـــهباء تعجن اذ غدونا   برجليهـــا وتخـــبز باليـــــدين

شبه حركة رجليها حيث لم تثبتـــا على موضع تعتمد بهما عليه ، وهو تا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدى العاجن فانهما لا تثبتـــان فى موضع بل تزلان الى قدام لرخاوة العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يدى الخابز ، فانه يثنى يـــده نحو بطنـــه ، ويحدث فيها ضربا من التقويس ، كما تجـــد فى يد الدابة اذا اضطربت فى سيرها ولم تقو على ضبط يديها ، وأن ترمى بها الى قدام ، وأن تشـــد اعتمادها حتى تثبت فى الموضع الذى تقع عنه فلا تزول عنه ولا تنثنى (٩) .

---

(٩) ذلك كله منقول من الاسرار ص ٣٣٠ .

ملاحظـــات :

١ — قال تعالى « فاذاقهم الله لباس الجوع » .

شبه ما غشيهم عند جوعهم من الصفرة باللباس واستعير اللباس لذلك اســـتعارة تصريحية تحقيقية ثم شـــبه ما غشيهم عند جوعهم من الصفرة ايضـــا بمطعوم مر بشـع تشبيها مضـــمرا فى النفس على طريق الاســتعارة المكنية ، وأثبات الاذاقة تخييل .

ففى الآية ثلاث استعارات تحقيقية ومكنية وتخييلية .

٢ — المشهور ان الاستعارة صفة للفظ ، والحق ان المعنى يعـــار أولا ثم يكون اللفظ دليلا على الاســتعارة ، وذلك لأمور منها :

ا — انه اذا لم يكن نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعارة مثل الاعلام المنقولة .

ب — ان الاستعارة أبلغ من الحقيقة فاذا لم يكن نقل الاسم تابعا لنقل المعنى لم يكن فيه مبالغة اذ لا مبالغـــة فى اطلاق الاسم المجرد عن معنـــاه .

جـ — « رأيت اسدا » يقال فيه انك جعلت الرجل اســـدا وحكمت بثبوت الاسدية له ولا يقال لمن سمى انسانا اسدا انه صيره اسدا واثبت الاسدية له .

د — اطلاق اســـم الاســـد على الرجل الشجاع فى اى لغة لاجل الاستعارة طريق سائغ مستعمل ، واطراد ذلك فى اللغات كلها يدل على ان المستعار معنى الاسد لا اسمه .

=

وأما العقلى (١٠) : فكقولك أبديت نورا وأنت تريد حجة ، فان الحجة مما يدرك بالعقل من غير وساطة حس ، اذا المفهوم من الألفاظ وهو الذى ينور القلب ويكشف عن الحق ، لا الألفاظ أنفسها ، وعليه قوله (١١) عز وجل : « اهدنا الصراط المستقيم » • وأما قوله (١٢) تعالى : « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » فعلى ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة استعارة عقلية ، لأنه قال شبه باللباس لاشتماله على اللابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث ، وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح (١٣) : حسية لأنه جعل اللباس استعارة

= ٣ — بلاغة الاستعارة تتلخص فى انها : تشرح المعنى وتبين عنه فضل ابانة ، وقد تؤكده وتبالغ فيه ، أو تشير اليه بقليل من اللفظ ، أو تعرضه فى معرض حسن يبرز فيه ذلك المعنى ، الى غير ذلك من آثار بلاغة الاستعارة وسحرها .

(١٠) راجع ٥٠ و ٥١ من الاسرار .

(١١) راجع ص ٤٩ من الاسرار . فالصراط المستقيم مستعار للدين الحق لتشابههما فى ان كلا منهما يوصل الى المطلوب ، والدين الحق محقق عقلا لانه امر معنوى .

(١٢) راجع الكلام على « هن لباس لكم » فى الصناعتين ص ٢٦١ .

(١٣) ١٦٠ مفتاح .

ملاحظات :

الفرق بين التشبيه والاستعارة يتلخص فيما يلى :

ا — فى التشبيه الصريح تذكر الأداة او الوجه او كلاهما او يحذفان . واما الاستعارة فتشبيه حذف احد طرفيه مع الوجه والاداة فهى اخصر ؛ ويقع المستعار فيها فاعلا أو نائب فاعل او مبتدأ او مفعولا به او مجرورا . وكذلك يقع المستعار صفة او خبرا لغير المشبه نحو اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ونحو بريح صرصر عاتية ونحو هذه الريح العقيم . ولا يجمع بين طرفى الاستعارة على اى صورة من صور التشبيه السابقة ؛ وقد يجمع بينهما على صورة اخرى كقوله « قد زر ازراره على القمر » غير أن وجود طرفيها معا يضعفها اذ يجعلنا نشم منها رائحة التشبيه مما يبطل =

لمـــا يلبســـه الانســـان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون ورثاثة الهيئـــة (١٤) .

ـ الغرض من التشبيه . قال الدسوقي : اعلم ان شم رائحة التشبيه لفظا.

١ — اما ان يكون ببيان المشبه به بالمشبه مثل حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر .

٢ — واما ان يكون بذكر وجه الشبه نحو رأيت اسدا في الشجاعة .

٣ — واما ان يكون بذكر الاداة نحو زيد كالاسد .

٤ — اما ان يكون بذكر الطرفين على وجه لا ينبيء عن التشـــبيه كما في قوله « قـــد زر ازراره على القمر » .

فاشمام رائحة التشبيه لفظا في الثـــلاثة الاول مبطل للاســـتعارة . اما في الرابع فلا يبطلها الا انها تكون قبيحة انتهى كلامه . وسر قبحها انه يبطل الغرض منها وذلك الغرض هو تاكيد المبالغة في التشبيه بدعوى أن المشبه فرد من افراد المشبه به .

ب — التشبيه يأتي فيما ظهر وجهه وفيما خفي ، وكلما احتاج الوجه فيـــه الى امعان فكر كان اعذب واجود . اما الاستعارة فينبغي أن يكون الوجه فيها جليـــا لئلا تصير لغزا : فالتشبيه اعم فكل استعارة يصح أن تكون تشبيها دون العكس . فقوله (ص) : « الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة » ليس لك ان تقول فيـــه « رأيت ابلا مائة لا تجد فيها راحلة ، لخفاء الوجه .

جـ — الاستعارة تفيـــد المبالغة في التشبيه .

د — قصد التشبيه في الاســـــتعارة لا يدرك الا بعـــد طول النظر اما في اسلوب التشبيه فواضح جلي .

هـ — وجوب كون المشبه به اقوى من المشبه في وجه الشـــبه في الاســـتعارة .

و — الاســـتعارة لا يساق تركيبها لافادة الحكم بالمشابهة فان امر المشابهة مفروغ منه واسلوبها سيق لحكم آخر وراء التشـــبيه ، بعكس التشـــبيه .

(١٤) قال السبكي : وجزم المصنف بان الاســـتعارة هنا تحقيقيـــة اما عقلية او حسية مخالف لمـــا قاله السكاكي من انها تخييلية ، والحق انها عقلية (٥٥ جـ ٤ ابن السبكي) . وراجع الآية في المطول ص ٣٧٧ . قال السكاكي : الظاهر من اللباس الحمل على التخييل وان كان يحتمـــل عندي حمله على التحقيق وهو أن يستعار لمـــا يلبسه الانسان عند الجوع.

فالاستعارة (ما تضمن تشبيه معناه بما وضع (١٥) له) : والمراد بمعناه ما عنى به ، أى ما استعمل فيه (١٦) ، فلم يتناول ما استعمل فيما وضع له ، وان تضمن التشبيه به ، نحو زيد أسد ورأيته أسدا ونحو رأيت به أسدا ، لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه ، على أن المراد بقولنا ما تضمن مجاز تضمن ، بقرينة تقييم المجاز الى الاستعارة وغيرها والمجاز لا يكون مستعملا فيما وضع له (١٧) .

---

(١٥) إى ان الاستعارة مطلقا تحقيقية اولا هى : لفظ تضمن تشبيه معناه المراد منه وهو المعنى المجازى ، بما وضع له اى بمعناه الحقيقى . فالمراد بمعناه ما عنى باللفظ واستعمل اللفظ فيه .

(١٦) وهو المشبه .

(١٧) فزيد أسد فيه مستعمل فيما وضع له وان تضمن ذلك اللفظ تشبيه شيء به وذلك لانه اذا كان معنى لفظ الاسد المستعمل فيه هو عين المعنى الموضوع له لا المعنى المجازى وهو الرجل الشجاع لم يصح تشبيه معناه بالمعنى الموضوع له لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه ، على ان ما فى قولنا « ما تضمن » عبارة عن المجاز واسد فى المثال ليس بمجاز لكونه مستعملا فيما وضع له .

قيل : وفى كلام المصنف نظر لانا لا نسلم ان الاسد فى الامثلة المذكورة مستعمل فيما وضع له وهو الحيوان المفترس بل فى معنى الشجاع الذى زيد فرد من افراده فيكون مجازا واستعارة كما فى « رايت اسدا يرمى» بقرينة حمله على زيد ، فزيد ليس هو المشبه بالاسد الحقيقى بل المشبه كلى زيد المذكور وهو الشجاع فليس هناك جمع بين طرفى التشبيه ، ولا دليل لهم على ان هذا على حذف اداة التشبيه ، وان التقدير زيد كاسد ، واستدلالهم على ذلك — بانه قد حمل الاسد على زيد ومعلوم ان الانسان لا يكون اسدا فوجب المصير الى التشبيه بحذف اداته قصدا الى المبالغة — فاسد لان المصير الى ذلك انما يجب اذا كان « اسد » مستعملا فى معناه الحقيقى ، واما اذا كان مجازا عن الرجل الشجاع فحمله على زيد صحيح ، فزيد اسد اصله زيد رجل شجاع كالاسد فحذف المشبه والاداة للمبالغة واستعمل المشبه به فى معنى المشبه على سبيل الاستعارة ، واما زيد فليس مشبها الا من حيث كونه ذاتا صدقت عليها الشجاعة وبتلك الحيثية اخبر منه . وقد ضعف بعضهم قول الشارح بانه لابد من المبالغة فى الاستعارة ولا مبالغة فى قولنا زيد رجل =

وههنا شيء لا بد من التنبيـــه عليه (١٨) ، وهو أنه اذا أجرى ف

= شجاع كالاسد فان الحكم باتحاد زيد بالرجل الشجاع والتشبيه بالأسد لا يفيد تشبيه زيد بالاســد ولا مبالغة فيه . ورد بأن الاســد مستعمل فى الرجل الشجاع على ســبيل التشبيه والمبالغة فى الرجل الشجاع ، باستعمال لفظ المشبه به فيه وجعله فردا ادعائيا له .

ويدل على ان اســدا يستعمل فى الرجل الشــجاع لا فى الحيوان المفترس الذى وضع له ان المشبه به فى مثل هذا المقام كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور كقوله « اســد على وفى الحروب نعامة » ، فهــذا دليل على انه مؤول بمشــتق كشجاع ومجترىء وصائل ولو كان المشــبه به مستعملا فى معناه الحقيقى ما تعلق به الجار لكونه جامدا حينئــذ ، ولكن يمكن ان يقال ان الجار والمجرور متعلق بالاداة لــما فيها من معنى الفعل، وهو اشــبه ، فالمعنى انت تشبه الاســد .

والخلاصــة :

ان الفرق بين التشبيه والاستعارة عند المصنف هو ان الاستعارة اشتمل الكلام فيها على المشبه به وكان المشبه غير مذكور لا لفظا ولاتقديرا. وقيل الفرق بين التشبيه البليغ والاستعارة امتناع تقــدير حرف التشبيه فيها دونه . قال السبكي الحق انه ان لم يصح تقدير الأداة فهو استعارة وان صح احتمل ان يكون استعارة وان يكون تشبيها والغالب عنــد قصد المبالغة ارادة الاستعارة .

(١٨) راجع ذلك فى الاسرار ص ٢٧٧ وفى الدلائل ص ٥٢ .

ملاحظة :

خلاصة ادلة القائلين بان مثل « زيد اســد » تشبيه بليغ هى :

١ — مثل « محمد بحر وزيد اســد » يمتنع ثبوت بحر لمحمد واســد لزيد على الحقيقة فلا بد من تاويل يصحح هذا الاثبات وهو تقدير اداة التشــبيه .

٢ — الاستعاره لا يساق تركيبها لافادة الحكم بالمشابهة فان امر المشابهة مفروغ منه واسلوبها سيق لحكم آخر وراء المشابهة ، والتشبيه البليغ يفيــد الحكم بالمشابهة فقط .

٣ — الاستعارة التشبيه فيها لا يدركه الانسان لاول نظر اما التشبيه البليغ فالتشبيه فيه واضح .

٤ — التشــبيه يقتضى المغايرة بين المعنى وما وضع له والا لزم تشبيه الشيء بنفسه و « اســد » فى « زيد اسد » مستعمل فيما وضع =

الكلام لفظ دلت القرينة على تشبيه شيء بمعناه فيكون ذلك على وجهين:

أحدهما (١٩) أن لا يكون المشبه مذكورا ولا مقدورا ، كقولك غنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة ، ولقيت أسدا وأنت تريد رجلا شجاعا ، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وان الاسم فيه استعارة .

والثانى أن يكون المشبه مذكورا أو مقدرا (٢٠) ، فاسم المشبه به ان كان خبرا(٢١) أو فى حكم الخبر : كخبر كان وان والمفعول الثانى لباب علمت والحال ، فالأصح أنه يسمى تشبيها ، وان الاسم فيه لا يسمى استعارة لأن الاسم (٢٢) اذا وقع هذه المواقع ، فالكلام (٢٣) موضوع لاثبات معناه لما يعتمد (٢٤) عليه أو نفيه عنه ، فاذا قلت « زيد أسد » فقد وضعت كلامك فى الظاهر لاثبات معنى الأسد لزيد ، واذا امتنع اثبات ذلك له على الحقيقة ، كان لاثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتلابه لاثبات التشبيه ، فيكون خليقا بأن يسمى تشبيها ، اذ كان انما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ، فان الاسم

= له وان تضمن تشبيهشيء به ، فليس مرادا به معنى آخر لأنه اذا كان معناه غير المعنى الموضوع له لم يصح تشبيه معناه بالمعنى الموضوع له لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه حينئذ ، على انه لا يصح جعله من الاستعارة لأن الاستعارة مجاز تضمن تشبيه معناه المجازى بمعناه الموضوع له فلا يتناول ما استعمل فيما وضع له لكون « اسد » مستعملا فى معناه الحقيقى من قولك « زيد اسد » . ويمكن رد هذا الدليل الأخير بأن « اسد » استعملت فى غير ما وضعت له وهو شجاع .

(١٩) راجع ذلك فى الأسرار ص ٢٧٨ .

(٢٠) راجع ذلك فى الاسرار ص ٢٧٩ وفى السبكى ٢٩٨ ج ٣ .

(٢١) استثنى من ذلك السبكى ما المشبه به خبر عن المشبه وهو تمثيل مثل « الارض جميعا قبضته يوم القيامة » (٣٠٣ ج ٣ السبكى) .

(٢٢) وهو المشبه به .

(٢٣) هذا تحقيق لأعم الفروق بين الاستعارة والتشبيه وراجع ذلك فى الأسرار ص ٣٨٣ وما بعدها .

(٢٤) وهو المبتدأ .

فيها لم يجتلب لاثبات معناه للشيء ، كما اذا قلت « جاءنى أســـد ورأيت أســدا » فان الكلام فى ذلك موضوع لاثبات المجيء واقعا من الأســد ، والرؤية واقعة منك عليه ، لا لاثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لاثبات التشبيه ، وصار قصد التشبيه مكنونا فى الضمير لا يعلم الا بعد الرجوع الى شيء من النظر .

ووجه آخر فى كونه التشـــبيه مكنونا فى الضمير (٢٥) ، وهو اذا لم يكن المشبه مذكورا ، جاز أن يتوهم السامع فى ظاهر الحال أن المراد باسم المشبه به ما هو موضوع له ، فلا يعلم قصد التشـــبيه فيه الا بعد شيء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية ، فانه يمتنع ذلك فيه مع كون المشبه مذكورا أو مقدرا .

ومن الناس من ذهب الى ان الاســـم فى الحـــالة الثانية (٢٦) استعارة ، لاجرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه (٢٧) .

---

(٢٥) اى فى مثل « رايت اسدا » .

(٢٦) اى السابقة وهى مثل « زيد اسد » .

(٢٧) وممن ذهب الى ذلك السعد الذى راى ان المراد باللفظ فى مثل ذلك المعنى المجازى ، فزيد اسد معناه زيد رجل شجاع كأسد ، محذف المشبه — وهو رجل شجاع — واداة التشبيه واستعمل المشـــبه به فى معنى المشبه ، فهو استعارة ، وأيد ذلك بان المشبه به كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور مثل قول عمران بن حطان :

اســـد على وفى الحـــروب نعامة   فتخاء تنفر من صـــفير الصـــافر

فالمعنى « اسد مجترىء — صائل على » .

ورد رايه بان تفسيره لنحو « زيد اسد » بذلك التفسير تكلف ظاهر، وبأن الجار والمجرور متعلق بالأداة لـــما فيها من معنى الفعل وهو «اشبه»، كما قيل فى قوله تعالى « وما انت بنعمة ربك بمجنون » ، فتعلق الجـــار والمجرور بلفظ « ما » لـــما فيها من معنى النفى اى انتفى ذلك بنعمة ربك=

وهذا خلاف لفظى (٢٨) ، راجع الى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه فى الاصطلاح (٢٩) ، وما اخترناه (٣٠) هو الاقرب ، لما أوضحنا من المناسبة ، وهو اختيار المحققين : كالقاضى أبى الحسن الجرجانى (٣١) ، والشيخ عبد القاهر ، والشيخ جار الله العلامة ، والشيخ صاحب المفتاح (٣٢) رحمهم الله .

= قيل ويؤيد ايضا ان لفظ المشبه به وهو اسد استعارة ان العرب تعامل مثل هذا معاملة ما اتفق على انه استعارة فيلاحظون فيه الادعاء وتناسى التشبيه وينبون على ذلك فى هذا التركيب ما يبنونه عليه فى الاستعارة من الترشيحات ، فيقولون مثلا :

هى الشمس مسكنها فى السماء   فعز الفؤاد عزاء جميلا

والصحيح ان الذين يذهبون الى ان مثل هذا الاسلوب « زيد اسد » استعارة لا يريدون جعله من الاستعارة المعروفة ، بل يعتبرونه نوعا ثانيا من الاستعارة ويفسرون الاستعارة بمعنى يشمله ، فيقولون هى « اجراء لفظ المشبه به على المشبه سواء كان ذلك باستعمال لفظ المشبه به فى المشبه مثل رايت بدرا وهو الاستعارة المعروفة ، او بجعله عليه مثل « هى بدر » وهو النوع الآخر .

ولذلك صح ان الخلاف لفظى .

(٢٨) قال السبكى فى هذا نظر لأن الخلاف معنوى ، فعلى القول بالاستعارة يكون الأسد مجازا وعلى القول بالتشبيه يكون حقيقة قطعا ، وقول المصنف « راجع الى الكشف عن معنى الاستعارة » صحيح ، ولكن ليس الكشف عن معناها لفظيا بل معنويا نعم يمكن ان يقال ان هذين اصطلاحان لا يدفع احدهما الآخر (راجع ٣٠٢ جـ ٢ السبكى) .

(٢٩) فكانهم لم يحرروا موضع الخلاف ليتوارد النفى والاثبات على شىء واحد .

(٣٠) من انه تشبيه لا استعارة .

(٣١) صاحب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » والمتوفى عام ٣٩٢ هـ

(٣٢) راجع ص ١٥١ مفتاح ، ٢٩٨ جـ ٣ السبكى . ويرى السبكى ان مثل « زيد اسد » تارة يقصد به التشبيه فتكون الاداة مقدرة ، وتارة يقصد به الاستعارة فلا تكون مقدرة ويرجع فى تعيين احدهما الى المقام (٢٨٩ جـ ٣ السبكى ، ٥٩ جـ ٤ السبكى ايضا) .

غير أن الشيخ عبد القاهر (٣٣) بعد تقدير ما ذكرنا : فان أبيت الا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم :

١ — فان حسن دخول ادوات التشبيه لا يحسن اطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة ، كقولك زيد الأسد ، وهو : شمس النهار ، فانه يحسن أن يقال زيد كالأسد ، وخلته شمس النهار ، .

٢ — وان حســن دخول بعضــها دون بعض هان الخطب في اطلاقه ، وذلك كان يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك زيد أسد ، فانه لا يحسن أن يقال زيد كأسد (٣٤) ويحسن أن يقال كأن زيدا أسد ، ووجدته أسدا .

٣ — وان لم يحسن (٣٥) دخول شيء منها الا بتغيير لصــورة الكلام ، كان اطلاقه اقرب ، لغموض تقدير اداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ، كقولك فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب ، وكقوله (٣٦) .

شمس تألق والفراق غروبهــا   عنا وبدر والصــدود كســوفه

فانه لا يحسن دخول الكاف ونحــوه في شيء من هــذه الأمثلة ونحوها ، الا بتغيير صورته ، كقولك هو كالبدر الا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس الا أنه لا يغيب ، وكالشمس المتألقة الا ان الفراق غروبها ، وكالبدر الا أن الصدود كسوفه .

---

(٣٣) راجع ٢٨٥ من الاسرار وما بعدها .

(٣٤) علل ذلك السبكي بانه كانه لاحظ في امتناع حســن « زيد كأسد » انه تشبيه بفرد من افراد الأسد مع أن المقصود تشبيه بحقيقة الأسد وجنسه (٣٠٢ ج ٣ السبكي) .

(٣٥) راجع ٢٨٥ و ٢٨٦ من الاسرار .

(٣٦) أي البحتري .

وقد (٣٧) يكون فى الصفات والصلات التى تجىء فى هذا النحو ما يحيل تقدير أداة التشبيه فيه ، فيترب اطلاقه أكثر ، وذلك مثل قول أبى الطيب :

أسددم الأسد الهزبر خضـــابه   موت فريص الموت منه يرعد (٣٨)

فانه لا سبيل الى أن يقال المعنى هو كالأسد وكالموت، لما فى ذلك من التناقض ، لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزبر الذى هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يصح أن يشبه بالموت المعروف ، ثم يجعل الموت يخاف منه ، وكذا قول البحترى (٣٩) :

بدر أضاء الأرض شرقا ومغربا   وموضع رجلى منه أسود مظلم

ان (٤٠) رجع فيه الى التشبيه الساذج ، حتى يكون المعنى هو كالبدر ، لزم أن يكون قد جعل البدر المعروف موصوفا بما ليس فيه ، فظهر أنه انما أراد أن يثبت من الممدوح بدرا له هذه الصفة العجيبة التى لم تعرف للبدر ، فهو مبنى على تخييل أنه زاد فى جنس البدر واحدا له تلك الصفة (٤١) ، فالكلام موضوع لا لاثبات الشبه بينهما ،

---

(٣٧) راجع ٢٨٦ من الاسرار .

(٣٨) الخضاب : ما يخضب به . الفريص واحده فريصة وهى لحمه بين الثدى والكتف وقيل بين الجنب والكتف .

(٣٩) قبله :

سحاب خطانى جوده وهو صيب   وبحر عـــدانى سـيله وهو مفعم

وهو من قصيدة له فى مدح الفتح بن خاقان .

(٤٠) راجع ذلك فى الاسرار ص ٢٨٧ وفى المفتاح ص ١٥١ .

(٤١) اى فقصد ادعى حدوث شىء من الجنس المذكور الا انه اختص بصفة عجيبة فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى .

ولكن لاثبات تلك الصفة ، فهو كقولك زيد رجل كيت وكيت ، لم تقصد اثبات كونه رجلا ، لكن اثبات كونه متصفا بما ذكرت ، فاذا لم يكن اسم المشبه به فى البيت مجتلبا لاثبات الشـبه ، تبين أنه خارج عن الأصل الذى تقدم من كون الاسم مجتلبا لاثبات الشبه ، فالكلام فيه مبنى على أن كون الممدوح بدرا أمر قد استقر وثبت ، وانما العمل فى اثبات الصفة الغريبة .

وكما يمتنع دخول الكاف فى هذا ونحوه يمتنع دخول « كأن » ونحوه « تحسب » ، لاقتضائهما أن يكون الخبر والمفعول الثانى أمرا ثابتا فى الجملة ، الا أن كونه متعلقا بالاسم والمفعول الأول مشكوك فيه ، كقولنا كأن زيدا منطلق ، أو خلاف الظاهر كقولنا كأن زيدا أسد ، والنكرة (٤٢) فيما نحن فيه غير ثابتة ، فدخول كأن وتحسـب عليها كالقياس على المجهول (٤٣) . وأيضا هـذا النحو اذا فليت عن سره وجدت محصوله أنك تدعى حدوث شىء هو من الجنس المذكور الا أنه اختص بصفة عجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس ، فلم يكن لتقدير التشبيه معنى (٤٤) .

---

(٤٢) وهى المشبه به .

(٤٣)، معروف أن المشبه به هنا غير ثابت بالنظر لاجراء صفة عليه ليست له فاذا قلت « كأنه اسد دم الاسد الهزبر خضابه » كنت قد شبهت بمجهول او قست على مجهول .

(٤٤) تعليل عبد القـاهر فى منع كونه تشـبيها يقتضى منع كونه استعارة ايضا فانها مبنية على التشبيه مع انه لا يمنع تقدير اداة التشبيه من اجراء الصفة على المشبه فى قولك الممدوح فريص الموت يرعد منه ، لانه لم يرد تشبيه زيد بالموت المعتاد بل بموت له تلك الصفة مبالغة فى اعلاء المشـبه عن المشـبه به . ويمكن ان يقال ان عبد القاهر لا يمنع كونه تشبيها بل هو لا يستحسن فيه وفى مثله التشبيه .

هذا وخلاصة ادلة الشيخ فى اطلاق اسم الاستعارة على مثل ذلك هى :

١ — تقدير الاداة وجعله تشـبيها سائغا يبعد او يحيل صحة =

التجريد وهل هو استعارة أو تشبيه ؟ :

وان (٤٥) لم يكن اسم المشبه به خبرا للمشبه ولا في حكم الخبر ، كقولهم « رأيت بفلان أسدا » ، و « لقينى منه أسد » سمى تجريداً (٤٦) كما سيأتى ان شاء الله تعالى .

ولم يسم (٤٧) استعارة :

١ — لأنه انما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة اذا جرى بوجه على ما يدعى انه مستعار له (٤٨) :

اما باستعماله فيه أو باثبات معناه له ، والاسم في مثل هـذا

= الوصف ، ومع عدم تقديرها يكون اجراء وصف المشبه على المشبه به سائغا .

٢ — الاسلوب الذى معنا مبنى على تخييل أن المشبه به قد زاد فردا آخر عجيبا لمـا اختص به من الصفة العجيبة .

٣ — المقصود من نحو « هو اسد ترعد منه الاسود » اثبات صفة زائدة على المشابهة وهذا نظير الاستعارة .

٤ — عند تقدير « كان » او « تحسب » تكون قد شبهت بمجهول أو قست على مجهول .

٥ — التناقض في بيت ابى الطيب ان قدرت الاداة ، فالبيت يفهم ان الممدوح فاق المشبه به ، وتقديرها يفهم انه مثله او دونه .

(٤٥) هذا معطوف على قوله سابقا « فاسم المشبه به أن كان خبرا او في حكم الخبر كخبر كان وان والمفعول الثانى لباب علمت والحال » .

(٤٦) راجع ذلك في ٣٢٦ المطول في خاتمة باب التشبيه ، و ٣٢٦ دلائل ، و ٢٩١ و ٢٩٢ من الاسرار ، ١٥٠ من المفتاح .

والتجريد ان ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر له تلك الصفة للدلالة على كمال تلك الصفة في المنتزع منه .

وسياتى في البديع .

(٤٧) اى التجريد .

(٤٨) وذلك بان يكون خبرا عنه او حالا او صفة على ما سبق .

غير جار على المشبه بوجه .

٢ — ولأنه يجيء على هذه الطريقة ما لا يتصور فيه التشبيه فيظن (٤٩) انه استعارة كقوله تعالى « لهم فيها دار الخلد » اذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد ، اذ هي نفسها دار الخلد ، وكقول الشاعر (٥٠) :

يا خير من يركب المطي ولا   يشرب كأسا بكف من بخلا

فانه لا يتصور فيه التشبيه ، وانما المعنى أنه ليس ببخيل ، ولا يسمى تشبيها أيضا ، لأن اسم المشبه به لم يجتلب فيه لاثبات التشبيه كما سبق .

وعده الشيخ صاحب المفتاح تشبيها (٥١) والخلاف أيضا لفظى (٥٢) .

الاستعارة مجاز (٥٣) لغوى لا عقلى :

والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوى (٥٤) : كونها موضوعة

---

(٤٩) معطوف على « يتصور » لا منصب عليه النفي أيضا .
(٥٠) وهو الأعشى .
يريد ان الممدوح يشرب والانسان شأنه ان يشرب بكف نفسه ، فهو يشرب بكف رجل كريم يعني نفسه ، ولا يشرب بكف رجل بخيل .
(٥١) ١٥١ مفتاح وراجع ٢٩١ من الاسرار .
(٥٢) اي راجع الى الاصطلاح كما قال القلقشندي .
ملاحظة :
قيل ان التجريد استعارة بالكناية فاذا قلت « لقيت من خالد أميرا » كان « خالد » هو لفظ المشبه ولفظ « أمير » قرينة ؟
والصواب انه لا تشبيه ولا استعارة ولكن المنتزع قد يكون حقيقة مثل لقيت من محمد صديقا وفيا وقد يكون مجازا مثل « لقيت منه أسدا » اي رجلا شجاعا
(٥٣) راجع ١٥٧ مفتاح ، ٣٢٢ و ٣٥٣ — ٣٥٥ من الاسرار .
(٥٤) اي فالمراد به هنا ما قابل العقلي لا ما قابل الشرعي والعرفي .

للمشبه به ، لا للمشبه ، ولا لأمر منهما (٥٥) كالأسد ، فانه موضوع للسبع المخصوص ، لا للرجل الشجاع ، ولا للشجاع مطلقا ، لأنه لو كان موضوعا لأحدهما لكان استعماله فى الرجل الشجاع من جهة التحقيق ، لا من جهة التشبيه ، وأيضا لو كان موضوعا للشجاع مطلقا لكان وصفا لا اسم جنس (٥٦) .

وقيل الإستعارة مجاز (٥٧) عقلى ، بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى (٥٨) ، لأنها (٥٩) لا تطلق على المشبه (٦٠) الا بعد

= فهى لفظ استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة ، والمراد بالاستعارة هنا الاستعارة المصرحة .

(٥٥) اى من المشبه والمشبه به .

اى مما يستلزم كون اطلاقه على كل منهما حقيقة اذ لو كان اللفظ موضوعا للأعم لكان متواطئا او مشككا فيكون حقيقة فيهما كاطلاق الحيوان على الاسد والرجل .

(٥٦) وكل هذا على اى حال معلوم بالنقل عن ائمة اللغة قطعا ، فاطلاقه على المشبه وهو الرجل الشجاع اطلاق على غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة ما وضع له فيكون مجازا لغويا .

فاستعمال لفظ الاعم فى الأخص من حيث العموم — اى ليفهم منه فى ذلك الاخص معناه الاعم — حقيقة ، وانما يكون مجازا اذا قصد من حيثه خصوصه ودلت القرينة على قصد النقل بخصوصه العلاقة ، وقيل ان استعمال العام فى الخاص حقيقة مطلقا . فاذا لقيت زيدا وقلت رأيت رجلا او انسانا او حيوانا فذلك حقيقة اذ لم يستعمل اللفظ الا فى معناه الموضوع له ، الا اذا قصد لفظ العام من حيث خصوصه لعلاقة مع قرينة فيكون مجازا .

(٥٧) اى لا بمعنى الاسناد الى غير من هو له بل بالمعنى الآتى .

(٥٨) اى لا بالمعنى السابق فى الاسناد فالمجاز العقلى المراد به التصرف فى امر عقلى اى يدرك بالعقل وهو المعانى العقلية والتصرف فيها بادعاء ان بعضها وهو المشبه داخل فى البعض الآخر وهو المشبه به بجعل الآخر شاملا له على وجه التقدير وحسن ذلك الادخال وجود المشابهة بينهما فى نفس الأمر .

(٥٩) اى الإستعارة بمعنى الكلمة كلفظ اسد .

(٦٠) اى كالرجل الشجاع .

ادعاء دخوله (٦١) في جنس المشبه به (٦٢) •

لأن نقل الاسم وحده (٦٣) لو كان استعارة :

١ — لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة (٦٤) :

٢ — ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة (٦٥) لأنه لا بلاغة في اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه •

٣ — ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسداً يعني زيدا انه جعله (٦٦) أسدا ، كما لا يقال لمن سمى ولده أسدا انه جعله أسدا ، لأن جعل اذا تعدى الى مفعولين كان بمعنى صير فأفاد اثبات صفة للشيء ، فلا نقول جعلته أميرا الا على معنى أنك أثبت له صفة الامارة ، وعليه قوله تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا » المعنى أنهم أثبتوا صفة الأنوثة واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة اطلاق اسم الاناث عليهم لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم ، بدليل قوله تعالى (أشهدوا خلقهم) (٦٧) •

---

(٦١) اى دخول المشبه •

(٦٢) بان جعل الرجل الشجاع فردا من افراد الأسد • اى فهى مستعملة فيما وضعت له فهى غير مجاز لغوى بل مجاز عقلى •

(٦٣) اى نقل اللفظ مجردا عن معناه •

(٦٤) يرد ذلك بان النقل فى الاستعارة لعلاقة المشابهة وفى الاعلام لغير علاقة •

(٦٥) راجع ٣٢٢ و ٢٨١ من الدلائل ، ٣٥٤ الاسرار •

(٦٦) راجع ٣٥٤ من الاسرار ، ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٣٦ من الدلائل •

(٦٧) راجع ٣٥٣ و ٣٥٤ من الاسرار •

ملاحظة :

الخلاصة ان المبالغة والادعاء لا ينكرهما من جعل المجاز لغويا ، وكون اللفظ اطلق على غير معناه الحقيقى لا ينكره من جعله عقليا ، وانما =

واذا كان (٦٨) نقل الاسـم تبعا لنقل المعنى (٦٩) كان الاسـم مستعملا فيما وضع له ، ولهذا (٧٠) صح التعجب فى قول ابن العميد :

قامت تظللنى من الشمس   نفس أعز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب   شمس(٧١) تظللنى من الشمس

والنهى (٧٢) عنه فى قول الآخر (٧٣) :

لا تعجبـوا من بلى غلالتـه   قد زر أزراره على القمـر (٧٤)

= النزاع فى انه هل يسمى لغويا نظرا للاطلاق على غير المعنى الاصلى ، او عقليا نظرا لذلك الادعاء فعاد الخلاف لفظيا اصطلاحيا .

(٦٨) راجع ١٥٧ مفتاح ، ٢٦٤ من الاسرار .

(٦٩) بمعنى انه اثبت له معنى الأسد الحقيقى ادعاء ثم اطلق عليه اسم الاسـد فيكون الأسد مستعملا فيما وضع له . فالتجوز انما كان فى المعانى بجعل بعضها نفس غيرها ثم اطلق اللفظ ، فتسميته مجازا عقليا ظاهر ، واما تسميته استعارة فباعطاء حكم المعنى للفظ لان المسـتعار على هذا هو معنى المشبه به بجعل حقيقته لمـا ليس حقيقة له وهو المشبه. فالمراد بالمجاز العقلى هذا التصرف فى امر عقلى (اى يدرك بالعقل) على خلاف ما فى الواقع ، والتصرف فيها بادعاء ان بعضها (المشـبه) داخل فى البعض الآخر (المشبه به) وفرد من افراده .

(٧٠) اى ولان اطلاق اسم المشبه به على المشبه انما يكون بعـد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به .

(٧١) اى غلام جميل ، وتانيث الضمير فى « قامت » باعتبار اسناده الى « نفس » هذا فلولا انه ادعى لذلك الغلام معنى الشمس الحقيقى وجعله شمسا على الحقيقة لمـا كان لهذا التعجب معنى اذ لا تعجب فى ان يظلل انسان حسن الوجه انسانا آخر . وقال العصام : لم لا يجوز ان يكون التعجب من استخدامه من بلغ فى الحسن منزلة الشمس ؟

(٧٢) اى وصح النهى عن التعجب .

(٧٣) هو ابن طباطبا الشريف بن محمد بن احمد (راجع ص ٩ من طراز المجالس) والبيت فى ٢٧١ و ٦٧ من المطول ، ٢٢٣ ج ٩ الدسوقى وفى الجزء الاول من شروح التلخيص ايضا فى آخر باب المجاز العقلى .

(٧٤) الغلالة : شعار صغير يلاقى البدن يلبس تحت ثوب اوسع =

وقوله (٧٥) :

ترى الثياب من الكتان يلمحها نور من البــدر أحيــانا فيبليهــا
فكيف تنكر أن تبــلى معاجرها والبــدر في كل وقت طالع فيهــا

والجواب (٧٦) عنه : ان ادعاء دخول المشــبه في جنس المشبه به لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملا في غير ما وضع (٧٧) له ، وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاء لحق المبــالغة .

= منه . زر : شد فلولا انه جعله قمرا حقيقيا لمــا كان للنهي عن التعجب معنى ، لأن الكتان انما يسرع اليه البلى بسبب ملابســة القمر الحقيقي لا بملابسة انســان كالقمر في الحسن . لا يقــال : القمر في البيت ليس باستعارة لأن المشبه مذكور وهو الضمير في غلالته وازراره . لانا نقول : ذكر المشــبه هنا على هذا الوجه لا ينــاق الاستعارة لأنه لا ينبيء عن التشبيه ، والمناق لهــا انما هو الجمع بين الطرفين على وجه ينبيء عن التشبيه بحيث يكون المشبه به خبرا عن المشبه او حالا منه او صفه له ، واما اذا ذكر المشبه لا على وجه ينبيء عن التشبيه كما في البيت لعــدم جريان المشبه به عليه حتى يسهل تقدير الأداة نظرا للمعنى فهو استعارة . ثم هذا يقتضي ان يكون نحو « لجين المــاء » استعارة مع انهم صرحوا انه تشبيه ، وقد يقال ان تصريحهم بذلك لا يناق كونه استعارة . ومثل زر ازراره على القمر في أن ذكر الطرفين فيــه على وجه لا ينبيء عن التشبيه قولك « سيف زيد في يد اســد » فالجمع هنا بين المشــبه والمشــبه به (زيد اســد) على وجه لا ينبي عن التشبيه لأن هــذا التركيب ونحوه لا يتــاتى فيه تقدير الأداة الا بزيادة في التركيب او نقص منه بحيث يتحول الكلام عن اصله .

(٧٥) هو ناصر الدولة ابو المطاع الحمداني (ص ٩ طراز المجالس) وهما في الأسرار ص ٢٦٦ . يبليها : يخلقها ، والعرب تزعم أن البــدر يبلي الثياب الجمــيلة . المعاجر جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأســها .

(٧٦) راجع ٣٥٨ من الاسرار .

(٧٧) العلم بان اسدا في « رايت اسدا يرمي » مستعمل في الرجل =

فان قيل (٧٨) اصرار المتكلم على ادعاء الاسدية للرجل ينافى نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، قلنا : لا منافاة ، ووجه التوفيق ما ذكره السكاكى (٧٩) ، وهو أن تبنى دعوى الاسدية للرجل على ادعاء ان افراد جنس الاسد قسمان بطريق التأويل : متعارف وهو الذى له غاية الجراءة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة ، وغير متعارف وهو الذى له تلك الجراءة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى ، على نحو ما ارتكب المتنبى هذا الادعاء فى عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من جنس الطير حين قال :

= الشجاع وان ادعى ان الرجل الشجاع فرد من افراد الاسد بعد تشبيهه به اذ تقرير الشىء نفس الشىء لا يقتضى كونه اياه حقيقة .

فحاصل هذا الجواب رد الصغرى القائلة : الاستعارة لفظ استعمل فيما يوضع له بعد الادعاء .

فاسد فى المثال مستعمل فى الرجل الشجاع وهو موضوع للسبع المخصوص . وتحقيق ذلك ان الادعاء لا يقتضى كون الاستعارة مستعملة فيما وضعت له اذ ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به مبنى على انه جعل افراد الاسد بطريق التاويل قسمين على ان الاسد موضوع القدر المشترك بينهما وهو مجترىء : فاحدهما هو المتعارف وهو الحيوان المخصوص والثانى غير المتعارف وهو المشبه اى الرجل الشجاع ولفظ الاسد انما هو موضوع للمتعارف فاستعماله فى غير المتعارف استعمال فى غير ما وضع له والقرينة مانعة عن ارادة المعنى المتعارف — لا عن ارادة الجنس بقسميه — ليتعين المعنى الغير المتعارف . وحاصل هذا ان الادعاء يقتضى كونها مستعملة فيما وضعت له اذ معناه جعل المشبه به مؤولا بوصف مشترك بين المشبه والمشبه به وادعاء ان لفظ المشبه به موضوع لذلك الوصف وان افراده قسمان : متعارف وغير متعارف فالموضوع له الفرد المتعارف والمستعمل فيه غير المتعارف .

فالاصرار على دعوى الاسدية بالمعنى غير المتعارف ونصب القرينة انما يمنع من ارادة الاسدية بالمعنى المتعارف فلا منافاة .

(٧٨) راجع ١٥٨ من المفتاح .

(٧٩) ١٥٨ مفتاح .

نحن قوم الجن فى زى ناس   فوق طير لها شخوص الجمال (٨٠)

مستشهد لدعواه هاتيك بالمخيلات العرفية ، وأن تخصص القرينة بنفيها المتعارف الذى يسبق الى الفهم ليتمين الآخر .

ومن البناء على هذا التنويع قوله (٨٢) :

(وخيل قـد دلفت لهـا بخيل)   تحيـة بينهم ضرب وجيـع

وقولهم « عتابك السيف (٨٣) » ، وقوله تعالى « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم (٨٤) » ، ومنه قوله :

وبلدة ليس بهـا أنيس   ألا اليعافير والا العيس (٨٥)

---

(٨٠) البيت فى المفتاح ص ١٥٨ وطراز المجالس ص ٢٩ و ٤٢ ، ص ٣٣٣ من الدلائل ، ٤٩١ ج ١ السبكى . وقال الشـهاب الخفاجى : لا قلب فى البيت وهو استعارة . وحملة ابن جنى على القلب وان المعنى نحن قوم من الانس فى زى الجن . فالشاعر قـد اخرج قوما من جنس الانسان وجعلهم من الجن فصار الجن نوعين : النوع المعروف ، وقوم أبى الطيب . وكذلك يقال فى الجمال . هذا والشطر الاول تشبيه والثانى اسـتعارة .

(٨١) معطوف على قوله سابقا « ان تبنى دعوى الاسدية للرجل » .

(٨٢) البيت لعمرو بن معدى كرب (٣٦٥ و ٤٢٩ ج ١ سيبويه) .
دلف : نهض وتقدم . فبهذا صار للتحية فردان : المعروف وضرب هؤلاء الفرسان . والشطر الثانى تشبيه تهمى :

(٨٣) فجعل العتاب فردا غير معروف له وهو السيف وراجع فى ذلك ٢٨٤ و ٢٨٥ من الدلائل .

(٨٤) اى الا اتيان من اتى الله بقلب سليم ، والاتيان ليس من المال والبنين ولكن يمكن ان يتخيل هذا .

(٨٥) البيت لجران العود النميرى وهو فى ١٣٣ و ٥٦٣ ج ١ الكتاب لسيبويه و ٥٨ و ٢١٥ مفتاح ، و ٣١ طراز المجالس .
اليعافير جمع يعفور وهو ولد البقرة . العيس : الابل التى يخالط بياضها صفرة جعل اليعافير والعيس مما يؤنس به تخيلا وقـد سبقت ..

واذ قد عرفت معنى الاستعارة وأنها مجاز لغوى فاعلم :

(١ —) أن الاستعارة تفارق الكذب (٨٦) من وجهين : بناء الدعوى فيها على التأويل (٨٧) ، ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها ، فان الكاذب يتبرأ من التأويل ، ولا ينصب دليلا على خلاف زعمه .

(٢ —) وانها لا تدخل فى الاعلام (٨٨) لما سبق من أنها تعتمد ادخال المشبه فى جنس المشبه به ، والعلمية تنافى الجنسية (٨٩) ، وأيضا

== هذه الأمثلة كلها لبيان ان الادعاء مذهب معروف للعرب وموجود فى كلامهم، لا لذكر امثلة للاستعارة فان الأمثلة المذكورة ليست استعارة ولا تشبيها كما قيل لأن الاستعارة فيها ادعاء ضمنى اما الادعاء الصريح فأسلوبه ليس استعارة ولا تشبيها وقال السبكى : وفيه نظر لان البيت والآية على احد القولين الاستثناء فيهما منقطع فلا يقدر المستثنى فردا من افراد المستثنى منه والا لكان متصلا .

هذا ومن مثل هذا التخييل قول ابن الايهم التغلبى :

ليس بينى وبين قيس عتاب   غير طعن الكلى وضرب الرقاب

(٣٦٥ ج ١ سيبويه) .

(٨٦) راجع ١٥٨ مفتاح .

(٨٧) أى فى المشبه به يجعله كليا صادقا على المشبه فيكون له فردان: متعارف وغير متعارف ففى كل استعارة تاويل ودعوى ان المشبه فرد من افراد المشبه به ، ولا كذب اصلا مع هذا الادعاء .

(٨٨) فلا تكون الاستعارة علما شخصيا ، اما العلم الجنسى فتجرى فيه الاستعارة كاسم الجنس ، بخلاف علم الشخص . اما المجاز المرسل فيجوز فى العلمية اذ لا مانع من كونه علما لصحة ان يكون للعلم لازم ولو غير مشتهر يستعمل فيه لفظ العلم (وراجع ذلك فى المفتاح ص ١٠٧) .

(٨٩) اى التى تقتضيها الاستعارة لان العلم يقتضى التشخيص اى تشخص معناه وتعينه خارجا . اما فى علم الجنس فيمكن العموم فى معناه لكونه ذهنيا ، والمعنى الذهنى لا ينافى تعدد الافراد له .

هذا والسعد والسيد والعصام يجيزون الاستعارة فى العلم الشخصى، اذ لا لزوم عندهم للتاويل بكلى ولا لهذا الادعاء بل يكفى فى الاستعارة =

لأن العـلم لا يدل الا على تعين شيء من غير اشـعار بأنه انسـان أو فرس أو غيرهما ، فلا اشتراك بين معناه وغيره الا في مجرد التعين ونحوه من العوارض العـامة ، التي لا يكفى شيء منهـا جامعا في الاستعارة ، اللهم الا اذا تضمن (٩٠) نوع وصفية . لسبب خارج ، كتضمن اسم حاتم الجواد ، ومادر البخيل ، وما جرى مجراهما .

= ادعاء ان المشبه عين المشبه به فتدخل الاستعارة في الاعلام الشخصية .
قال السيد على المفتاح : لا نسـلم ان الاستعارة تعتمد على الادخال المذكور لان المقصود من الاستعارة المبالغة في حال المشبه بانه يساوي المشبه به فيه وذلك يحصل بجعل المشبه من جنس المشبه به ان كان اسم جنس او جعله عينـه ادعاء ان كان علم شخص فان المقصود من رايت حاتما انه راى عين ذلك الشخص لا فردا من افراد الجواد . ورد عبد الحكيم قوله لان الادخال لا داعى اليه فان المبالغة تحصل ايضا بادعاء الاتحاد ولان جعله عينه فيما اذا كان علم شخص ان كان لا عن قصد فهو غلط وان كان عن قصد فهو وضع جديد او دعوى باطلة ان كان من غير تأويل وحينئذ فلا بد من التاويل وهو انما يكون بادخاله فيه .

(٩٠) اى الا اذا تضـمن العـلم نوع وصـفية لسبب اشـتهار مدلول العلم بوصف من الاوصاف بحاث متى اطلق ذلك العلم فهم منه ذلك الوصف فلذلك يكون كلبا تاويلا كحاتم يفهم منه الجواد فصار كأنه موضوع للجواد وهو معنى كلى فيصح اطلاق لفظ حاتم على زيد الكريم فنقول فيه « رايت اليوم حاتما » بسبب تشبيه زيد بحاتم في الجود وملاحظة ان حاتم كأنه موضوع للجواد وان زيدا فرد من افراده .

وقال السبكى : لا حاجة لذلك بل انما كان العلم هنا استعارة لانه صار نكرة لا علما كما كان : فهو استعارة تبعية : وقـد اختلف في لفظ حاتم وما شابهه هل الاستعارة فيه اصلية او تبعية ؟ اختار السعد انها اصلية ومعنى حاتم رجل يلزمه الجود لا الجواد .

(قرينـــة الاســـتعارة (٩١))

وقرينة الاستعارة : اما معنى واحد كقولك رأيت أســـدا يرمى ، أو أكثر (٩٢) كقول بعض العرب :

فان تعـــافوا العدل والايمـــانا فان فى أيمانِنـــــا نيرانـــا (٩٣)

أى سيوفا تلمع كأنها شعل نيران ، كما قال الآخر :

ناهضتهم والبارقات كأنهـــــا شـــعل على أيديهم تتلهب (٩٤)

---

(٩١) راجع ذلك فى ١٥٩ من المفتـــاح ، و ص ٢٣٢ دلائل الاعجاز وما بعدها . هذا والقرينة لازمة لكل مجاز ، فتقسيم القرينة فى المجـــاز المرسل والمكنية ايضا . وتخصيص قرينة الاستعارة بالبيان للاعتناء بها . قال العصام : ولا داعى لجعل قرينة المكنية واحدا والزائد عليه ترشيحا.

هذا والقرينة اما لفظية او عقلية . وهى فى الاستعارة التصريحية من ملائمات المشبه . وفى المكنية من ملائمات المشبه به كالأظفار .

(٩٢) أى امران او امور كل واحد منها قرينة وليس واحد منها ترشيحا ولا تجريدا لعدم ملاءمته للطرفين ملاءمة شديدة وما ذكره المصنف من جواز تعـــدد القرينة هو الحق وقيل لا يجوز تعدد قرينة الاســتعارة بل ان كان الصارف من ارادة المعنى الحقيقى جميع الأمور فكلها وحدة هى القرينة وان كان الصارف كل واحد فالاول قرينة وما عداه تجريد أو ترشيح .

(٩٣) تجده فى الدلائل ص ٢٣٢ . تعافوا : تكرهوا . الايمان جمع يمين اى فى أيدينا ويصبح قراءته بكسر الهمزة كالذى قبله .

فارتباط قوله « تعافوا » بكل من العدل والايمان قرينة على ان المراد بالنيران السيوف . والاولى ان يقال فكل واحد من العدل والايمان باعتبار تعلق الاعافة به قرينة لأن القرينة لا تكون الا لفظة والتعلق ليس كذلك ، ثم لم يجعل احدهما قرينة والآخر تجريدا لأن مجموع الأمرين بمنزلة شىء واحد ولكن لو انفرد احدهما لكفى .

وذلك لأن كلا من العدل والايمان باعتبار تعلقه بتعافوا دليل على أن جواب هذا الشرط « تحاربون وتلجأون الى الطاعة بالسيوف » هـــذا والأجمل اعتبار كلمة ايماننا هى القرينة .

(٩٤) البيت فى الدلائل ص٢٣٣ : وهو للبحترى البارقات : السيوف =

فقوله « تعافوا » باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل وتعلقه بالايمان ، قرينة لذلك ، لدلالته على أن جوابه انهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف .

أو معان مربوط بعضها ببعض ، كما فى قول البحترى :

وصاعقة من نصله تنكفى بها
على أرؤس الاقران خمس سحائب(٩٥)

عنى بخمس سحائب أنامل الممدوح ، فذكر ان هناك صاعقة ثم قال « من نصله » ، فبين أنها من نصل سيفه ، ثم قال على أرؤس الأقران ، ثم قال « خمس » فذكر عدد أصابع اليد ، فبيان من مجموع ذلك غرضه (٩٦) .

= هذا ومثل البيت « فان تعافوا » قول الشاعر :
تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة
اذا سرى النوم فى الاجفان ايقاظا
فكل من رياح ورياض قرينة لتقرى ، وكل من النوم والأجفان قرينة لسرى .

(٩٥) النصل : حد السيف تنكفى تنقلب . الاقران جمع قرن وهو النظير المكافىء وتضمن مدحه بالشجاعة مدحه بالسخاء ويسمى هذا فى البديع الاستتباع . صاعقة تشبيه بليغ ان كان من نصله بيانا لها والا فاستعارة .

والبيت فى ص ٢٣٢ من الدلائل ، ص ١٤٨ من المثل السائر ، ص ١٥٩ مفتاح والقرينة فيه معان ملتئمة مربوط بعضها ببعض ومجموعها قرينة لا كل واحد منها .

(٩٦) قيل مجموع هذه الامور ليس ضروريا فى فهم الاستعارة بل بعضها كاف . الا ان يقال : المراد الدلالة الواضحة وهى متوقفة على الجميع وهذا لا ينافى كفاية بعضها فى اصل الدلالة على المراد .

وقد يقال ان قوله « وصاعقة من نصله » كاف وحده للدلالة على الاستعارة ، وكذا قوله « على ارؤس الاقران » وكذا تحديد العدد بخمس ، فالقرينة متعددة لا معان ملتئمة الا ان يراد بالتئامها انها ربطت لا على وجه العطف المؤذن بالاستقلال .

(تقســيم الاســتعارة)

ثم الاســتعارة تنقسم : باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار الثلاثة ، وباعتبار اللفظ وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله •

(١ ــ الاستعارة باعتبار طرفيها (٩٧))

أما باعتبــار الطرفين فهي قسمان : لأن اجتماعهما (٩٨) فى شيء اما ممكن أو ممتنع ، واسم الأولى وفاقية ، والثانية عنادية •

أما الوفاقية فكقوله تعالى (٩٩) « أحييناه » فى قوله : أو من كان ميتا فأحييناه ، فان المراد بأحييناه هديناه ، أى أو من كان ضالا (١٠٠) فهديناه ، والهداية والحياة لا شك فى جواز اجتماعهما فى شيء •

وأما العنــادية (١٠١) : فمنها :

(١ ــ) ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة

---

(٩٧) اى المستعار منه والمســتعار له • وراجع ذلك فى الاسرار ص ٥٧ •

(٩٨) اى اجتماع الطرفين •

(٩٩) راجع الكلام على الآية فى ٢٦٠ صناعتين ، ٣٢١ الاسرار •

(١٠٠) اســتعار الاحياء من معناه الحقيقى وهو جعل الشيء حيا للهداية التى هى الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب ، اى بعد تشبيه الهداية بالاحياء وادعاء انه فرد من افرادها •

والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعها فى شيء واحد لان المستعار منه هو الاحياء لا الحياة وانما قال « احييناه » لان الطرفين فى استعارة الميت للضال مما لا يمكن اجتماعهما فى شيء واحد اذ الميت لا يوصف بالضــلال فتكون الاستعارة فيه عنادية لا وفاقية • هذا الكلام على الآية فى ص ٢٦٠ صناعتين و ص ٥٨ و ٣٢١ من الاسرار وستاتى قريبا فى الايضاح ايضا •

(١٠١) ٥٧ و ٦٨ اسرار البلاغة •

وان كانت موجود ، لخلوها مما هو ثمرتها والمقصود منها ، وما اذا خلت منه لم تستحق الشرف كاستعارة اسم (المعدوم للموجود) ، اذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركا للمعدوم في ذلك أو اسم الموجود للمعدوم اذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة (١٠٢) حال عدمه ، فيكون مشاركا للموجود في ذلك ، أو اسم الميت للحي الجاهل لأنه عدم فائدة الحياة والمقصود بها ، أعني العلم ، فيكون مشاركا للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتا ، لأن النائم لا يشعر بما بحضرته ، كما لا يشعر الميت أو الحي العاجز ، لأن العجز كالجهل يحط من قدر الحي .

ثم الضدان ان كانا قابلين للشدة والضعف . كان استعارة اسم الأشد للأضعف أولى ، وكل من كان أقل علما وأضعف قوة كان أولى بأن يستعار له اسم الميت . ولما كان الادراك أقدم من العقل في كونه خاصة للحيوان كان الأقل علما أولى باسم الميت أو الجماد من الأقل قوة ، وكذا في جانب الأشد ، فكل من كان أكثر علما كان أولى بأن يقال له انه حي ، وكذا من كان أشرف علما ، وعليه قوله تعالى « أو من كان ميتا فأحييناه » ، فان العلم بوحدانية الله تعالى وما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أشرف العلوم .

— **ملاحظة :**

سميت الاستعارة الوفاقية وفاقية لما بين الطرفين من الاتفاق أي الاجتماع وعدم المباينة .
وسميت الاستعارة العنادية عنادية لتعاند الطرفين وامتناع اجتماعهما.

(١٠٢) فتقول في زيد الذي لا نفع فيه رأيت اليوم معدوما في المسجد فشبه الموجود العديم النفع بالعدم ، ثم استعير العدم له ، واشتق من العدم معدوم بمعنى موجود عديم النفع فهو استعارة تصريحية تبعية عنادية .

(٢ —) ومنها ما استعمل فى ضـد معناه أو نقيضه ، بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسـب ، بوساطة تهكم أو تمليح على سبق فى التشبيه ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » ، ويخص هذا النوع باسم التهكمية (١٠٣) والتمليحية (١٠٤) .

---

(١٠٣) ما كان منها التهكم والسخرية .

(١٠٤) ما كان الغـرض منهـا ايراد القبيح بصـورة شىء مليح للاستطراف .

وحاصل هذا ان يطلق اللفظ الدال على وصف شريف على ضـده كاطلاق الكريم على البخيل ، ولا يصـح فيه اطلاق البخيل على الكريم ، فاذا اطلق الاسـد على الجبان فقـد نزل التضاد منزلة التناسب تهكما او تمليحا ، وشبه الجبان بالاسـد بجامع الشجاعة الموجودة فى المشبه (الجبان) تنزيلا وفى المشبه به تحقيقا ، واستعير اسم الاسـد للجبان استعارة تصريحية .

هذا والضـدان هما الامران الوجوديان اللذان لا يجتمعان وقـد يرتفعان . والنقيضـان هما الامران اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان واحدهما وجودى والآخر عدمى .

ومن المثل لذلك « فبشرهم بعذاب اليم » اى انذرهم ، استعير لفظ البشارة التى هى الاخبار بما يظهر سرورا فى الشخص المخبر بذلك الخبر للانذار الذى هو ضده بادخال الانذار فى جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء ، وكقولك رايته اسدا وانت تريد جبانا على سـبيل التمليح والظرافة ، ولا يخفى امتناع اجتماع التبشير والانذار من جهة واحدة اى بحيث يكون المبشر به هو المنـذر به والمبشر هو المنذر وكذا الشجاعة والجبن .

هذا وراجع التهكمية والتمليحية فى ص ٤١ وما بعدها من الاسرار .

ملاحظة :

لاجراء الاستعارة فى مثل « فبشرهم بعذاب اليم » نقول :

نزل التضـاد منزلة التناسب ، فشبه الانذار بالتبشير بجامع ادخال السرور فى كل وان كان تنزيليـا بالنسبة للمشبه ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية اصلية عنادية ، ثم اشتق منه بشر بمعنى انذر على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية او التمليحية العنادية ، وقد جعل الخفاجى المجاز فى الآية من مجاز المقـابلة .

وكذلك قوله تعالى « فاهدوهم الى صراط الجحيم » : الهداية الدلالة —

٢ — اقسام الاستعارة باعتبار الجامع (١٠٥) :

وأما باعتبار الجامع فهى قسمان :

أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلا فى مفهوم الطرفين (١٠٦) كاستعارة الطيران للعدو ، كما فى قول امرأة من بنى الحرث ترثى قتيلا :

لو يشا طار به ذو ميعة   لاحق الآطال نهد ذو خصل (١٠٧)

وكما جاء فى الخبر « كلما سمع هيعة طار (١٠٨) اليها » ، فان

= بلطف ، استعارة للعتل وهو الاخذ بمجامع الشىء وجره بقهر ، ويقال فى اجرائها : نزل التضاد منزلة التناسب ، فشبه العتل بالهدى بجامع الخير والنفع فى كل وان كان ادعائيا فى المشبه .

(١٠٥) هو كوجه الشبه فى التشبيه اى ما قصد اشتراك الطرفين فيه ويسمى فى التشبيه وجه الشبه لانه سبب للتشبيه ، وسمى هنا جامعا لانه ادخل المشبه تحت جنس المشبه به ادعاء وجمعه مع افراد المشبه به تحت مفهومه والجامع فى الاستعارة هو متعلق العلاقة لان العلاقة فى رايت اسدا يرمى هى المشابهة فى الشجاعة فالجامع هو الشجاعة .

(١٠٦) اى المستعار له والمستعار منه ، بان يكون جزءا من مفهومهما لكونه جنسا او فصلا لذلك المفهوم .

(١٠٧) البيت فى الاسرار ص ٤٢ والحماسة ص ٤٦٦ ج ١ .

الميعة : النشاط . اللاحق : الضامر . الآطال جمع اطل بكسرتين او بكسر فسكون الخاصرة . فرس نهد جسيم مشرف . الخصلة : الشعر المجتمع او هى لفيفة من الشعر ، ويريد بالخصل هنا ما تدلى من اطرافه .

شبه العدو بالطيران بجامع السرعة فى كل ثم استعير لفظ الطيران للعدو .

(١٠٨) تتمة الحديث « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها او رجل فى شعفة فى غنيمة له يعبد الله حتى ياتيه الموت » : الهيعة : الصيحة التى يفزع منها من هاع يهيع اذا جبن : الشعفة : راس الجبل العنان : اللجام . طار : عدا .

والمعنى خير الناس رجل اخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد فى سبيله الله او رجل اعتزل الناس وسكن فى رؤوس بعض الجبال فى غنم له قليل يرعاها ويكتفى بها فى امر معاشه ويعبد الله حتى ياتيه الموت .

* * * * * * * * * * * * *

استعار الطيران للعدو بجامع السرعة والجامع داخل فى مفهومهما .

وقد شبه العدو الذى هو قطع المسافة بسرعة فى الارض بالطيران الذى هو قطع المسافة بسرعة الهواء واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الطيران طار بمعنى عدا والجامع قطع المسافة بسرعة وهو داخل فى مفهوم كل من المستعار له (العدو) والمستعار منه (الطيران) لانه جنس لكل منهما وفصل العدو كونه فى الارض وفصل الطيران كونه فى الهواء واسناد الطيران للرجل مجاز عقلى اصله طار فرسه بسعيه اليها والاظهر ان ذلك الجامع وهو قطع المسافة بسرعة هو فى العدو لا فى الطيران الذى هو قطع المسافة بالجناح والسرعة لازمة له فى الاكثر داخلة فى مفهومه بخلاف العدو فهى داخلة فى مفهومه .

فالاولى ان يمثل باستعارة التقطيع الموضوع لازالة الاتصال بين الاجسام الملتصقة اى بقيد كون الاشياء المجتمعة ملتصقا بعضها ببعض لاجل ان يظهر كون الجامع المذكور داخلا فى مفهوم التقطيع وان كان ازالة الاتصال هو فى معنى ازالة الاجتماع ، وذلك فى قوله تعالى « وقطعناهم فى الارض امما » فالجامع ازالة الاجتماع الداخلة فى مفهومهما لان مفهوم التقطيع ازالة الاجتماع بين الاشياء المجتمعة الملتصقة بعضها ببعض ومفهوم التفريق ازالة الاجتماع بين الاشياء المجتمعة غير الملتصقة ، هذا وازالة الاجتماع فى التقطيع اشد .

والفرق بين هذا حيث جعل استعارة وبين اطلاق المرسن على الانف حيث جعلا مجازا مرسلا مع ان فى كل من المرسن والتقطيع وصفا خاصا — هو فى المرسن كونه انفا لبهيمة وفى التقطيع التصاق الاجسام — ليس فى الانف وتفريق الجماعة ، هو ان خصوص الوصف الكائن فى التقطيع مرعى وملاحظ فى استعارته لتفريق الجماعة فصار التقطيع بمراعاة اقوى من التفريق فى ازالة الاجتماع فصح تشبيه التفريق به واستعارة اسمه له ، بخلاف خصوص الوصف فى المرسن فان الوصف الخاص الذى فى المرسن لما لم يلاحظ وانما لوحظ الاطلاق والتقييد لم يكن استعارة بل مجازا مرسلا لعدم التشبيه فلو لوحظ ذلك الوصف الخاص بحيث يجعل المرسن مشبها به لاجل ذلك الوصف لكان استعارة ايضا كما ان الوصف فى التقطيع اذا لم يلاحظ كان مجازا مرسلا .

والحاصل ان التشبيه ههنا منظور بخلافه هناك . هذا والجامع يجب ان يكون فى المستعار منه اقوى اما التشبيه فقد يكفى فيه المساواة بين الطرفين فى الجامع : ويصح كون الجامع داخلا فى مفهوم الطرفين مع كونه فى احد المفهومين اشد واقوى .

الطيران والعدو يشتركان فى أمر داخل فى مفهومهما ، وهو قطع المسافة بسرعة ، ولكن الطيران أسرع من العدو ، ونحوهما قول بعض العرب :

فطرت بمنصلى فى يعملات دوامى الايد يخبطن السريحا (١٠٩)

يقول انه قام بسيفه مسرعا الى نوق فعقرهن ودميت أيديهن فخبطن السيور المشدودة على أرجلهن ، وكاستعارة الفيض لانبساط الفجر فى قوله .

يتراكمون على الأسنة فى الوغى
كالفجر فاض على نجوم الغيهب (١١٠)

فان الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص ، وذلك أن يفارق مكانه دفعة فينبسط ، وللفجر انبساط شبيه بذلك (١١١) . وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وابعاد بعضهم عن بعض ، فى قوله (١١٢) تعالى « وقطعناهم فى الأرض أمما » فان القطع موضوع

---

(١٠٩) البيت لمضرس بن ربعى ، وهو فى ٤١ من الاسرار وفى ٩ جـ ١ و ١٩١ جـ ٢ الكتاب لسيبويه . المنصل بضم الميم وفتح الصاد أو ضمها : السيف . اليعملات النوق المطبوعة على العمل . السريح : السيور يخصف بها .

(١١٠) هو للبحترى . يتراكمون : يجتمعون بكثرة وازدحام . الأسنة : الرماح . الوغى : الحرب . الغيهب . الظلمة . والشطر الأخير هو موضع الشاهد وهو فى الاسرار ص ٤٢ .

(١١١) ففى « فاض » استعارة تصريحية تبعية . شبه ظهور الصبح بفيض الماء بجامع أن كلا ينبسط على ما عداه بسرعة ، وفى البيت تشبيه هيئة الممدوحين وهم يتزاحمون فى حومة القتال وعليهم دروعهم تفيض اشعتها فيختفى العدو امامهم بهيئة الصبح وقد انتشر ضوءه فاختفى النجوم . فالبحترى يمدحهم بالشجاعة وكثرة العدد والعدد اللامعة الى حد انهم متى ظهروا اختفى أعداؤهم .

(١١٢) راجع ٤٤ من الاسرار .

لازالة الاتصـــال بين الاجسام التى بعضها ملتصقة ببعض ، فالجامع بينهما ازالة الاجتماع ، التى هى داخلة فى مفهومها ، وهى فى القطع اشد ، وكاستعارة الخياطة لسرد الدرع فى قول القطامى :

لم تلق قوماهم شر لاخوتهم   مناعشـــية يجـــرى بالدم الوادى
تقريبهم لهذميـــات نقـــد بها   ما كان خاط عليهم كل زراد [113]

فان الخياطة تضم خرق القميص ، والسرد يضم حلق الدرع[114] فالجامع بينهما الضم ، الذى هو داخل فى مفهومهما ، وهو فى الأول أشد . وكاســـتعارة النثر لاســـقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول ابى الطيب :

نثرتهم فـــوق الاحيـــدب نثـــرة
كما نثرت فوق العروس الدراهم [115]

لأن النثر أن يجمع أشياء فى كف أو وعاء ثم يقع فعل يتفرق معه

---

(١١٣) لهذميات : السيوف القواطع الواحد لهذم والنســـبة فيها للمبالغة . الزراد صانع الزرد وهى الدرع . وضمير تقريبهم لاخوتهم وكانوا أعداءهم . واستعارة القرى لذلك من نوع التهكم الســـابق . القرى : الاحسان الى الضيف . وفى اسناد الجرى للوادى مجاز عقلى والمراد جرى الوادى بالدم وكنى بهذا عن الحرب واشتدادها . فى « تقرى » استعارة تهكمية ، نزل التضاد منزلة التناسب فشبه الطعن وهو اساءة بالقرى وهو احسان بجامع الاحسان فى كل وان كان ادعائيا فى الأول ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية اصلية عنادية تهكمية ، ثم أخذ منه « تقرى » بمعنى تطعن على سبيل الاســـتعارة التبعية . وفى خاط استعارة تبعية ، شبه السرد بالخياطة بجامع الضم فى كل .

(١١٤) راجع ذلك فى الكامل للمبرد ٣١ جـ ١ .

(١١٥) راجع البيت فى الاسرار ص ٤٢ . الاحيدب اسم جبل . يقول فرقتهم على هذا الجبل مقتولين ونثرتهم نثر الدراهم على العروس ، فتفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تتفرق مواقع الدراهم اذا نثرت . شبه اسقاط المنهزمين بلا نظام فى جهات مختلفة بالنثر بجامع التفريق فى كل .

دفعة ، من غير ترتيب ونظام ، وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص ، وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعة ، من غير ترتيب ونظام ، ونسبه الى الممدوح لأنه سببه (١١٦) .

والثانى ما يكون الجامع فيه غير داخل فى مفهوم الطرفين (١١٧)، كقولك رأيت شمسا وتريد انسانا يتهلل وجهه ، فالجامع بينهما التلألؤ، وهو غير داخل فى مفهومهما .

٣ — الاستعارة العامية والخاصية (١١٨) :

وتنقسم باعتبار الجامع أيضا الى عامية وخاصية :

فالعامية (١١٩) المبتذلة لظهور الجامع فيها ، كقولك « رأيت أسدا » ، و « وردت بحرا » .

والخاصية (١٢٠) الغريبة التى لا يظفر بها الا من ارتفع عن طبقة العامة ، كما سيأتى فى الاستعارت الواردة فى التنزيل ، وكقول طفيل الغنوى :

---

(١١٦) ففى اسناد « نثر » الى الممدوح مجاز عقلى علاقته السببية .

(١١٧) هذا صادق بثلاث صور : ان يكون خارجا عن مفهومهما معا ، أو خارجا عن مفهوم المشبه فقط ، أو عن مفهوم المشبه به فقط .

(١١٨) راجع ٥٨ — ٦٣ من الدلائل .

(١١٩) اى يدركها عامة الناس ويصح منهم استعمالها .

(١٢٠) أى لا يعرفها الا الخواص من الناس الذين اوتوا ذهنا ارتفعوا به عن طبقة العامة .

وهى الغريبة التى لا يطلع على جامعها الا الخاصة الذين اوتوا ذهنا ارتفعوا به عن طبقة العامة أى لا يهتدى الى الجامع الكائن فيها الا الخواص .

وجعلت كورى فوق ناجيـــة   يقتات شحم سنامها الرحل (١٢١)

وموضع اللطف والغرابة منه أنه استعار الاقتيات لاذهاب الرحل شحم السنام مع أن الشحم مما يقتات وقول ابن المعتز (١٢٢) :

حتى اذا ما عرف الصيد الضار
وأذن الصبح لنـــا فى الأبصـــار

لمـــا كان تعذر الابصار منعا من الليل ، جعل امكانه عند ظهور الصبح اذنا منه ، وقول الآخر (١٢٣) :

بعرض تنــوفة للريح فيــه   نســـيم لا يروع فى الترابه

وقوله (١٢٤) :

يناجينى الاخلاف من تحت مطله   فتختصم الآمال واليأس فى صدرى

ثم الغرابة قد تكون :

---

(١٢١) البيت فى : ص ١٠ من البديع شرح محمد عبد المنعم خفاجى ، د١١ موازنة ، ٢٧٨ صناعتين . ومثله لسلمى بن غوية :

او لم ترى لقمان أهلكه   ما اقتات من ســـنة ومن شـهر

الكور : الرحل . الناجية : الناقة السريعة . والشاهد فى «يقتات» فانها استعارة فى وجهها خفاء وهو الافناء التدريجى فى كل مع اسناد الفعل الى غير ما هو له وهو الرحل . يقول : اذهبت شحم سنامها وهزلها بوضع الرحل عليها دائما ، يصف نفسه بكثرة الاسفار .

(١٢٢) ٦١ من الدلائل عرف بالبناء للفاعل وفاعله « الصيد » والمعنى عرف ما يصيده بانقشاع الظلام . الضار : الضارى المتعود للصيد .

(١٢٣) هو سوار بن المضرب (راجع ص ٦٠ من الدلائل) التنوفة : الصحراء او الأرض الواسعة ، وعرضها : سعتها . والشطر الثانى معناه ضعف هذا النسيم .

(١٢٤) هو لابن المعتز ، والبيت فى الدلائل ص ٦١ . الاخلاف : الخلف المطل : التسويف .

١ — فى الشبه (١٢٥) نفسه كما فى تشبيه هيئة العنان فى موقعه من قربوس السرج ، بهيئة الثوب فى موقعه من ركبة المحتبى ، فى قول يزيد (١٢٦) بن مسلمة بن عبد الملك ، يصف فرسا له بأنه مؤدب :

واذا احتبى قربوسه بعنانه
علك الشكيم الى انصراف الزائر (١٢٧)

---

(١٢٥) اى انها كما تكون بخفاء الجامع بين الطرفين بحيث لا يدركه الا الخواص تكون ايضا بالغرابة فى التشبيه نفسه اى فى ايقاع المشابهة بين الطرفين ، لا فى وجه الشبه . وذلك بأن تكون الاستعارة تشبيها فيه نوع غرابة كأن يكون تشبيه هذا الامر بهذا الامر غريبا ونادرا وان كان كل واحد من المشبهين كثيرا فى ذاته .

(١٢٦) فى البديع لابن المعتز ص ٢٠ شرح محمد عبد المنعم خفاجى ؛ هذا البيت على انه لمحمد بن يزيد من ولد مسلمة ، وكذلك فى الكامل للمبرد (٢٨٤ ج ١) وفيه « اللجام » بدل « الشكيم » ، والبيت فى ص ٥٩ من الدلائل ، وص ١٠٧ من الموازنة . ومحمد بن يزيد شاعر معاصر للمأمون والمعتصم (ص ٤١٩ من معجم الشعراء) .

(١٢٧) القربوس : السرج أو مقدمه . العنان : اللجام . علك : مضغ . الشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس . والمراد بالزائر الشاعر نفسه . فالانتقال الى الاحتباء الذى هو المشبه به عند استحضار لقاء العنان على قربوس الفرس فى غاية الندور لان احدهما من وادى القعود والآخر من وادى الركوب مع ما فى الوجه من دقة التركيب وكثرة الاعتبارات الموجبة لغرابة ادراك وجه الشبه وبعده عن الاذهان .

هذا وفاعل احتبى هو « قربوسه » ، جعله بمنزلة الرجل المحتبى كأنه ضم اليه فم الفرس وراسه كما يضم الرجل الى ظهره بثوب ونحوه ، والاحتباء شد ركبتى الرجل الى بطنه بنحو ثوب يمتد من الجانبين الى ظهره شبه شد فم الفرس الى القربوس بعنانه الممتد بجانبى الفم والعنق بالاحتباء ، ثم استعار الاحتباء لشد فم الفرس الى القربوس .

ويصح أن يكون « قربوسه » مفعولا لاحتبى مضمنا معنى جمع ، والفاعل ضمير يعود الى الفرس اى واذا جمع هذا الفرس قربوسه بعنانه كما يضم المحتبى ركبتيه اليه ، فعلى الاول ينزل وراء القربوس فى هيئة التشبيه منزلة الظهر من المحتبى وفم الفرس منزلة الركبتين ، وعلى الثانى بالعكس اى ينزل القربوس فى هيئة التشبيه منزلة الركبتين وفم الفرس منزلة الظهر . والوجه الاول فيه مناسبة ما فى التشبيه لكن فيه بعد من جهة ..

٣ — وقد تحصل (١٢٨) بتصرف فى العـامية (١٢٩) كما فى قول الآخر (١٣٠) :

= ان القربوس فى الهيئة اعلى وكذا الركبتان والفم اسفل وكذا الظهر، والوجه الثانى لهذا اولى فهو اسد . هذا ولمـا كان المسـتعار لفظا مفردا كانت الاسـتعارة مفردة لا تمثيلية وان كان الوجه هيئة .

والشاهد غرابة الاستعارة فى البيت لمـا فى وجه الشـبه من كثرة التفصيل مع ما بين الطرفين من التباعد فى الذهن . فقد شـبه هيئة وقوع العنان فى موقعه من قربوس السرج ممتدا الى جانبى فم الفرس بهيئة وقوع الثوب فى موضعه من ركبتى المحتبى ممتدا الى جانبى ظهره ثم اسـتعار الاحتباء وهو ان يجمع الرجل ظهره وسـاقيه بثوب او غيره لوقوع العنان فى قربوس السرج واشتق من الاحتباء ، احتبى بمعنى وقع على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة الشـبه ولا يخفى انه ليست الاستعارة تمثيلية مركبة بل مفردة ، فالأولى أن يقال شبه القاء العنان بالقربوس بجمع الرجـل ظهره وسـاقيه بثوب ونحوه واستعير الاحتباء لوقوع العنان بالقربوس واشتق من الاحتباء احتبى بمعنى وقع فالمشبه به هو الاحتباء وهو ضم الرجل ظهره وسـاقيه بثوب وشبهه أى كالحبل . والمشبه هو القاء العنـان على القربوس لأجل ضم رأس الفرس الى جبهته فالتشبيه هنا واقع بين مفردين باعتبار ما تضمنه كل منهما من الهيئة لا انه واقع بين هيئتين فالمثال من قبيل الاسـتعارة الافرادية لا التمثيلية فقول الشارح شبه هيئة على هو حذف مضاف أى لازم هيئة .

(١٢٨) أى الغرابة .

(١٢٩) أى فى الاستعارة العامية وذلك بأن يضم الى تلك الاستعارة تجوز آخر لطيف لاقتضاء الحال .

(١٣٠) هو كثير عزة ، وينسب الى يزيد بن الطثرية وقد سـبق البيت فى باب الايجاز وهو فى ٥٨ و ٦٠ من الدلائل ، وص ١٦ من الاسرار . الاباطح جمع ابطح ، وهو مسيل المـاء فيه دقاق الحصى ، استعار سيلان السيول الواقعة فى الاباطح لسير الابل مسرعا ووجه الشبه هنا ظاهر معروف وهو قطع المسـافة بسرعة لكنه قـد تصرف فيه بما افاد اللطف والغرابة وذلك باسناد الفعل وهو سالت الى الاباطح .

هذا واسناد الفعل الى الاباطح يفيد أنه امتلأت الاباطح من الابل ، وذلك لأن نسبة الفعل الذى هو صفة الحال الى المحل تشعر بشيوعه فى المحل واحاطته بكله ، فالسيلان المستعار للمسير حقه ان يستند الى المطى =

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننــا وســـالت بأعناق المطى الأباطح

اراد أنها سارت سيرا حثيثا فى غاية السرعة ، وكانت سرعة فى لين وسلاسة ، حتى كأنها كانت سيولا وقعت فى تلك الأباطح ، فجرت بها ، ومثلها فى الحسن وعلو الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحق حين دعا أنصــاره بوجوه كالدنـــانير

أراد أنه مطــاع فى الحى ، وأنهم يسرعون فى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لخطب الا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجىء من هاهنا وهاهنا ، وتنصب من هذا المسيل وذاك ، **حتى** يغص بها الوادى ، ويطفح منها ، وهذا شبه معروف ظاهر (١٣١) ، ولكن

= ولكنه اسند الى الاباطح التى هى محل السير فهى من اسناد الفعل لمحله فقد جعل كل محل من الاباطح سائرا لاشتماله على ما هو سائر فيه ، فوق انه ادخل الاعناق فى السير بجرها بباء الملابسة المقتضية لملابسة الفعل لها فانها سائرة لأن مرجع الملابسة للاسناد فيكون السيل مسندا للاعناق تقديرا وذلك الاسناد مجاز عقلى ، ففى الكلام مجازان عقليان : لفظى وهو اسناد السيل للاباطح ، وتقديرى وهو اسناده للاعناق ، وفيه مجاز بالاستعارة فلما اضيف الى الاستعارة هذان المجازان العقليان صارت الاستعارة غريبة . فالخلاصة انه استعار « سالت » لسارت استعارة مبتذلة ثم اضاف اليها ما اوجب غرابتها من المجازين العقليين بان اسند « سالت » الى الاباطح من اسناد ما للحال الى المحل اشعارا بكثرتها ، وباســـناد سالت الى الاعناق ايضا تقديرا من اســـناد الشىء الى ما هو كالسبب فيه .

(١٣١) أى فى بيت كثير وفى بيت ابن المعتز ، فوجه الشبه فيهمــا عامى ظاهر وهو قطع المسافة بسرعة ، لكن التصرف فى وجه الشبه فى البيتين جعل الاستعارة خاصية غريبة ، اذ اسند الفعل اعنى « سالت » المستعار لسارت الى الاباطح فى بيت كثير دون المطى او اعناقها حتى أفاد انه امتلأت الاباطح من الابل ، وكذلك اسند الفعل « سالت » الى الشعاب فى بيت ابن المعتز دون الانصار او وجوههم ، وادخل فى بيت كثير الاعناق =

حسن التصرف فيه أفاد اللطف والغرابة وذلك أن أسـند الفعل الى الأباطح والشعاب ، دون المطى أو أعناقها ، والأنصار أو وجوههم ، حتى أفاد أنه امتلات الاباطح من الابار ، والشعاب من الرجال ، على ما تقدم فى قوله تعالى « واشتعل الرأس شيبا » ، وفى كل واحد منهما شىء غير الذى فى الآخر يؤكد أمر الدقة والغرابة : أما الذى فى الأول فهو أنه أدخل الاعناق فى السير ، فان السرعة والبطء فى سير الابل يظهران غالبا فى اعناقها على ما مر ، واما الذى فى الثانى فهو انه قال عليه ، فعدى الفعل الى ضمير الممدوح بعلى ، فأكد مقصوده من كونه مطاعا فى الحى (١٣٢) وكما فى قوله :

فرعاء ان نهضـــت لحاجتهـــا　　　عجل القضيب وأبطـــأ الدعص (١٣٣)

= فى السير لان السرعة والبطء فى سير الابل يظهران غالبا فى الاعناق ، فاسناد السير تقديرا الى الاعناق من باب اسناد الشىء الى ما هو كالسبب فيه . وبيت ابن المعتز تجده فى ص ٥٩ و ٦٠ و٧٨ من الدلائل .

(١٣٢) راجع ٥٩ و ٦٠ من الدلائل .

ففى الاعناق فى بيت كثير مجاز عقلى تقديرى من اسناد الشىء الى ما هو كالسبب ، ولك ان تقول انه ترشيح للمجاز العقلى (سالت الاباطح) ، والاظهر ان ذلك الجامع وهو قطع المسافة بسرعة هو فى العدو داخلة فى مفهومه بخلاف العدو فهى داخلة فى مفهومه .

فيكون فى الكلام : مجاز عقلى لفظى علاقته المحلية وهواسناد «سالت» للاباطح ، ومجاز تقديرى علاقته السببية وهو اسناده تقديرا للاعناق ، اذ جرها بباء الملابسة التى تقتضى ملابسة الفعل للاعناق وانها سائرة ايضا .وكذلك فى بيت ابن المعتز مجازان عقليان : اسناد الفعل لفظا الى الشعاب واسناده تقديرا الى وجوه الانصار .

(١٣٣) البيت فى المثل السائر ص ١٣٩ . فرعاء : طويلة . القضيب: الغصن المقطوع شبهت به قامتها . الدعص : كثيب الرمل المجتمع شبهت به عجزتها .

شبه القامة بالقضيب بجامع الاعتدال ، وشبه الردف بالدعص بجامع الضخامة ووجه الشبه ظاهر ولكن المجازان العقليان اخرجا الاستعارة من الابتذال الى الغرابة ، وزادها حسنا الطباق البديعى بين عجل وابطا =

اذ وصف القضيب بالعجلة ، والدعص بالبطء .

٣ — وقد (١٣٤) تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لالحاق الشكل بالشكل ، كقول امرىء القيس (١٣٥) .

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلبا يتمطى به اذ كان كل ذى صلب يزيد فى طوله عند تمطيه شىء ، وبالغ فى ذلك بأن جعل له اعجازا يردف بعضها بعضا ، ثم أراد ان يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده فاستعار له كلكلا ينوء به أى يثقل به وقال الشيخ عبد القاهر (١٣٦) : لما جعل لليل صلبا قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له أعجازا قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده (١٣٧) اذا

= وهو مأخوذ من قول عصام تصف به لعمرو بن حجر جد امرىء القيس ابنة عوف بن محلم الشيباني ، وكان أراد أن يتزوجها ، فارسل عصام ، فاتتها فرات خلقها وخلقها ، ثم رجعت الى عمرو ونعتتها له ، وكان من نعتها اياها « وتحت حصرها كفل يقعدها اذا نهضت وينهض بها اذا قعدت (١٦٦ جـ ٤ العقد)

(١٣٤) راجع ص ٦٢ من الدلائل .

(١٣٥) هو فى ٦٢ و ٢٧٥ و ٣٦٣ دلائل ، ٢٧٦ صناعتين ، ٣٢٦ وساطة ، ١١٤ موازنة . التمطى : التمدد الصلب : الظهر . الارداف الاتباع . الاعجاز : الأخير ناء : نهض الكلكل : الصدر استعار التمطى استعارة تصريحية ليلائم الصلب واستعار لأوائله لفظ الكلكل ، ولمآخيره لفظ الاعجاز ، ولوسطه لفظ الصلب ولك أن تقول : الانسان المحذوف استعارة مكنية والصلب والاعجاز والكلكل استعارة تخييلية وكذلك التمطى المستعار لطول الليل .

(١٣٦) راجع ص ٦٢ من الدلائل .

(١٣٧) أى سواد الليل .

نظر قدامه (١٣٨)، واذا نظر خلفــه (١٣٩) ، واذا رفع البصر ومده فى عرض الجو (١٤٠) :

٤ ــ تقسيم الاستعارة باعتبار الطرفين (١٤١) والجامع (١٤٢) .

وأما باعتبار الثلاثة ــ اعنى الطرفين والجامع ــ فستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس ، بوجه حسى ، أو بوجــه عقلى ، أو بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس ، كل ذلك بوجه عقلى لمـــا مر (١٤٣) .

١ ــ أما استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى فكقوله تعالى « فأخرج لهم عجلا جسدا (١٤٤) له خوار » فالمستعار منه ولد البقرة ، والمستعار له الحيوان الذى خلقه اللـــه تعالى من حلى القبط ، التى سبكتها نار السامرى عند القائه فيهـــا التربة (١٤٥) التى أخذها من موطىء حيزوم فرس جبرائيل عليه السلام ، والجامع لهما الشكل(١٤٦) والجميع حسى (١٤٧). وكقوله تعالى « وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى

(١٣٨) فاتى بالكلكل .
(١٣٩) فاتى بالاعجاز .
(١٤٠) فاتى بالصلب
(١٤١) اى المستعار منه والمستعار له
(١٤٢) راجع ذلك فى المفتاح ص ١٦٤ و ١٦٥ .
(١٤٣) اى فى التشبيه .
(١٤٤) « جسدا » بدل كل مما قبله قرينة على الاستعارة ، بخلاف « من الفجر » فى « الخيط الأبيض من الخيط الاسود » فانه اخرج الخيط الابيض عن معناه الحقيقى الى معناه الادعائى اعنى ضوء الفجر ، اذ لا يبين الشىء نفسه فكان لابد فيه من تقدير اداة التشبيه بعكس ما هنا .
(١٤٥) اى التراب .
(١٤٦) فان ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة .
(١٤٧) اى مدرك بالبصر .

بعض » فان المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص ، والمستعار له حركة الانس والجن أو يأجوج ومأجوج وهما حسيان والجامع لهما ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب ، واما قوله تعالى « واشتعل الرأس (١٤٨) شيبا » ، فليس مما نحن فيه وان عد منه لأن فيه تشبيهين : تشبيه الشيب بشواظ النار فى بياضه وانارته ، وتشبيه انتشاره فى الشعر باشتعالها فى سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه ، والأولى استعارة بالكناية ، والجامع فى الثانى عقلى ، وكلامنا فى غيرهما .

(٢ —) وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى فكقوله تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار (١٤٩) » ، فان المستعار منه كشط الجلد وازالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له ازالة الضوء عن مكان الليل (١٥٠) وملقى ظله (١٥١) وهما حسيان ، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على (١٥٢) آخر ، وقيل المستعار له ظهور النهار

---

(١٤٨) راجع الكلام على الآية فى ٧٩ من الدلائل ، ٧٦ و ٢٦٣ صناعتين ، ١٦٤ مفتاح قال السكاكى : المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع الانبساط والجميع حسى ، قال السبكى : مراد السكاكى ان الشيب هنا استعارة بالكناية استعير لفظ الشيب والمراد النار بعد ادعاء ان الشيب فرد من افراد النار ثم ذكر اشتعل استعارة تخييلية ، ورأى الطيبى ان التشبيه هنا على سبيل التمثيل فهو منتزع من عدة امور ، وعلى رأى الزمخشرى فيه ثلاث تشبيهات لا تشبيهان : تشبيه الشيب بالكناية ، واشتعل بالتخييل ، والراس ايضا فانها كالحطب بالنسبة للنار .

(١٤٩) راجع الآية فى ٢٦٤ صناعتين ، ١٦٥ مفتاح ، ٤٠٠ دلائل .

(١٥٠) اى عن المكان الذى فيه ظلمة الليل .

(١٥١) اى ظل الليل ، والمراد موضع ظهور ظلمته .

(١٥٢) اى حصوله عقيب حصوله دائما او غالبا . كترتيب ظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل وترتب ظهور اللحم على الكشط ، والترتب امر عقلى ، وبيان الترتب ان الظلمة هى الاصل والضوء فرع طارىء عليها يسترها بضوئه فاذا غربت الشمس فقد سلخ ضوء النهار من الليل اى كشف وازيل كما يكشف الشىء عن الشىء الساتر له ، فجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار بمنزلة ظهور اللحم بعد سلخ اهابه =

* * * * * * * * * * * * *

ـ عنه وحينئذ صح قوله « فاذا هم مظلمون » لان الذى يوجد عقيب اذهاب الضوء عن مكان الليل هو الاظلام هذا وكل من الطرفين كشط الجلد وازالة الضوء . امر حسىّ باعتبار متعلقهما وهو اللحم والضوء .

واما على ما ذكره صاحب المفتاح من ان المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل — اى ان المستعار له اظهار ضوء النهار من ظلمة الليل بطلوع الفجر ، فقد شبه اظهار ضوء النهار من ظلمة الليل بطلوع الفجر بكشط الجلد عن نحو الشاة واستعير اسم المشبه به (وهو السلخ للمشبه ، راجع ١٦٥ مفتاح ، ففيه اشكال لان الواقع بعد ظهـور النهار من ظلمة الليل انما هو الابصار دون الاظلام .

وحاول بعضهم التوفيق بين الرأيين :

١ — بحمل كلام السكاكى على القلب والسكاكى يقبل القلب مطلقا ، فقد عاد الى الرأى الاول ، فصحة كلامه بدون قلب : بظهور ظلمة الليل من النهار ، وجعل المستعار له ظهور ظلمة الليل من النهار بناء على ارتكاب القلب فى كلام السكاكى يؤدى لارتكاب القلب فى الآية ايضا فالمعنى حينئذ وآية لهم الليل نسلخه من النهار اى تظهر ظلمته بانفصاله من النهـار ، فاذاهم مظلمون .

٢ — او بان المراد من الظهور التمييز ، ومن فى كلام صاحب المفتاح بمعنى عن ، والمعنى ان المستعار له تمييز النهار عن ظلمة الليل ، والواقع بعد تمييز النهار عن ظلمة الليل هو الاظلام .

٣ — او بان الظهور فى كلام صاحب المفتاح بمعنى الزوال ، كما فى قول الحماسى (سبرة بن عمرو الفقعسى ٨٨ جـ ١ حماسة) :

اعيرتنـا البانهـا ولحومهـا   وذلك عار يا ابن ريطـه ظـاهر

اى زائل ، وكما فى قول ابى ذؤيب .

وعيرها الواشـون انى احبهـا   وتلك شكاة ظـاهر عنك عارهـا

فالمعنى حينئذ المراد من كلام السكاكى : زوال ضوء النهار عن ظلمة الليل ولا شك ان الواقع بعد هذا هو الاظلام .

٤ — وفى كتاب الحفيد وجـه رابع وهو ان المراد بالنهـار فى قول السكاكى « المستعار له ظهور النهار » مجموع المدة التى هى من طلوع الشمس الى غروبها لا ظهوره بطلوع الفجر ، ولا شك ان الواقع عقيب تلك المدة هو الاظلام .

تمحلات ضعيفة لتصحيح كلام للسكاكى ، ولم لا نقول ان كلام السكاكى غير صحيح .

من ظلمة الليل ، وليس بسديد ، لأنه لو كان ذلك لقال « فاذا هم مبصرون » ونحوه ، ولم يقل « فاذا هم مظلمون » أى داخلون فى الظلام (١٥٣) . قيل ومنه قوله تعالى اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، فان المستعار منه المرأة ، والمستعار له الريح ، والجامع المنع من ظهور النتيجة والأثر ، فالطرفان حسيان والجامع عقلى . وفيه نظر ، لأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ، وكذلك جعلت صفة للريح لا اسما ، والحق أن المستعار منه ما فى المرأة من الصفة التى تمنع

ه — وفى تصحيح كلام السكاكى راى خامس للشارح العلامة ذكره فى شرح المفتاح ، حيث قال : ان السلخ قد يكون بمعنى النزع مثل سلخت الاهاب عن الشاة وقد يكون بمعنى الاخراج مثل سلخت الشاه عن الاهاب، فذهب صاحب المفتاح الى الثانى ، وذهب المصنف الى الأول فقال : المستعار منه كشط الجلد اى نزعه عن نحو الشاة والمستعار له كشف الضوء اى نزعه » ، وصح قوله تعالى « فاذاهم مظلمون » بالفاء لان التراخى وعدمه مما يختلف باختلاف الامور والعادات ، وزمان النهار وان توسط بين اخراج النهار من الليل وبين دخول الظلام لكن لعظم شأن دخول الظلام بعد اضاءة النهار وكونه مما ينبغى ان لا يحصل الا فى اضعاف ذلك الزمان من الليل عد الزمان قريبا ، وجعل الليل كانه يفاجئهم عقب اخراج النهار من الليل بلا مهلة وعلى هذا حسن « اذا » التى هى للمفاجأة، كما يقال : اخرج النهار من الليل ففاجاه دخول الليل ، ولو جعلنا السلخ بمعنى النزع كما ذهب اليه المصنف (الخطيب) وقلنا نزع ضوء الشمس عن الهواء ففاجاه الظلام لم يستقم لان الدخول فى الظلام مصاحب لنزع الضوء فلا يعقل الترتيب الذى تفيده المفاجأة وعدم الاستقامة اذا اعتبر ان الترتيب الذى تفيده المفاجأة زمانى ، او لم يحسن اذا جعلنا ذلك الترتيب رتبيا .

فقد ظهر من كلام العلامة صحة كلام السكاكى ، وظهر حسن المفاجأة على ما قاله لا على ما قاله المصنف .

وهذا ايضا لا يخرج كلام السكاكى عن ان يكون فيه اخلال بالمعنى المراد .

(١٥٣) وهذا رد مقبول لكلام السكاكى مع صرف النظر عن التمحلات فى تاويله .

من الحمل ، والمستعار له ما فى الريح من الصفة التى تمنع من انشاء مطر والقاح شجر ، والجامع لهما ما ذكر (١٥٤) •

(٣ —) وأما استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، فكقولك رأيت شمسا وأنت تريد انسانا شبيها بالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشأن (١٥٥) • وأهمل السكاكى هذا القسم •

(٤ —) أما استعارة معقول لمعقول (١٥٦) ، فكقوله تعالى « من بعثنا من مرقدنا »؛ فان المستعار منه الرقاد (١٥٧) ، والمستعار له الموت والجامع لها عدم ظهور الأفعال ، والجميع عقلى •

---

(١٥٤) اى انه شبه خلو الريح من الفائدة بالعقم ، واستعارة لفظ المشبه به للمشبه واشتق منه عقيم ، بمعنى خالية من الفائدة .

وراجع الآية والكلام عليها فى ٢٦٤ صناعتين ، ١٤٦ مفتاح ، ١٩ ما اتفق لفظه للمبرد .

هذا والخطيب يريد من النظر المذكور أن العقيم هو المستعار منه وهو صفة فهو عقلى . وقال السبكي : هو حسى باعتبار ان مدلوله انسان له العقم .

(١٥٥) فحسن الطلعة حسى ، ونباهة الشان عقلى . والسكاكى اعتبر ان نقل اللفظ يصح بكل من حسن الطلعة ونباهة الشان ، فجعل هذا القسم استعارتين : احداهما بجامع حسى ، والاخرى بجامع عقلى ، فأسقط هذا القسم من الاقسام . اما المصنف فاعتبر صحة النقل باعتبار الوصفين معا وهو الحق كما صنع فى التشبيه .

(١٥٦) راجع ١٠٥ من المفتاح .

(١٥٧) اى النوم على ان يكون المرقد مصدرا ميميا وتكون الاستعارة اصلية او على انه اسم مكان الا انه اعتبر التشبيه فى المصدر لان المقصود بالنظر فى اسم المكان وسائر المشتقات انما هو المعنى القائم بالذات لا نفس الذات واعتبار التشبيه فى المقصود الاهم اولى ، فعلى الاولى الاستعارة اصلية ، وعلى الثانى تبعية قيل عدم ظهور الافعال فى المستعار له اعنى الموت اقوى او من شرط الجامع ان يكون فى المستعار منه اقوى ، فالحق ان الجامع هو البعث الذى هو فى النوم اظهر واشهر واقوى لكونه مما لا شبهه فيه لاحد ، وقرينة الاستعارة هى كون هذا الكلام الموتى مع قوله «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .

(٥ —) وأما استعارة محسوس لمعقول ، فكقوله تعالى (١٥٨) «فاصدع بما تؤمر» فان المستعار منه صدع الزجاجة وهو كسرها وهو (١٥٩) حسي والمستعار له تبليغ الرسالة ، والجامع لهما التأثير ، وهما عقليان ، كأنه قيل ابن الأمر ابانة لا تنمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة . وكقوله تعالى (١٦٠) « ضربت عليهم الذلة » جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم ، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه ، أو ملصقة بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه ، فالمستعار منه اما ضرب القبة على الشخص واما ضرب الطين على الحائط وكلاهما حسي ، والمستعار له حالهم مع الذلة ، والجامع الاحاطة أو اللزوم وهما عقليان (١٦١) .

٦ — وأما استعارة معقول لمحسوس ، فكقوله تعالى (١٦٢)

---

(١٥٨) الآية في ١٧٠ صناعتين ١٦٥ مفتاح .
(١٥٩) جعل الكسر حسيا باعتبار متعلقه لا باعتبار ذاته .
(١٦٠) راجع ٢٦٥ صناعتين ، ١٦٥ مفتاح .
(١٦١) فقد شبه احاطة الذلة بهم واشتمالها عليهم بضرب الخيام والقباب على من فيها ، فهي استعارة تصريحية ، أو شبه الذلة بالخيمة او القبة ثم حذف لفظ المشبه به ورمز اليه بلازمه وهو ضربت فهي مكنية .
(١٦٢) راجع ١٦٥ مفتاح ، ٢٦٣ صناعتين .

ملاحظة :

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه » .

الحق : الحجة الناصعة : الباطل : شبه الكفار الدمغ : كسر الشيء الرخو الأجوف استعير هنا للمحق . والقذف : الرمي البعيد بشيء صلب . فاستعارة القذف للايراد والدمغ للمحق تصريحيتان المستعار منه حسي والمستعار له عقلي . وقد يقال : شبه الحجج القوية وهي الحق بقطع من الحديد ونحوها بجامع قوة التأثير في كل ثم حذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو القذف ؛ وشبه الباطل بشيء أجوف رخو سهل الانكسار بجامع الضعف في كل وحذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه ؛ فهما مكنيتان . والأحسن أن يقال انه شبه هيئة غلبة الحق على الباطل =

« انا لما طغى الماء » فان المستعار له كثرة الماء وهو حسى ، والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان .

(٥ ــ الاستعارة باعتبار اللفظ (١٦٣))

واما باعتبار اللفظ فقسمان :

= حين يرد عليه فيذهبه بقذف الدماغ بشيء صلب فيشقه ويفسده بجامع ان كلا منهما قوى يرد على ضعيف فيمحقه ثم استعير التركيب الدال على هيئة المشبه به للمشبه فالاستعارة تمثيلية .

(١٦٣) راجع ١٥٨ و ١٦١ مفتاح ، ٣٨ — ٤٠ و ٣٢٢ و ٣٢٧ و ٣٢٨ اسرار : وقوله باعتبار اللفظ اى المستعار .

هذا ولنعرض عليك رايا فى الاستعارة الاصلية والتبعية ، لتفهم ما قيل فى هذا الموضوع :

قسم البيانيون الاستعارة التصريحية الى اصلية والى تبعية : ويعنون من الاصلية ما تجرى فى اسم الجنس سوء كان مدلوله ذاتا كاسد وبحر وجبل وسحاب ام معنى كالنطق والحرب والقتل وسر تسمية هذه الى الاصل وان دعوها اصلية ان موطن التشبيه فيها هو موطن الاستعارة ، ففى اطلاق الاسد على الرجل الشجاع شبهوا الرجل بالاسد واستعاروا له لفظه فانت ترى انهم لم يشبهو بمعنى لفظ ، ثم يستعيروا للمشبه لفظا آخر غير دال هذا المعنى .. ويعنون من التبعية ما تجرى فى الفعل وفى المشتقات وفى الحرف :

١ — وقد وجه فريق من العلماء تسميتها بالتبعية بان الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى ضمنا ان المشبه والمشبه به موصوفان بوجه الشبه وان كلا منهما محكوم عليه بالمشاركة للاخر ولا يستحق الشيء الموصوفية ولا يصلح لها الا اذا كان مستقلا بالمفهومية : والفعل والحرف والمشتقات غير مستقلة بالمفهومية اما الفعل فلانه يدل على الزمن والحدث ويدل على النسبة ؛ وسواء كانت النسبة مدلولة للفعل باعتبارها جزء معنى ام باعتبارها لازم معنى فعلى كلا التقديرين لا يتم فهم الفعل الا بفهمها والنسبة ذات طرفين احدهما مدلول عليه الفعل وهو الحدث والاخر وهو الفاعل او نائبه خارج عن مدلول الفعل ، وبذلك يكون فهم الفعل قد توقف على خارج عن مدلوله ، وبهذا كان غير مستقل بالمفهومية ، ووجه عدم =

* * * * * * * * * * * * * * *

استقلال الحرف بالمفهومية ان مدلول الحرف لا يتفهم الا بفهم مدخوله ، فتهم معناه متوقف على خارج عن مدلوله . وظاهر عدم استقلال الفعل والحرف بالمفهومية ، اما وجه عدم استقلال المشتقات بالمفهومية فقد قالوا ان الحدث والذات وهما طرفا النسبة كلاهما مدلول عليه بلفظ المشتق فان قائما مثلا تدل على ذات وحدث وهو القيام ، وان هـذا كان من ذاك . وانت ترى انهم مع عدم استطاعتهم بتوجيه عدم الاستقلال بالمفهومية في المشـتقات ، ترى كذلك ان عدم الاستقلال بالمفهومية انما يشترط لكون الشيء موصوفا ومحكوما عليه اذا كان وضع لان يوصف وصفا صريحا ، أو لان يحكم عليـه حكما صريحا ، اما اذا كان الوصف والحكم جاءا من طريق التضمن والاقتضاء ، فليس ذلك بشرط ، نعم قـد يقال ان عدم الاستقلال بالمفهومية يمنع من التشبيه ، لان التشبيه بغير المستقل لا يتفهم منه وجه الشبه اذ ما لم يتم فهم الشيء لا يتم فهم أوصافه غير ان هـذا يكون خلاف ما وجهوا به من ان التشبيه يقتضى كون التشبيه والمشبه به موصوفين ومحكوما عليهما ، على ان هـذا الوجه ايضا لا يتم اذ قـد يقال ان التشبيه لا يقع بغير المستقل الا اذا تم بذكر ما يتوقف عليه فهمه .

٢ — ووجه فريق آخر من البيانيين تبعية الاسـتعارة بأنها تعتمد التشبيه ، والتشبيه يقتضى كون المشبه موصوفا ومحكوما عليه ، ولا يصلح للموصوفية الا الحقائق ويرد عليه ان هذا التعليل قـد انتج غير المدعى ، اذ المدعى ان يكون الصالح للموصوفية فيه هو المشبه به ، لانه هو الذى يستعار لفظه ، وان كان السيد قد دفع هـذا بان المراد التشبيه اذا اقتضى كون المشبه موصوفا اقتضى كون المشبه به موصوفا ، لان الوصف وهو وجه الشبه معتبر ثبوته لكليهما . ولمـا ارادوا ان يبينوا المراد من الحقائق قال البعض : المراد بالحقائق المتقررة ، ومعاني الافعال ومعانى المشتقات تقتضى زمنا لدلالتها على الحدث واقتضاؤها الزمن يجعلها غير متقررة ، وفي هذا التوجيه نظر :

ا — ان الحروف لا تقتضى زمنا فلم يكن فيهـا داعى عدم التقرر .

ب — وان الحركة والزمان غير متقررين . ومع ذلك يوصفان ويحكم عليهما . ولذلك تراهم قـد عدلوا عن تفسير الحقائق بالحقائق المتقررة الى تفسيرها بغير المستقلة بالمفهومية ، وبذلك يرجع هـذا التوجيه الى الأول .

. . . .

---

٣ — اما (العصام) فقد ترك تلك التوجيهات وسلك سبيلا آخر . فقال اننا اذا نظرنا الى استعارة قتل لضرب نجد الزمن لا استعارة فيه ولا تشبيه ونجد الذات كذلك لا استعارة فيها ولا تشبيه اذ الزمن لضرب هو الزمن لقتل والحدث الذى حصل فى الخارج كان من ذات واحدة سواء عبرت عنه بضرب او بقتل فلم يكن تشبيه ولا استعارة الا فى الحدث فلنهمل ماليس له مدخل فى الاستعارة ونجرى التشبيه والاستعارة فى خصوص الحدث ، ولنا ان نقول وماذا يمنع من ان يكون المشبه به هو الحدث المدلول عليه بلفظ الفعل .

٤ — وعلى العموم فليس هناك توجيه واضح فى تعليل كون هذه الاستعارة تبعية ، ولذلك اقول : الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى كون المشبه به ذا وصف وذلك الوصف هو الذى نحاول بالتشبيه وبالاستعارة تشريك المشبه للمشبه به فيه وهذا الوصف الجامع يجب ان يكون معروف الانتساب مشهور الاختصاص ، والأوصاف التى يعرف انتسابها ويشتهر اختصاصها هى الأوصاف التى تكون من لوازم الحقائق الكلية كالشجاعة مثلا ، فانها وصف وخاصة من خواص الحقيقة الكلية وهو الاسد وكثرة النفع مثلا وصف وخاصة من خواص الحقيقة الكلية وهو السحاب . اما الجزئيات فليس لها لوازم مطردة ولا اوصاف يصح ان يجمع بها بين صاحب الوصف وغيره لان الأوصاف التى تكون للجزئى دون ان تكون لكليه الذى هو فرد منه لا تكون الا مشخصات خارجية والمشخص الخارجى الجزئى لا يشترك فيه معه جزئى آخر وبذلك تراهم منعوا الاستعارة فى الاعلام لان الاعلام ليست لها اوصاف سوى المشخصات الخارجية وهو لا تصلح جامعا ، وتراهم كذلك حين يجرون الاستعارة الاصلية يقولون « شبهنا وادعينا دخول المشبه فى جنس المشبه به » مما يدل على انهم لاحظوا فى جانب المشبه به كونه كليا . هذا اذ كان الجزئى معينا ، فاذا كان مبهما كان ظاهرا ان التشبيه به ممتنع اذ جهله يستدعى جهل اوصافه ، وبهذا وضح ان المشبه به لا يكون الا كليا لما علمت من أن الحقائق الكلية هى التى تعرف لوازمها وتشتهر وهى التى تطرد لوازمها واوصافها وتصلح لان تكون جامعا .

وعلى ذلك اذا رجعنا الى الاستعارة فى الافعال والمشتقات والحروف وجدناها لا يدل المستعار منها على كلى حتى يكون مشبها به ، لذلك لزم ان ترجع مادلت عليه من جزئيات الى كليات . واليك مثلا من المشتقات :

. . . .

اذا قلت زيد اليوم قاتل اخاه ، واردت انه ضاربه ضربا شديدا ترى لفظة « قاتل » دالة على حدث وذات واقتضت زمنا وظاهر ان التشبيه ليس فى الزمن والا لدللنا عليه بلفظ يخصه ، ثم انه ليس هناك زمن لضارب » وزمن لقاتل ، اذ الحاصل فى الخارج حدوث الضرب فالزمن واحد ولا يشبه الشيء الواحد بنفسه . وظاهر ان التشبيه ليس فى الذات والا لدللنا عليه بلفظ يخصها ، ثم انه ليس هناك ذاتان اذ الحدث الذى حصل واحد فالذات واحدة ولا يشبه الواحد بنفسه . فلم يبق معنا ما يصح التشبيه به الا الحدث الذى هو القتل المنسوب لتلك الذات وهو بنسبته الى تلك الذات صار جزئيا والجزئى ليس معروف اللوازم فوجب ان نرجع الى مشبه به كلى وهو القتل من حيث هو ، وانه لواضح ان ما اردت أن تلحق الضرب به فيه ، انما هو وصف لا يعرف الا للحقيقة الكلية وهو شدة الايذاء ، على ان القتل الجزئى المدلول عليه بقاتل ليس حاصلا ولا متحققا لان مدلول قاتل هو ضارب وحدوث الضرب هو الذى حصل فى الخارج فقط فليس معنا ما نشبه به سوى ذلك المفهوم الكلى مفهوم القتل ، واليك مثلا آخر اذا قلت زيد فى نعمة فشبهت الارتباط بين زيد ونعمة بالارتباط بين ظرف ومظروف اى بالظرفية فانك حين تريد التشبيه لم تنظر الا الى لازم الظرفية الكلية من حيث هى ، ولم تنظر الى ظرفية معينة خارجية — والظرفية المدلول عليها فى ظرفية جزئية فكان لزاما ان ترجع الى ظرفية كلية ومن هنا يتضح ان التشبيه انما نلحظ فيه الحقائق الكلية وحين تستعير انما تستعير دال جزئى من جزئيات تلك الحقيقة الكلية — فكان بذلك التشبيه فى موطن اذهو فى الكلى والاستعارة فى موطن آخر اذ المستعار ليس دال الكلى بل دال جزئى من جزئياته .

فمن العجب اذا ان يقولوا فى اجراء الاستعارة الاصلية « شبهنا وادعينا دخول المشبه فى جنس المشبه به ، مما يدل على انهم لا يلتفتون فى التشبيه الا الى الكليات . ولقد اخطأوا حين قالوا فى الاستعارة التبعية ان التشبيه سرى من الكليين الى الجزئيين اذ المشبه فى التبعية ليس كليا بل هو جزئى ، فمثل « قتلت محمدا » اى ضربته ضربا شديدا لا تلحظ فى ذلك الا تشبيه الضرب الذى حصل منك فى الخارج ولا شك انه حينئذ جزئى .

* * * * * * * * * * * * *

ملاحظـــات :

١ — العصـــام يرى ان الذوق الادبى ينفى الاســـتعارة التبعية ، فالمســـتعير لا شك انه لا يتكلم اولا بالمصـــدر ولا بمتعلق معنى الحرف ولا يقصد الى استعارة شىء منهما (راجع ١٥١ الرسـالة البيانية) .

٢ — الرازى يمنع التجوز فى الحرف مطلقا ويرد مثله الى الاستعارة التمثيلية (راجع ١٦٥ من الرسـالة البيانية) .

٣ — فى تعليل كون الاستعارة تبعية آراء كثيرة منها :

٤ — الاستعارة فى الفعل واسم الفعل والحرف والاسم المبهم تبعية لعدم استقلالها بالمفهومية ، وفى المشتق لان المقصود الاهم المعنى القائم بالذات لا الذات وهذا رأى السـعد والسيد .

ويرى العصـــام ان الاســـتعارة تبعية فى المشتقات ومنها الفعـل لانه لا استعارة عند التحقيق الا من معنى مصدرى ، واما ما سواه فمشترك بين المعنى الحقيقى والمجازى ، فالاحق اعتبار الاستعارة فى المصدر .

والجمهـــور يرون أن الاســـتعارة تبعية فى الفعـــل والحرف والمشتق لعدم صلاحيتها للموصـوفية لانها ليست امورا متقررة ثابتة . وقد اعترض السعد فى شرحه على المفتاح على هذا بان الموصوف بالمشـــاركة نفس المشـــبه والمشبه به وهو لا يختلف باختلاف التعبير ، فعدم صلوح العبارة الدالة عليه للموصـــوفية لفظا لا يقدح فى اتصافه بالمشـــاركة (١٥٦ من الرسـالة البيانية) .

٥ — ويرى العصام عدم اعتبار الاستعارة فى المتبوع فالكلى يشـبه بالكلى فيسرى التشبيه الى الجزئيات ويستعار من جزئى من جزئيـات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه .

اما الجمهور فيرون أن التبعية تابعة للاســـتعارة فى المتبوع فالكلى يشبه بالكلى ثم يستعار له لفظ الكلى فيسرى الى الجزئيات فيســـتعار جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه .

لأنه (١٦٤) ان كان اسم جنس (١٦٥) فأصلية (١٦٦) كأسد (١٦٧) وقتل ؛ والا فتبعية : كالافعال (١٦٨) ؛ والصفات المشتقة منها (١٦٩) ، والحروف :

لأن الاســتعارة تعتمد التشبيه (١٧٠) ، والتشبيه يعتمـد كون

---

(١٦٤) هذا التقسيم للمصرحة . ولا مانع من جريانه فى المكنية ؛ فالأصلية منها كاظفار المنية نشــبت بفلان ، والمكنية التبعية مثل أراق الضارب دم فلان ، شــبه الضرب بالقتل واستعير القتل فى النفس الضرب واشتق من الضرب الذى استعير له القتل ضارب بمعنى قاتل وطوى ذكر المشبه به وهــو القتل ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الاراقة ؛ ولكن التبعية المكنية لم توجد فى كلام البلغاء .

(١٦٥) اى حقيقة او تاويلا كما فى الاعلام المشتهر مدلولهـا بنوع وصفية كاستعارة لفظ حاتم للرجل الكريم فان حاتما علم لكنه اول باسم جنس وهو رجل يلزمه الكرم بحيث يكون الكرم غير معتبر فى مفهومه فليس مؤولا بجواد والا لكانت الاستعارة فيه تبعية لا اصلية .

(١٦٦) نســبة للأصل بمعنى الكثير لكثرة افرادها او نسبة للأصل بمعنى ما كان مستقلا وليس مبنيا على غيره .

(١٦٧) فشبه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة ثم ادعى ان الرجل المذكور فرد من افراد الأســد ؛ فاستعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية .

(١٦٨) قيل ولو اقترن الفعل بحرف مصدرى ؛ وقيل لا بل هو حينئذ اصلية نظرا للتأويل .

(١٦٩) اى من الفعل ؛ مثل اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وغير ذلك كافعل التفضيل واسم الزمان والمكان والآلة .

(١٧٠) اى تعتمد عليه اذ هى اعطاء اسم المشبه به للمشبه بعد ادخال الثانى فى جنس الأول (راجع ذلك فى المفتاح ص ١٦١) .

المشـــبه موصوفا (١٧١) ، وانما يصـــلح للموصوفية الحقائق (١٧٢) ، كما فى قولك : جســـم أبيض ، وبياض صـــاف (١٧٣) ، دون معـــانى الأفعال (١٧٤) ، والصفات المشتقة منها (١٧٥) ، و (دون) الحروف(١٧٦).

---

(١٧١) أى ان التشبيه يقتضى كون المشبه موصوفا بوجه الشبه اى بحيث يصح الحكم به عليه اى ويقتضى ايضا ان يكون المشبه به موصوفا بوجه التشبيه واذا كان التشبيه مقتضيا لوجود وجه الشبه فى الطرفين صح ان يحكم على كل منهما ولك ان تقول : ان التشبيه يقتضى كون الطرفين موصوفين بوجه الشبه ؛ اى تنوع فى التعبير فنقول او يقتضى كون المشبه مشاركا للمشبه به فى وجه الشبه .

(١٧٢) اى الامور المتقررة — التى اجتمع اجزاؤها فى الوجـــود — الثابتة اى فى نفسها لاستقلالها بالمفهومية .

(١٧٣) اى كالجسم والبياض والطول وما شاكل ذلك .

(١٧٤) هذا محترز قولنـــا المتقررة .

(١٧٥) لكونها متجددة غير متقررة ايضا : بواسطة دخول الزمان اولا فى مفهوم الافعال ، وعروضه للصفات لدلالتها على ذات ثبت لهـا الحدث والحدث لا بد له من زمان يقع فيه .

(١٧٦) هذا محترز الشرط الثانى وهو قولنـــا « الثابتة » .

هذا وقـــد رد هذا الدليل بانه بعد تسليم صحته لا يتناول اسـم المكان والزمان والآلة لانها تصـــلح للموصوفية ، وهم ايضا صرحوا بأن المراد بالمشتقات هو الصفات دون اسم الزمان والمكان والآلة ، فيجب أن تكون الاستعارة فى اسم الزمان والمكان والآلة اصلية بان يقدر التشبيه فى انفسها لا فى مصادرها وليس كذلك بل الاستعارة فيها تبعية ، للقطع بأنا اذا قلنـــا هذا مقتل فلان للموضـــع الذى ضرب فيه ضربا شـــديدا بأن استعرنا القتل للضرب واشتققنا منه مقتل بمعنى مكان الضرب او زمنه ، او قلنـــا هذا مرقد فلان لقبره ، فان المعنى على تشبيه الضرب بالقتـــل والموت بالرقاد ، وان الاستعارة فى المصدر لا فى نفس المكان مثلا .

ولذلك وجه الســـعد تبعية الاستعارة فيما ذكر بتوجيه آخر اختاره وهو ان الاستعارة فى الافعال وجميع المشتقات (بما فيها اســـم الزمان والمكان والآلة) التى يكون القصد بها الى المعانى القائمة بالذات هى تبعية ، لان المصدر الدال على المعنى القائم بالذات هو المقصود الاهم الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه ، ولو لم يكن المقصود الاهم من المشتقات المعانى القائمة بالذوات بل كان المقصود منها نفس الذوات لذكرت الالفاظ الدالة على =

فان قلت (١٧٧) : فقــد قيل فى نحو شجاع باســل وجواد فياض

= نفس الذوات دون ما يقوم بها من الصفات بأن يذكر زيد اوعمرو بدل اللفظ الدال على ما قام بها من الصفات كضارب ومضروب .

(١٧٧) راجع ص ١٦١ من المفتاح .

ملاحظـــات :

١ — اسم الجنس هنا المراد به ما دلّ على نفس الذات الصـــالحة لان تصدق على كثيرين من غير اعتبار وصف من الاوصاف فى الدلالة . والمراد بالذات الصالحة للصدق على كثيرين المـــاهية الكلية سواء كانت ماهية عين كاســـد او ماهية معنى كالضرب .

وخرج بالصالحة الاعلام والمضمرات واسم الاشارة فهى جزئيات لا تجرى فيها الاستعارة الاصلية .

وقولنـــا « من غير اعتبار وصف » خرج به المشتقات مثل ضـارب .

اما اسم الجنس عنــد النحاة فهو النـــكرة الشاملة للمشـــتقات والجوامد وليس هـــذا مرادا هنا .

٢ — خلاصة التوجيه الاول فى تبعية الاستعارة ان الاستعارة تعتمد التشـــبيه والتشبيه يقتضى كون الطرفين موصوفين بوجه الشـــبه — او نقول ان التشبيه يقتضى كون المشبه مشاركا للمشبه به فى وجه الشبه — وانما يصـــلح للموصوفية الحقائق ، فحينئــذ تخرج الافعال والمشتقات والحروف فلا تصلح للاستعارة لعدم صحة التشبيه فيها الا اذ كانت تابعة لما له ثبات واستقلال ، للفرق الظاهر بين التشـــبيه والاســـتعارة المقصودين والتشبيه والاستعارة الحاصلين ضمنا بطريق السراية .

ورد هذا الدليل بما خلاصته اننا لا نسلم استقامة الدليل لان قولهم « انما تصلح للموصوفية الحقائق » ممنوع ، اذ هو منقوض بنحو حركة سريعة او بطيئـــة وهذا زمان صعب ، فالزمان والحركة لا تقرر لهـــا مع صحة وصف كل منهما ، ولان قولهم « بواسطة دخول الزمان فى مفهوم الفعل وعروضه للصفات » يرد عليـــه ان دخول الزمان فى مفهوم الفعل انما يقتضى تجـــدد مجموع مفهومه لا تجـــدد الحدث الذى هو المقصـــود منه بتجدد الزمان ويرد عليه ايضا ان عروض الزمان اذا منع جريان التشبيه فى الصفات ينبغى ان يمنع جريانه فى المصـــادر ايضا لعروض الزمان لمفهومهـــا .

ولو سلمنا صحة الدليل واستقامته فيرد عليه على تقدير الصحة =

وعالم نحرير وان باسلا وصف لشجاع . وفياضا وصف لجواد . ونحريرا وصف لعالم .

قلت : ذلك متأول بأن الثوانى لا تقع صفات الا لما يكون موصوفا بالأول .

فالتشبيه فى الأفعال والصفات المشتقة منها لمعانى(١٧٨) مصادرها،

= والاستقامة انه لايتناول اسم الزمان والمكان والالة لانها تصلح للموصوفية = ان الاستعارة فيها تبعية .

٣ — « أولئك على هدى من ربهم » لاجراء الاستعارة فيها نقول : شبهنا مطلق ارتباط بين ملابس وملابس بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه بجامع شدة التمكن فى كل ، ثم سرى التشبيه من الكليين للجزئيين ، فاستعيرت « على » من جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه وهو ملابستهم للهدى ؛ على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

٤ — التشبيه تلحظ فيه الحقائق الكلية ، وحين نستعير انما نستعير دال جزئى من جزئيات تلك الحقيقة الكلية .

٥ — الاستعارة فى اسم الفعل تبعية وفى المصدر اصلية ، وفى الفعل المقرون بحرف مصدرى تبعية وقيل اصلية ، والمصغر والمنسوب مؤولان بالمشتق فالاستعارة فيهما تبعية وكذلك هى تبعية فى اسم الزمان والمكان والالة وجعلها بعضهم فيها اصلية . اما اسم الاشارة والموصول والضمير فجعلها بعضهم فيها تبعية وكذلك الاسم المبهم لان كلا من هذه المبهمات ليس من اسم الجنس لا تحقيقا ولا تأويلا اذ ان معانيها جزئية والاصلية مختصة باسم الجنس .

واذا عاد الضمير او اسم الاشارة الى مجاز فليس فيهما تجوز نحو زارنى هذا الاسد فاكرمته ؛ وقيل فيهما تجوز تبعا لما يرجعان اليه .

والاستعارة فى العلم الذى تضمن نوع وصفية كحاتم اصلية .

(١٧٨) اى المحققة او المقدرة كما فى الافعال التى لا مصادر لها بل ذكر بعضهم ان الاستعارة فى اسماء الافعال تبعية لتبعيتها لاستعارة المصدر المقدر من المعنى لا من اللفظ ولكن الظاهر ان الاستعارة فيها اصلية .

وفى الحروف لمتعلقات معانيها [١٧٩] : كالمجرور فى قولنا « زيد فى نعمة ورفاهية [١٨٠] .

فيقدر التشبيه فى قولنـــا : « نطقت الحال بكذا » ، و « الحال

---

(١٧٩) اى لمـــا تعلق به معنى الحـــرف ، اى للمعنى الكلى الذى تعلق به معنى الحرف كالابتداء المخصوص والظرفية المخصوصة ، من تعلق الجزئى بالكلى .

قال صاحب المفتاح (راجع ١٦١ مفتاح) « المراد بمتعلقات معانى الحروف ما يعبر بهـــا عنها ـــ اى معان كليـــة يعبر بدالهـــا عن معانى الحروف التى هى معانى جزئية ـــ عند تفسير معانيها ، مثل قولنـــا : « من » معناها ابتـــداء الغاية ، و « فى » معناها الظرفية » و « كى » معناها الغرض اى العلة الباعثة ، فهـــذه ـــ اى الابتداء والظرفية والغرض المطلقات ـــ ليست معانى الحروف ـــ اى بالاستقلال ـــ والا لمـــا كانت حروفا بل اسماء لان الاسمية والحرفية انما هى باعتبار المعنى ـــ اى فاذا كان معنى الكلمة مستقلا بالمفهومية ملحوظا بذاته ولم يكن رابطة بين امرين فان اقترن بزمان ففعـــل ، وان لم يقترن فاسم ، وان كان المعنى غير مســـتقل بالمفهومية ملحوظا تبعا لكونه رابطة بين امرين فحرف ـــ وانما هى ـــ اى تلك المعانى الكلية ـــ متعلقات لمعانيها ، اى اذا افادت هذه الحروف معانى ـــ وهى الابتداء المخصوص فى من مثلا ـــ ترجع تلك المعانى الى هذه بنوع استلزام ـــ وهو استلزام الخاص للعام لا العكس ـــ لا مطابقة » ، فالعلاقة اللزوم الخاص اى لزوم المسبب للسبب ، لا مطلق اللزوم لان ذلك لا بد منه لكل مجاز (استعارة او مرسلا) .

(١٨٠) قوله « كالمجرور » تمثيـــل لمتعلق معنى الحرف ، وهذا ليس بصحيح لان المجرور ليس هو المتعلق بل هو المعنى الكلى الذى استلزمه معنى الحرف ، فمتعلق معنى الحرف فى المثـــال المذكور هو الظرفية المتعلقة لا النعمة كما هو اصطلاح علماء الوضع فالمثال « زيد فى نعمـــة » كون النعمة ظرفا « لزيد ليس كذلك » ، فحمل الكلام على الاستعارة ، بأن شبه مطلق ملابســـة شىء لشىء بالظرفية المطلقة فسرى التشـــبيه للجزئيات فاستعير لفظ « فى » الموضوعة للظرفية الخاصة لملابسة النعمة لزيد ، فملابسة زيد للنعمة مستعار له ، والظرفية الخاصة مستعار منها ، ولفظ « فى » مستعار .

ناطقـــة بكذا » للدلالة بمعنى النطق (١٨١) ، وعليه فى التهكمية قوله تعالى (١٨٢) :

« فبشرهم بعذاب أليم » بدل « فأنذرهم » ، وقوله تعالى : (انك لأنت الحليم الرشيد) بدل السفيه الغوى .

وفى لام التعليل (١٨٣) كقوله تعالى (١٨٤) « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » : للعـــداوة (١٨٥) والحزن الحاصلين بعـــد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط (١٨٦) . ومما يتصل بهذا أن يا حرف

---

(١٨١) أى بجعل دلالة الحال مشبها وتطلق الناطق مشـــبها به ووجه الشبه ايصال المعنى الى الذهن ، ثم يستعار للدلالة لفظ النطق ثم يشتق من النطق المستعار الفعل والصفة ، فتكون الاستعارة فى المصدر اسلية لأوليتها . وفى الفعل والصفة تبعية لتأخرها . وان اطلق النطق على الدلالة لا باعتبار التشبيه بل باعتبار ان الدلالة لازمة له يكون مجازا مرسلا علاقته اللزوم الخاص أى لزوم المســـبب للسبب لا مطلق اللزوم لان ذلك لا بد منه لكل مجاز (استعارة او مرسلا) بالنطق للدلالة اذا كان بطريق التشبيه اى بحيث يكون الانتقال من الملزوم الى اللازم بواســـطة التشبيه وجعل وجه الشبه وسيلة اللزوم بين المنتقل عنه واليـــه كان استعارة تبعية فى الفعل وما يشتق منه ، وان استعمل النطق فى الدلالة برعاية علاقة اللزوم بلا تشبيه ولا جعل وجه الشبه وسيلة كان مجازا مرسلا تبعيا فى الفعل وما يشتق منه .

هذا وراجع المثالين فى ٣٩ الأسرار و١٦٠ و١٦١ المفتاح .

(١٨٢) راجع ١٦٢ مفتاح .

(١٨٣) للعاقبة والغاية .

(١٨٤) ص ٢٦ ما اتفق لفظه للمبرد ، ١٦٢ مفتاح .

(١٨٥) أى يقدر تشبيه العداوة .

(١٨٦) وعلى ما ذكره السعد يقال فيها : قدر تشـــبيه العـــداوة والحزن الحاصلين بعده بالعـــلة الغائية كالمحبة والتبنى بجامع الترتب فى كل على الالتقاط ، واستعير اسم المشبه به للمشبه ، ثم استعيرت اللام الموضوعة لترتب العلة الغائية على معلولها كترتب المحبة والتبنى على الالتقاط لترتب غير العلة الغائية كترتب العداوة والحزن عليه ، فالاستعارة =

* * * * * * * * * * * * *

ف اللام تابعة للاستعارة ف المجرور الذى هو متعلق الحرف عنده او تابعة للتشبيه الواقع بين المجرور والعلة الغائية .

وهذا الطريق مأخوذ من كلام صاحب الكشاف ومبنى على أن متعلق اللام هو المجرور على ما سبق ، لكنه غير مستقيم على مذهب المصنف والجمهور ف الاستعارة المصرحة لان المتروك يجب ان يكون هو المشبه سواء كانت الاستعارة اصلية او تبعية ، وعلى هذا الطريق المشبه اعنى العداوة والحزن مذكور لا متروك وحينئذ لا استعارة ف اللام تبعا ولا ف المجرور اصالة ومثل ذلك يقال ف « ولاصلبنكم ف جذوع النخل » فمذهب المصنف انه شبه الجذوع المستعلى عليها بالظروف فسرى ذلك التشبيه الى تشبيه تلبس المستعلى بالجذوع بتلبس الظرف بالمظروف فاستعيرت ف الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف لتلبس المستعلى او بالجذوع المستعلى عليها ، وكذلك زيد ف نعمة على مذهب المصنف شبهت النعمة بالظرف الحسى فسرى التشبيه فشبه تلبس زيد بالنعمة بتلبس الظرف بالمظروف فاستعيرت ف الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف لتلبس زيد بالنعمة .

وتحقيق الاستعارة التبعية هنا على مذهب القوم انه شبه ترتب مطلق العداوة والحزن على مطلق التقاط بترتب علته الغائية المطلقة عليه بجامع مطلق الترتب ف كل ، ثم استعمل ف جزئى المشبه — الذى هو ترتب — اللام الموضوعة للمشبه به اعنى ترتب علة الالتقاط الغائية الخاصة — وهى محبة الملتقط لموسى وتبنيه اياه — عليه ، وذلك بعد أن استعير ترتب العلة الغائية على الالتقاط لترتب العداوة والحزن عليه ، فسرى التشبيه للجزئيات ثم استعمل ف جزئى المشبه الخ ، فقد جرت الاستعارة أولا ف العلية والغرضية ، وتبعيتها ف اللام ، فعلى هذا يشبه معنى كلى بمتعلق معنى الحرف الذى هو معنى كلى فيسرى التشبيه للجزئيات فيستعار الحرف الموضوع لجزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه . وقيل الاستعارة ف الحرف تابعة للتشبيه فاولا تشبيه المعنى الكلى بمتعلق معنى الحرف الذى هو معنى كلى فسرى التشبيه للجزئيات فتستعير الحرف الموضوع لجزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه . فالحاصل ان التبعية ف الحرف على مذهب المصنف تابعة للتشبيه وعلى مذهب الجمهور قيل انها تابعة للاستعارة وهو ظاهر كلام الشارح وقيل انها تابعة للتشبيه اذ لا حاجة لاستعارة اسم المشبه به الكلى للمشبه وقد ارتضى العصام ذلك . فحكم اللام هنا حكم الأسد ؛

. . . .

حيث استعيرت هي بعد سريان التشبيه للجزئيات لما يشبه العلية . وصار متعلق معنى اللام هو العلية والغرضية المطلقة ، لا المجرور على ما ذكره الخطيب سهوا . وقال ابن يعقوب المستقيم فى الحرف كون الاستعارة فيه مكنية على ان يكون التشبيه فى المجرور .

ملاحظات :

١ — الاستعارة فى الافعال والمشتقات والحروف تبعية : لجريانها فى المصدر ومتعلقات معانى الحروف أولا قبل جريانها فيها ، فجريانها فيها بطريق التبعية لجريانها فى المتعلق ، وانما كانت تابعة لجريانها فى المصدر والمتعلق .

(أ) لأن الاستعارة كما يقول الخطيب تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضى الاتصاف بوجه الشبه والمشاركة بين الطرفين (المشبه والمشبه به) فيه ، وانما يصلح للموصوفية الحقائق اى الأمور المتقررة الثابتة .

(ب) او لأن القصد بها كما يقول السعد الى المعانى القائمة بالذوات لأن المصدر الدال على المعنى القائم بالذات هو المقصود الاهم الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه والا لذكرت الألفاظ الدالة على نفس الذوات دون ما يقوم بها من الصفات .

(ج) وقيل تبعية الاستعارة فى الافعال والمشتقات والحروف لأن المستعار فيها لا يدل على معنى كلى حتى تكون مشبها به ولذلك لزم أن يرجع ما دلت عليه من جزئيات الى كليات .

(د) وقيل لأن الشىء لا يصلح للموصوفية الا اذا كان مستقلا بالمفهومية والأفعال والمشتقات وكذا الحروف غير مستقلة بالمفهومية .

٢ — والخلاصة ان الاستعارة فى الافعال والمشتقات تابعة للاستعارة فى المصدر ، اما الاستعارة فى الحروف فهى تابعة لمتعلقات معانيها ، واختلفوا فى المتعلق :

(أ) فقال الكشاف هى تابعة للاستعارة فى متعلقاتها مع مجروراتها ونحوه .

(ب) وقال الخطيب :

انها تابعة للتشبيه فى متعلقاتها مع مجروراتها ونحوه .

(ج) وعند الجمهور :

قيل انها تابعة للاستعارة فى متعلق معانى الحروف وهى المعانى الكلية .

. . . .

وقيل انها تابعة للتشـــبيه في متعلق معاني الحروف وهي المعـــاني الكلية .

فالنتيجة ان الاستعارة في الحرف تابعة لاســـتعارة في متعلقاتها ؛ وقيل انها تابعة للتشبيه في متعلقاتها ولا داعي لاستعارة اسم المشبه به الكلي للمشبه الكلي بل يسري التشبيه من الكلي للجزئي فنستعير جزئي المشبه له لجزئي المشبه .

٣ — فالمثال « زيد في نعمة » لاجراء الاستعارة فيه نقول :

(أ) على رأى الكشاف :

شبهنا للنعمة الملابسة للانسان بالظرف الملابس لمطلق مظروف ، واستعير المشبه به للمشبه فسرى التشبيه للجزئيات فاستعرنا « في » الموضوعة لملابسة الظرف بالمظروف لملابسة النعمة لزيد .

(ب) وعلى رأى الخطيب :

شبهنا النعمة الملابسة لانسان بالظرف الملابس لمطلق مظروف فسرى التشبيه من الكليين للجزئيين فاستعرنا في الموضوعة لجزئي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه .

(ج) وعلى رأى الجمهور :

اما ان نقول : شبهنا مطلق ملابسة بين شيء وشيء بمطلق ملابسة بين ظرف ومظروف واستعرنا المشبه به للمشبه فسرى التشبيه للجزئيات فاستعرنا « في » الموضـــوعة لجزئي من جزئيات المشـــبه به لجزئي من جزئيات المشبه .

واما ان نقول : شبهنا مطلق ملابسة بين شيء وشيء ، بمطلق ملابسة بين ظرف ومظروف فسرى التشبيه من الكليين للجزئيين فاستعرنا « في » الموضوعة لجزئي من جزئايت المشـــبه به للدلالة على جزئي من جزئيات المشبه .

٤ — قال الصاحبي في الآية الكريمة : (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا) :

ومن اللامات لام العاقبة مثل (ليكون لهم عدوا وحزنا) ولم يلتقطوه لذلك ولكن صارت العاقبة ذلك ١٨٧ الصاحبي .

٥ — راجع تعليق المبرد على الآية الكريمة : (ولأصلبنكم في جذوع النخل) في ص ٧١ ج ٢ من كتاب الكامل .

وضع فى أصله لنداء البعيد ثم استعمل فى مناداة القريب ، لتشبيهه بالبعيد ، باعتبار أمر راجع اليه أو الى المنادى ، أما الأول فكقولك لمن سـها وغفل وان قرب يا فلان وأما الثانى فكقول الداعى فى سؤاله يا رب يا الله ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، فانه استقصار منه لنفسـه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضـوان الله تعالى ومنازل المقربين هضما لنفسه ، واقرارا عليها بالتفريط فى جنب الله تعـالى مع فرط التهـالك على اسـتجابة دعوته والاذن لندائه وابتهـاله .

(قرينــة التبعيــة)

واعلم (١٨٧) أن مدار قرينة التبعية فى الأفعال والصفات المشتقة منها ، على نسبتها الى الفاعل كما مر فى قولك نطقت الحال ، أو الى المفعول كقول ابن المعتز :

جمــع الحق لنـــــا فى امام　　قتل البخل وأحيا السماحا (١٨٨)

وقول كعب بن زهير (١٨٩) :

صـــحبنا الخزرجيـــة مرهفات　　أبـــاد ذوى أرومتهـــا ذووها

والفرق بينهما أن الثانى مفعول ثان دون الاول ، ونظير الثانى قوله (١٩٠) :

نقريهم لهذميـــات نقـــد بها　　ما كان خـــــاط عليهم كل زراد

---

(١٨٧) راجع ص ٤٠ من الاسرار ، ١٦٢ من المفتاح .

(١٨٨) والقتل والاحياء الحقيقيان لا يتعلقان بالبخل والجود ، تدل هذا على ان المراد بالقتل الازالة وبالاحياء الاكثار ، شبه الازالة بالقتل بجامع ما ترتب على كل من العدم ، والاكثار بالاحياء بجامع اظهار المتعلق فى كل .

(١٨٩) راجع البيت فى ٤١٤ جـ ١ حماسة ، ١٦٢ من المفتاح . صبحنا اى سقيناها الصـــبوح ، الخزرجية هم الخزرج من يثرب المرهفـــات : السيوف المرققة . الارومة الاصل ، والشاهد فى (صبحنا) لانه فى الاصل بمعنى سقاه الصبوح فاستعير للضرب استعارة تصريحية تبعية عنادية تهكمية . نزل التضاد منزلة التناسب فشبه الاساءة الى الخزرجية صباحا بالاحسان اليهم وتقديم الصبوح لهم بجامع ادخال السرور على النفس فى كل وان كان ادعائيا فى المشبه ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه واشتق من الصبوح بمعنى الضرب (صبح) بمعنى ضرب بها .

(١٩٠) هو للقطامى وقد سبق شرح البيت . وراجعه فى ٤٠ و ٤٥ من الاسرار و١٦٢ من المفتاح .

أو الى المفعولين : الأول والثانى ، كقول الحريرى : (١٩١)

وأقرى المسامع اما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا

أو الى المجرور كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » (١٩٢) .

قال السكاكى (١٩٣) : أو الى الجميع كقول الآخر (١٩٤) :

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة
اذا سرى النوم فى الاجفان ايقاظا

---

(١٩١) القرينة تعلق (اقرى) بكل من المسامع والبيان وانما يقع القرى على الضيف . شبه اسماعه الكلام الحسن بالقرى بجامع أن كلا يسر .

فرس حرون اى لا ينقاد واذا اشتد به الجرى وقف . وشمس الفرس شموسا منع ظهره . ورجل شموس صعب الخلق وأراد بالحرون للشموس من لا ينقاد . يصف نفسه بعذوبة الكلام وسحر البيان .

(١٩٢) نزل التضاد منزلة التناسب تهكما فشبه الانذار بالتبشير واستعير التبشير للانذار واشتق منه بشر بمعنى انذر استعارة تصريحية تبعية تهكمية .

ومثل هذا البيت :

او لم ترى لقمان اهلكه ما اقتات من سنة ومن شهر

وهى لسلمى بن غوية ١٧٠ جـ ١ الامالى .

(١٩٣) ١٦٢ من المفتاح .

(١٩٤) البيت فى المفتاح ص ١٦٢ . الحزن : الارض الغليظة . الجفن غطاء العين وغلاف السيف ، استعير لاكمام الزهر بجامع التغطية فى كل ، وكنى بسريان النوم فيها عن ذبولها ، وايقاظ مصدر ايقظ مستعار لتفتيح الزهر وايجاد النضرة والبهجة فيه ، وقد حسن التعبير بالايقاظ مجيئه بعد النوم والاجفان ، والمعنى : تهب الرياح على بساتين الحزن فتكسوها تفتحا وحسنا ونضارة .

فالقرينة هنا : تعلق الفعل (تقرى) بالفاعل الرياض والمفعول (ايقاظا) ، وتعلق سرى بالنوم وفى الاجفان .

وفيه نظر (١٩٥) :

تقسيم الاستعارة باعتبار الخارج (١٩٦)

وأما باعتبار الخارج فثلاثة أقسام :

أحدها المطلقة وهى التى لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام (١٩٧) ، والمراد المعنوية لا النعت (١٩٨) .

وثانيها المجردة وهى التى قرنت بما يلائم المستعار له (١٩٩) كقول

---

(١٩٥) لان « فى الاجفان » متعلق بسرى النوم ، لا بتقرى حتى يكون قرينة له ، فلا تكون القرينة فى البيت راجعة الى الجميع كما ذكر السكاكى لخروج المجرور منها .

(١٩٦) وهذا تقسيم للاستعارة باعتبار وجود الملائم لاحد الطرفين او عدم وجوده ، وهذا غير اعتبار الطرفين والجامع واللفظ ، وراجع ذلك فى ١٦٣ مفتاح و٢٦٢ — ٢٧٦ الاسرار .

(١٩٧) فهى التى لم تقترن بشىء من ملائمات المستعار له — اى مما يناسبه بحسب اللفظ او المعنى — أو المستعار منه ، مع تمام القرينة اذ هى مما يلائم المستعار له ، فالمطلقة هى التى لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام مما يلائم المستعار له والمستعار منه حقيقة او حكما ، فيشمل ما اذا اشتملت الاستعارة على تجريد وترشيح ... ومثالها « عندى أسد » .

هذا والملائم ان كان من بقية الكلام الذى فيه الاستعارة فهو صفة ، وان كان كلاما مستقلا جىء به بعد ذلك الكلام الذى فيه الاستعارة مبنيا عليه فهو تفريع سواء كان بحرف التفريع أم لا ، وسميت مطلقة لاطلاقها عن وجود الملائمات .

(١٩٨) اى ان المراد بالصفة الصفة المعنوية لا النعت النحوى فقط على ما مر فى بحث القصر ، وبين ذاتى الصفة المعنوية والنعت النحوى التباين لان النحوى من قبيل اللفظ والمعنوية من قبيل المعنى وبين ذال المعنوية والنحوية عموم من وجه لتصادقهما فى « اعجبنى هــذا العالم » وانفراد المعنوية فى « العلم حسن » والنحوى فى مررت بهذا الرجل ،

(١٩٩) اى زيادة القرينة .

كثير (٢٠٠) .

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا … غلقت لضحكته رقاب المال

فانه استعار الرداء للمعروف ، لأنه يصون عرض صاحبه ، كما يصون الرداء ما يلقى عليه ، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء ، فنظر الى المستعار له . وعليه قوله تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » حيث قال « أذاقها » ولم يقل « كساها » فان

---

(٢٠٠) راجع ٣٤٥ من الصناعتين . وفى البيان والتبيين : العرب تسمى السيوف بجمائلها أردية (٥٥ ج ٣ البيان) غمر الرداء اى كثير العطاء ، استعار الرداء للعطاء لانه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه فالجامع مطلق الصون عما يكره ، ثم وصفه بالغمر الذى يناسب العطاء اذا كان من غمر الماء بمعنى كثر ، اما ان كان من توهم ثوب غامر اى واسع فهو ترشيح ، والقرينة سياق الكلام أعنى قوله : « اذا تبسم ضاحكا » اى اذا ابتسم غلقت رقاب امواله فى ايدى السائلين اى تمكنت من ايديهم لا يقدر على نزعها منهم ، اى اخذ الفقراء ماله ، يقال غلق الرهن فى يد المرتهن اذا لم يقدر الراهن على انفكاكه لمضى اجل الدين ، ويلاحظ انه اذا كان فى الكلام ملائمات للمستعار له كل منها يعين المعنى المجازى جاز أن يكون كل واحد قرينة وتجريدا الا أن اعتبار الأول قرينة أولى فيكون الغمر تجريدا وسياق الكلام قرينة محل بحث هذا والرداء يناسبه الطول أو السعة فلا يوصف بالكثرة — على أن حقيقة الغمر الكثير من الماء — ، فاطلاقه على الكثير من العطاء مجاز ، وتجريده لهذه الاستعارة تجريد بما يلائم المستعار من طريق المجاز لا من طريق الحقيقة ، فالملائم فى الترشيح والتجريد يشمل ما كانت ملاءمته للطرف حقيقة وما كانت ملاءمته له مجازا .

هذا وسميت الاستعارة هنا مجردة لتجردها عما يقويها من إطلاق أو ترشيح لان المستعار له وهو المشبه صار بذكر ملائمه بعيدا من دعوى الاتحاد التى فى الاستعارة ومنها تنشأ المبالغة .

هذا والاستعارة المجردة ما قرنت بما يلائم المستعار له ، سواء كان المستعار له تفريعا مثل رايت اسدا يرمى ملتجأ الى ظل رمحه ، أو صفة نحوية مثل رايت اسدا راميا مهلكا اقرانه ، أو صفة معنوية كالبيت .

المراد بالاذاقة اصابتهم بما استعير له اللباس ، كأنه قال فأصابها الله بلباس الجوع والخوف ، قال الزمخشرى الاذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقولون ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب ، شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك من المر والبشع • فان قيل : الترشيح أبلغ من التجريد فهلا قيل فكساها الله لباس الجوع والخوف ؟ قلنا : لأن الادراك بالذوق يستلزم الادراك باللمس من غير عكس ، فكان فى الاذاقة اشعار بشدة الاصابة بخلاف الكسوة (٢٠١) • فان قيل : لم لم يقل « فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ؟ قلنا لأن الطعم وان لاءم الاذاقة فهو مفوت لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم الملابس » •

وثالثها المرشحة (٢٠٢) وهى التى قرنت بما يلائم المستعار (٢٠٣) منه ، كقوله : :

ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر

---

(٢٠١) راجع الكلام على الآية فى المفتاح ص ١٦٠ .
شبه ما يغشى الانسان من العذاب باللباس بجامع الاحاطة واستعير اللباس لما يغشى الانسان على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية واذاقها تجريد . وقيل شبه ما يغشى الانسان باللباس واستعير اللباس له ، ثم شبه ما يغشى الانسان بمطعوم مر وحذف المشبه به ورمز بشيء من لوازمه وهو الاذاقة ، فاللباس استعارة تصريحية ، والمطعوم المحذوف مكنية ، والاذاق تخييلية .

(٢٠٢) من الترشيح وهو التقوية لانها لما بنيت على تناسى التشبيه حتى كان الموجود فى نفس الأمر هو المشبه به زادت قوة بذكر ملائمه دون ملائم المشبه .

(٢٠٣) اى زيادة على القرينة ، فلا تعد قرينة المكنية ترشيحا : سواء كان الملائم صفة مثل رايت اسدا ذا لبد يرمى ، او تفريعا كالآية .

لى الشــطر الذى ملكت يمينى ودونك فاعتجر منه بشطر (٢٠٤)

فانه استعار الرداء للسيف لنحو ما سبق ، ووصــفه بالاعتجاز الذى هو وصف الرداء ، فنظر الى المستعار منه . وعليه قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » ، فانه أستعار الاشتراء للاختيار ، وقفاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء ، فنظر الى المستعار منه (٢٠٥) .

وقــد يجتمع التجريد والترشيح (٢٠٦) كما فى قول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبــد أظفاره لم تقــلم (٢٠٧)

---

(٢٠٤) البيتان من شواهد الكشاف . الشطر : النصف . الاعتجاز: الاهتمام ويقال اعتجرت المراة اذا لبست المعجر وهو ثوب تشــده على راسها ، رويدك : اسم فعل بمعنى أمهل .

المراد بالرداء السيف ، وبالشطر الذى ملكت يمينه قائمه ، وبالآخر صدره . فالاعتجاز فى البيت على غير حقيقته اذ المراد انه سيضربه على رأسه بصــدر سيفه ضربا يعم ذلك الرأس ويشطرها ، وهو كناية عن اهلاكه قطعا للنزاع .

(٢٠٥) فقد أستعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ، ثم فرع على الاستعارة المذكورة ما يلائم الاشتراء من نفى الربح فى التجارة ، ثم الربح مســتعار للانتفاع الاخروى ، والتجارة مستعارة لارتكابهم الضــلالة ، فكونهما ترشيحا هو باعتبار أصــل اطلاقهما لا باعتبار المعنى المراد من التركيب ، فالترشيح والتجريد قــد يكونان باعتبار المعنى المراد كما فى غمر الرداء بالنســبة للتجريد ، وقــد يكونان باعتبار الأصــل كما هنا بالنسبة للترشيح .

(٢٠٦) بأن يذكر معها ملائم المستعار له فقط وملائم المستعار منه فقط ، واما ذكر ملائمهما معا فليس من قبيل اجتماعهما .

(٢٠٧) فشاكى السلاح تجريد لانه وصف يلائم المستعار له اعنى الرجل الشجاع ، ومقذف اى قذف به فى الحروب فهو تجريد او قذف باللحم فيكون ملائما لهما فلا يكون تجريدا ولا ترشيحا بل هو فى معنى الاطلاق : « وله لبــد » ترشيح وكذلك « اظفاره لم تقلم » وهو كناية عن صمة =

والترشيح أبلغ (٢٠٨) من التجريد (٢٠٩) ، لاشتماله على تحقيق المبالغة (٢١٠) ، ولهـذا كان مبناه (٢١١) على تناسى التشبيه (٢١٢) ، حتى أنه يوضع الكلام ف علو المنزلة (٢١٣) وضعه ف علو المكان (٢١٤) ، كما قال أبو تمام :

ويصـعد حتى يظن الجهـول   بأن له حاجة ف السـماء (٢١٥)

فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ، ويصمم على انكاره ، فيجعله

= هي العز وعدم الذل — لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه أعنى الأسد الحقيقي ، وجعله ترشيحا بالنظر الى ان المراد أن ذلك الأسـد ليس من الجنس الذى تقـلم اظفاره او على ان المراد نفى المبـالغة اى انتفى تقليم اظفاره انتفاء مبالغا فيه . هذا واللبـد جمع لبـدة وهى ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه والتقليم مبالغة القـلم وهو القطع .

(٢٠٨) اى اقوى بلاغة لان مقام الاستعارة هو حال ايراد المبالغة ف التشبيه والترشيح يقوى تلك المبالغة .

(٢٠٩) اى ومن الاطلاق وابلغ من جمع التجريد والترشيح .

(٢١٠) اى ف التشبيه لان ف الاستعارة مبالغة ف التشبيه يجعل المشبه فرد من افراد المشبه به ، فترشيحها بما يلائم المستعار منه تحقيق لذلك وتقوية له :

(٢١١) اى مبنى الترشيح .

(٢١٢) اى على كمال تناسى التشبيه وادعاء ان المستعار له جزئى من جزئيات المستعار منه او من افراد المستعار منه لا شيء شبيه به .

(٢١٣) اى الذى يستعار له علو المكان .

(٢١٤) اى الذى يستعار منه . والمعنى انه لمـا وجد تناسى التشبيه ف الاستعارة صح لك الاتيان بالترشيح كما صح ان يبنى على علو القدر المستعار له علو المكان ما بنى على علو المكان المستعار منه وصح التعجيب والنهى عنه فلولا وجود التناسى ما صح شيء من ذلك .

(٢١٥) البيت ف رثاء خالد بن يزيد الشـيبانى وهـو ف الاسرار ص ٢٦٣ والمفتاح ١٦٣ .

استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء ف مدارج الكمال ثم بنى عليه اى رتب على علو القدر المستعار له ما يبنى على علو المكان اى بعد تناسى التشبيه .

صـاعدا فى السـماء من حيث المسافة المكانية ، لما كان لهذا الكلام وجه ، وكما قال ابن الرومى (٢١٦) :

يا آل نوبخت لا عدمتكم ولا تبـدلت بعـدكم بدلا
ان صح علم النجوم كان لكم حقا اذا ما سواكم انتحلا
كم عالم فيـكم وليس بأن قاس ولكن بأن رقى فعلا
أعلاكم فى السماء مجدكم فلستم تجهلون ما جهـلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الـ أمر الى ان بلغتم زحلا

وكما قال بشـار :

أتتنى الشـمس زائرة ولم تـك تبرح الفـلكا

وكما قال أبو الطيب (٢١٧) :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

وكما قال غيره (٢١٨) :

ولم أر قبلى من مشى البدر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الأسـد

ومن (٢١٩) هذا الفن ما سبق من التعجب والنهى عنه ، غير ان مذهب التعجب على عكس مذهب النهى عنـه ، فان مذهب التعجب

---

(٢١٦) راجع ١٦٣ من المفتاح ، ٢٦٣ من الاسرار .
والأبيات فى مدح ابى سهل النوبختى ، وآل نوبخت مشـهورون بالفلك والنجوم والحكمة ، وكان جدهم نوبخت منجما للمنصور .
انتحل الشىء : ادعاه لنفسه وهو لغيره .

(٢١٧) راجع البيت فى الأسرار ص ٢٧٠ والمفتاح ص ١٦٤ .

(٢١٨) راجع البيت فى الأسرار ص ٢٦٥ .

(٢١٩) راجع المفتاح ص ١٦٤ ، والاسرار ص ٢٦٤ ، ٢٦٧ .

اثبات وصف ممتنع ثبوته للمستعار (٢٣٠) منه ، ومذهب النهى عنه اثبات خاصة من خواص المستعار (٢٣١) منه .

واذا جاز البنـــاء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه كما فى قول العباس بن الأحنف (٢٣٢) .

هى الشمس مسكنها فى السماء فعـز الفـؤاد عزاء جميـلا
فلن تستطيع اليهـا الصـعود ولن تسـتطيع اليـك النزولا

وقول سعيد بن حميـد (٢٣٣) :

قلت زورى فأرســلت أنا آتيــك ســحره
قلت فالليــل اخـــفى وأدنى مســـره
فأجابت بحجـــة زادت القلب حســره
أنا شـــمس وانمــا تطلع الشــمس بكره

---

(٢٣٠) كانبات التظليل للشمس فى قوله :
قامت تظللنى من الشـــمس نفس اعـز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشـــمس
(٢٣١) كاثبات بلى الغلالة للقمر وهو من خواصه فلا يصح التعجب منه كما فى قول أبى المطاع ذى القرنين بن ناصر الدولة أبى محمد (٩ ، ١ اليتيمة تحقيق محيى الدين عبد الحميد) .
لا تعجبوا من بلى غلالتـــه قـد زر ازراره على القمر
(٢٣٢) راجع البيتين فى ص ١٢٤ مفتاح ، و ص ٢٦٧ من الأسرار .
فشبهها بالشمس ثم تناسى التشبيه واخذ يذكر احوالا تخص المشبه به كذلك ، رغم ما فى التشبيه من اعتراف بالمشبه ، ومع ذلك فقـد بنى الكلام على المشبه به اعنى الشمس .
(٢٣٣) راجع ص ٢٧٣ من الأسرار ، و ص ١٦٤ من المفتاح .
السـحرة قبيل طلوع الصبح ، البكرة . الغدوة وهى ملابسـة للسحرة .

فلان يجوز مع جحده[٢٢٤] فى الاستعارة أولى ، ومن هذا الباب قول الفرزدق[٢٢٥] :

أبى أحمد الغيثين صعصعة الذى … متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر
أجار بنـــات الوائدين ومن يجر … على الموت فاعـــلم أنه غير مخفر

ادعى لأبيه اسم الغيث ادعاء من سلم له ذلك ، ومن يخطر بباله أنه متناول له من طريق التشبيه ، وكذا قول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين :

يتعـــاوران من الغبـــــار ملاءة … بيضـــاء محكمـــة هما نســـجاها
تطوى اذا وردا مكانا محزنـــــا … واذا السنابك أسهلت نشراها[٢٢٦]

---

(٢٢٤) قوله « فلان » جواب قوله « واذا جاز » .
اى فمع جحد الاصل وهو المشبه اى مع عدم ذكره كما فى الاستعارة والاصل فى التشبيه وان كان هو المشبه به من جهة انه اقوى واعرف الا انه المشبه هو الاصل من جهة ان الغرض يعود اليه كبيان حالة او مقدار حالة وانه المقصود فى الكلام بالنفى والاثبات .
فمع الاستعارة يكون البناء على الفرع وهو المشبه به اولى بالجواز لانه طوى فيـــه ذكر المشبه اصلا وجعل الكلام خلوا عنه ونقل الحـــديث الى المشبه به . وقـــد وقع فى بعض اشعار الفرس النهى عن التعجب مع التصريح باداة التشبيه ، فما سبق من البناء على الفرع مع الاعتراف بالاصل كان من غير ذكر اداة التشبيه اما هذا المثال ففيه البناء على الفرع مع الاعتراف بالاصـــل والتصريح باداة التشبيه ، وهـــذا المثال هـــو « لا تعجبوا من قصر ذوائبه فانها كالليل ووجهه كالربيع والليل فى الربيع مائل الى القصر » ، وهو معنى غريب رائع .
(٢٢٥) راجعهما فى الاسرار ص ٢٧٤ . احمد الغيثين اى اجدرهما بالثناء وهو خبر ابى ، وصعصعة بدل او عطف بيان له . الجوزاء والدلو : برجان فى السماء . يكثر فيهما الشـــتاء . وبنات الوائدين اللاتى كن يقتلن فى الجاهلية خشية الفقر . والمخفر : مزيل الخفارة وهى اسم من خفـــره اذا منعه وحماه .
(٢٢٦) يتعاوران مضـــارع تعاور القوم الشىء اذا تعاطوه وتداولوه . والملاءة ثوب معروف . والمكان المحزن : الغليظ الارض من الحزن ضـــد الســـهل ، والغبار يكون فى السهل دون الحزن ، فلهـــذا تطوى ملاءتهما فى الثانى وتنشر فى الاول .

المجـــاز المركب

وأما المجاز المركب (١) ، فهـــو اللفظ المركب (٢) المستعمل (٣) فيما شبه بمعناه (٤) ، الأصلى تشبيهالتمثيل للمبالغة فى التشـــبيه ،

---

(١) راجع ١٥٩ مفتاح ، ٥٤ و ٢٣٨ من الدلائل ، ٨٣ — ٩ و ٢٢٣ و ٢٠٨ — ٣١٥ من الأسرار .

والمجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الوضعى .

وهو نوعان : مجاز مركب علاقته المشابهة بين المعنيين ويسمى تمثيلا او استعارة تمثيلية ، ومجاز مركب علاقته غير المشابهة ويسمى مجازا مركبا مرسلا .

وهو هنا يتكلم عن الاستعارة التمثيلية .

(٢) يخرج به المجاز العقلى .

(٣) خرج به اللفظ قبل الاستعمال .

(٤) اى فى معنى شـــبه ذلك المعنى بمعنى اللفظ الاصلى أى من حيث انه شـــبه بمعناه الاصلى ، فخرج المجاز المرسل الذى ليس معناه مشبها بمعناه الاصلى قبل الاستعمال لعدم وجود الشبه بين المعنيين ، وكذا المرسل الذى استعمل فيما شـــبه بمعناه قبل ذلك لوجود الشـــبه لكن انما استعمل لعلاقة غير المشابهة لانه لم يستعمل من حيث الشبه .

فهو اذا اللفظ المركب المستعمل فيما شـــبه بمعناه الأصلى ، اى بالمعنى الذى يدل عليه ذلك اللفظ بالمطـــابقة ، اى بالوضع ، لكن كون الصورة المنتزعة معنى مطابقيا للفظ المســـتعار غير ظاهر . ثم قولنـــا « بالمطابقة » يقتضى ان دلالة اللفظ على المعنى المجازى ليست بالمطابقة وهو خلاف ما صرح به الشـــارح فى شرح الشمسية ، واجيب بان المراد بالمطابقة التى لا يحتاج معها الى توسط قرينة وهذا انما يكون فى الحقيقة .

(٥) وهو ما يكون وجهه منتزعا من متعدد ، واحترز بهذا اى بقوله « تشبيه التمثيـــل » عن الاستعارة فى المفرد ، لان وجه الشبه فيـــه لا يكون منتزعا من متعدد .

فالتشبيه الذى يبنى عليه المجاز المركب لا يكون الا تمثيلا ، ولم يكتفه بقوله تمثيلا لان التمثيل مشترك بين التشبيه الذى وجهه منتزع من متعدد وان كان الطرفان مفردين كما فى تشبيه الثريا بالعنقود وبين الاســـتعارة التمثيلية .

أى تشــبيه احدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل المشبه فى جنس المشبه بها مبالغة فى التشبيه ، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه .

كما كتب (٦) به الوليد بن زيد لمــا بويع ، الى مروان بن محمد ،

=

هــذا وقد اعترض على قولنــا فى الاستعارة « تشبيه التمثيل » واحترازنا بذلك عن الاستعارة فى المفرد بأن تشــبيه الثريا بعنقود ملاحية تشــبيه مفرد بمفرد والوجه منتزع من متعــدد فيجوز طى المشبه وذكر المشبه به مع تناسى التشبيه ويكون استعارة فى مفرد والوجه منتزع من متعــدد فيشمل التعريف تلك الاستعارة فلا يصح اخراجها من التعريف .. واجيب بأن ذلك لا يجوز لأن الاستعارة لابد فيها من حذف المستعار له والجامع ، فاذا ذكر المستعار منه وكان مفردا والوجه منتزعا من متعدد مثل رأيت عنقود ملاحية فى الســماء لا يدرى هل الوجه منتزع من متعدد ام لا فيصير الكلام لغوا وهذا بخلاف التشبيه فانه اذا ذكر الطرفان وكانا مفردين فانه قــد يدرك العقــل تركب وجه الشبه اذا كان محذوفا .

والحاصل انه ليس كل تشــبيه تجرى فيه الاستعارة التمثيلية لأن تشــبيه المفرد بالمفرد مع كون وجه الشبه منتزعا من متعــدد صحيح ولا تجرى فيه الاستعارة فقوله « تشبيه التمثيل » يخرج به مجاز الافراد لأنه لا يكون وجهه منتزعا من متعــدد مع أن تشــبيه التمثيل ما كان وجهه منتزعا من متعدد .

فتشبيه التمثيل اذا هو التشبيه الذى وجهه منتزع من أمور متعددة سواء كان الطرفان مفردين أو مركبين .

واما المجاز المركب او الاستعارة التمثيلية فلا بد فيها من تركيب اللفظ المستعار كالوجه . ثم المراد بالتركيب هنا اى تركيب كان ولا يشــترط خصوص الاسنادى ولا غيره .

ثم ان الســيد يشترط فى المجاز المركب التصريح بتمام المركب الدال على الصورة المشبه بها . والسعد يرى انه يكفى التصريح ببعضه .

(٦) راجع ٣٢٨ من الدلائل . وفى العقد الفريد (٣٥ جـ ٣) : يزيد بن الوليد وكذلك فى البيان والتبيين (٢٠٠ جـ ١) . وفى الصناعتين (ص١٨٥): الوليد بن يزيد .

وهذا التمثيل فى العقد ايضا (ص ١٨٨ جـ ٢) .

وقــد بلغه أنه متوقف فى البيعة له : « أما بعــد فانى أراك تقــدم رجلا وتؤخر أخرى (٧) ، فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام » ، شبه صورة تردده فى المبايعة (٨) بصورة (٩) تردد من قام ليذهب فى أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقــدم رجلا ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى . وكما يقال (١٠) لمن يعمل فى غير معمل : « أراك تنفخ فى غير فحم وتخط على المــاء » والمعنى انك فى فعلك كمن يفعل ذلك . وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه الى مكان يمتنع (١١) : منه « مازال يفتل منه فى الذروة والغارب(١٢) حتى يبلغ منه ما أراد » . والمعنى انه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا يشبه حاله فيه حال من يجىء الى البعير الصــعب فيحكه ، ويفتل الشعر فى ذروته وغاربه ، حتى يسكن ويستأنس ، وهذا فى المعنى نظير قولهم : « فلان يقرد فلانا » ، أى يتلطف به فعل من ينتزع القراد (١٣) من البعير ، ليلتذ بذلك فيسكن

---

(٧) اى وتؤخرها مرة اخرى ، وقوله « تقــدم رجلا » اى مرة .

(٨) اى الهيئة الحاصلة من تردده .

(٩) أى بالهيئة الحاصلة من تردد من قام ليذهب . فالصورة الأولى عقلية والثانية حسية . فاستعمل فى الصورة الأولى الكلام الدال بالمطابقة على الصورة الثانية ، ووجه الشبه وهو الهيئة المركبة من الاقدام تارة والاحجام اخرى منتزع من عدة أمور . هذا وقوله : « انى اراك » لا دخل له فى الاستعارة وقيل له دخل فى خصوص المثال . فيسمى مثل ذلك التمثيل لكون وجهه منتزعا من متعدد تمثيل على سبيل الاستعارة لانه قــد ذكر فيه لفظ المشــبه به وأريد المشبه كما هو شأن الاستعارة وقــد يسمى التمثيل من غير تعبير بقولنــا على « سبيل الاستعارة » ، ويمتاز عن التشــبيه التمثيلى بانه يقال تشــبيه تمثيل او تشبيه تمثيلى ومثاله انت كمن يقــدم رجلا ويؤخر اخرى ، وكتشبيه الثريا بالعنقود بالمرآة فى كف الاشل .

(١٠) راجع ٥٥ دلائل ، ٨٦ اسرار .

(١١) راجع ٥٥ دلائل ، ٨٥ اسرار .

(١٢) الذروة : اعلى السنام ، الغارب : الذروة ايضا ، او ما بين السنام والعنق .

(١٣) دويبة مثل القمل تتعلق بجسم البعير .

ويثبت فى مكانه حتى يتمكن من أخذه .

وكذلك قوله (١٤) تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله » ، فانه لما كان التقـدم بين يدى (١٥) الرجـل خارجا عن صفة المتابع له ، صار النهى عن التقدم متعلقا باليدين : مثلا للنهى عن ترك الاتباع .

وكذا قوله تعالى (١٦) « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة » ، اذ المعنى والله أعلم أن مثل الأرض فى تصرفها تحت أمر الله تعالى وقدرته ، مثـل الشىء يكون فى قبضة الآخـذ له منا ، واجامع يده عليه . وكذا قوله تعالى (١٧) : « والسموات مطويات بيمينه » أى يخلق فيها صفة الطى ، حتى ترى كالكتب المطوى بيمين الواحد منا ، وخص اليمين ليكون أعلى وأفخم للمثـل ، لأنها أشرف اليدين وأقواهما ، والتى لا غناء للأخرى دونها ، فلا يهش انسان الشىء الا بدأ بيمينه فهيأها لنيـله ، ومتى (١٨) قصـد جعل الشىء فى جهة العناية جعل فى اليـد اليمنى ، ومتى قصـد خلاف ذلك جعل فى اليسرى ، كما قال ابن ميادة (١٩) :

---

(١٤) راجع ٣٠٨ من الاسرار .
(١٥) اى جهتيـه .
(١٦) راجع ٣١٠ من الاسرار ، ٤٢ طراز المجالس .
(١٧) راجع ٢٠٩ و ٢١٠ من الاسرار ، ٢٥ جـ ٣ السبكى ، ٦٢ جـ ١ الكامل للمبرد . هـذا وقد قيل انها استعارة تمثيلية تخييلية . فتخيل انسانا يقدر على طى السموات بيمينه .
(١٨) راجع ٣١٠ من الاسرار .
(١٩) راجع ٣٤٦ صناعتين ، هامش ٣١٢ من الاسرار .

ملاحظـات :

(١) « اولئك على هدى من ربهم » تحتمل ثلاثة وجوه :
١ — ان يشبه الهدى بالمركوب الموصل للمقصود فيثبت له بعض لوازمه وهو الاعتلاء على طريقة المكنية .

ألم تك فى يمينى يديك جعلتنى   فلا تجعلنى بعدها فى شمالكا

أى كنت مكرما عندك ، فلا تجعلنى مهانا ، وكنت فى المكان الشريف منك فلا تحطنى فى المنزل الوضيع . وكذا اذا قلت للمخلوق (٣٠) « الأمر بيدك » أردت المثل أى الأمر كالشىء يحصل فى يدك فلا يمتنع عليك ، وكذا قوله تعالى (٣١) : « ولما سكت عن موسى الغضب (٣٢) »، قال الزمخشرى : كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ، ويقول له قل لقومك كذا والق الألواح وجر برأس أخيك اليك ، وترك النطق بذلك وقطع الاغراء ، ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ، ولأنه من قبيل شعب البلاغة ، والا فما لقراءة معاوية بن قرة « ولما سكن عن موسى الغضب » لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة .

---

٢ — او ان يشبه تمسك المتقين بالهدى باعتلاء الراكب فى التمكن والاستقرار وحينئذ تكون كلمة على استعارة تبعية .

٣ — او ان يشبه هيئة مركبة من المتقى والهدى وتمسكه به ثابتا مستقرا عليه بهيئة مركبة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه متمكنا منه ، استعارة تمثيلية .

هذا والاستعارة التبعية فى كلمة « على » لا تجامع التمثيلية عند السيد وتجامعها عند الزمخشرى .

(ب) التشبيه التخييلى عند السيد لابد ان يكون طرفاه مركبين لفظا ومعنى ، وتركيب الطرفين فى الاستعارة التمثيلية عنده واجب قطعا أيضا .

(٣٠) راجع ص ٣١٠ من الاسرار .

(٣١) راجع ٢٦٥ مفتاح ، ١٦٣ صناعتين .

(٣٢) شبه سكون الغضب بسكون ساكت ، ثم ادعينا الخ ، أو شبه الغضب بانسان يتحرك ويغرى ، أو شبهنا الحالة الناشئة عن الغضب بحالة اغراء مغر فاذا انقطع عن الاغراء سكن المغرى ، واستعير التركيب الدال على المشبه به وهو سكت للمشبه .

وعلى التقدير الاول تصريحية تبعية ، وعلى الثانى مكنية ، وعلى الثالث تمثيلية .

وأما قولهم : « اعتصمت بحبله » ، فقال الزمخشرى أيضا : يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ، ووثوقه بحمايته ، باستمساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه • وأن يكون الحبل استعارة لعهده ، والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه • وكذا قول الشماخ (٣٣) :

اذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقى واليمين ، على حد قولهم تلقيته بكلتا اليدين ، ولهذا لا تصلح (٣٤) حيث يقصد التجوز فيها وحدها ، فلا يقال هو عظيم اليمين بمعنى عظيم القدرة • ولا عرفت يمينك على هذا بمعنى عرفت قدرتك عليه •

ومثله قول الآخر (٣٥) :

وهون عليك فان الأمور   بكف الاله مقاديرها

وكذا ما روى أبوهريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال(٣٦) ان أحدكم اذا تصدق بالتمرة من الطيب ، ولا يقبل الله الا الطيب ، جعل الله ذلك فى كفه ، فيربيها كما يربى أحدكم فلوه حتى يبلغ بالتمرة مثل أحد » ، والمعنى فيهما على انتزاع الشبه من المجموع •

---

(٣٣) راجع ٢٩٠ جـ ١ العقد ، ٢١١ الأسرار ، ٢٠٣ صناعتين ، ٦٢ و ٦٣ جـ ١ الكامل (طبعة قديمة) ٢٩٨ جـ ١ الكامل (طبعة التجارية) ، ٢٧٤ جـ ١ الأمالى •

(٣٤) فاعل تصلح يعود على كلمة اليمين •

(٣٥) هو للاعور الشنى (٣١ جـ ١ سيبويه) ، والبيت فى الأسرار ص ٢١٤ •

(٣٦) راجع ٢١٥ من الأسرار . شبه اجزال الثواب وتكثيره بوضع الشىء فى الكف والعمل على تنميته • ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه •

وكل (٣٧) هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يسمى التمثيل مطلقا . ومتى (٣٨) فشا استعماله كذلك سمى مثلا ، ولذلك لا تغير الامثال . ومما يبنى على التمثيل نحو قوله تعالى « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب (٣٩) » ، معناه لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغى أن ينظر (٣٠) فيه ، واع لما يجب وعيه ، ولكن عدل عن هذه العبارة ونحوها الى ما عليه التلاوة ، بقصد البناء على التمثيل ، ليفيد ضربا من التخييل ، وذلك أنه لما كان الانسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغى أن ينظر فيه ، ولا يفهم ولا يعى ، جعل كأنه قد عدم القلب جملة ، كما جعل من لا ينتفع بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤديان اليه بمنزلة العادم لهما ، ولزم على هذا أن لا يقال فلان له قلب الا اذا كان ينتفع بقلبه ، فينظر فيما ينبغى أن ينظر فيه ، ويعى ما يجب وعيه ، فكان فى قوله تعالى « لمن كان له قلب » تخييل أن من لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملة ، بخلاف نحو قولنا (٣١) « لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغى أن ينظر فيه واع لما يجب وعيه » وفى نظم الآية فائدة أخرى شريفة ، وهى تقليل اللفظ مع تكثير المعنى .

---

(٢٧) راجع ١٥٩ مفتاح .

(٢٨) راجع ١٤٩ مفتاح . يريد . ومتى فشا استعمال المجاز المركب كذلك اى على سبيل الاستعارة التمثيلية .

(٢٩) راجع ٣١٣ اسرار ، ٢٣٥ دلائل .

(٣٠) وقال المبرد : يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره : اعمى ، وانما يراد به انه قد حل محل من لا يبصر البتة . وكذلك يقال للسميع الذى لا يقبل : اصم ، قال جل ذكره : « صم بكم عمى » (٣٦٩ ج ١ الكامل) .

هذا ويقال فى الآية : ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، شبهوا فى تدبرهم بالقرآن واتعاظهم به بمن له قلب ناظر فيما ينبغى ان ينظر اليه واع لما يجب وعيه ثم استعيرت الصورة الثانية للأولى .

(٣١) أى فانه لا يفيد فقد القلب من اصله ولا يخيل ذلك . وانما يفيد فقد القلب الناظر الواعى .

ونقل الشيخ (٣٢) عبد القاهر عن بعض المفسرين انه قال : المراد بالقلب العقل ، ثم شـــدد عليه النكير فى هذا التفسير ، وقال : وأن كان المرجع فيما ذكرناه عنـــد التحصيل الى ما ذكره ، ولكن ذهب عليه أن الكلام مبنى على تخيل ان من لا ينتفع بقلبـــه فلا ينظر ولا يعى ممنزلة من عدم قلبه جملة ، كما تقول فى قول الرجل اذا قال « غـــد غاب عنى قلبى » انه يريد أن يخيل الى السامع انه غاب عنه قلبـــه بجملته : دون أن يريد الاخبار أن عقله لم يكن هناك ، وان كان المرجع عند التحصيل الى ذلك » وكذا اذا (٣٣) قال لم أكن ها هنا ، يريد غفلته عن الشىء فهو يضع كلامه على التخييل ، هـــذا معنى كلام الشيخ ، وهو حق ، لأن المراد بالآية الحث على النظر والتقريع على تركه ، فان أراد هذا المفسر بتفسيره أن المعنى لمن كان له عقل مطلقا فهو ظاهر الفساد ، وان أراد أن المعنى لمن كان له عقل ينتفع به ويعمل فيما خلق له من النظر فتفسير القلب بالعقل ثم تقييد العقل بما قيـــده عرى عن الفائدة ، لصحة وصف القلب بذلك ، بدليل قوله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها » .

« واعلم أن المثل السائر (٣٤) لمـــا كان فيه غرابة استعير لفظـــة المثل للحال أو الصفة أو القصة ، اذا كان لها شأن وفيها غرابة ، وهو فى القرآن كثير كقوله تعـــالى : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » أى حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا ، وكقوله تعالى : وله المثل الأعلى ، أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة ، وقوله

---

(٣٢) راجع ٣٢٥ الدلائل .

(٣٣) راجع ٣١٤ من الاسرار . فمثل « لم اكن ها هنا » شبه حالته وهو موجود لكنه غافل بحالته وهو غائب بجامع عدم الانتفاع » .

(٣٤) لفظ « مثل » يطلق فى اللغة على : الشـــبه ، والنظير ، وعلى الصفة ، وعلى القول السائر بين الناس المشبه مضربه بمورده ، وقـــد اشتهر فى هذا المعنى الأخير ، فاستعير لتلك الصفة باعتبار ذلك . =

تعالى : « مثلهم فى التوراة » أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ، وكقوله تعالى : مثل الجنة التى وعد المتقون » ، أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ فى بيان عجائبها الى غير ذلك (٣٥).

= هذا والمثل كلام استعمل فى مضربه بعد تشبيهه بمورده .

(٣٥) هذا نص كلام الزمخشرى فى « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ». هذا وراجع فى الاستعارة التمثيلية ص ٥٦ و ٥٨ و ٣٤٤ و ٣٣٨ من الدلائل، وص ٩٠ و ٣٠٨ — ٣١٥ من الاسرار ايضا والمطول والشروح فى باب التورية .

ملاحظات :

١ — هل تكون الاستعارة التمثيلية تبعية او لا ؟

ظاهر كلام القوم ان التبعية انما تكون فى المجاز المفرد ، وفى الكشاف، ما يقتضى جواز كون التمثيلية تبعية ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى « اولئك على هدى من ربهم » ، اذ راى انها استعارة تمثيلية تبعية حيث قال : شبهت حالهم بحال من اعتلى الشىء وركبه ، اى فتكون تبعية لجريانها فى متعلق معنى الحرف اولا ، ورده السيد .

٢ — الاستعارة التمثيلية متى فشى استعمالها سميت مثلا ، والمراد بفشو الاستعمال ان تستعمل كثيرا فى مثل ما استعمله فيه الناقل الاول مع عدم التغيير اى ان يكون المثل باقيا على هيئته فى حال المورد بحيث انه لم يغير فى حالة مضربه عن هيئته فى حالة المورد : تأنيثا ولا تذكيرا ولا تثنية ولا جمعا ولا افرادا . والمضرب : هو الموضع الذى يضرب فيه المثل ويستعمل فيه لفظه وهو المستعار له واما المورد فهو المستعار منه لفظ المثل ، فالمثل كلام استعمل فى مضربه بعد تشبيهه بمورده ، فالمضرب اذا ما استعمل فيه الآن والمورد ما استعمل فيه ثانيا .

٣ — المجاز المركب ان كانت علاقته المشابهة فهو استعارة تمثيلية ، وان كانت علاقته غير المشابهة فهو مجاز مرسل مركب .

والمجاز المركب المرسل كثير فى الكلام ومنه :

(ا) الجمل الخبرية التى تستعمل فى الاخبار كقول جعفر بن علبة الحارثى :

كما فى الحماسة ٢٠ ج ١ :

هواى مع الركب اليمانين مصعد جنيب ، وجثمانى بمكة موثق

فان التركيب موضوع للاخبار ، والغرض منه هنا اظهار التحسر =

= والحزن على مفارقة محبوبه اللازم ذلك للاخبار بها ، فالعلاقة اللازمية، فالبيت ليس حقيقة ولا استعارة تمثيلية بل هو مجاز مرسل مركب .

وقد سكتوا عن ذكر المجاز المرسل المركب لقلته وقلة لطائفة ،

وقيل : مثل هذا — اى المركب المنقول لأجل اللزوم كالبيت — من قبيل الكناية ، فهو مستعمل فيما وضع له لينتقل الى لازمه ، وحينئذ فهو حقيقة ، فلذا تركوا التعرض له ، فحينئذ اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لا يكون الا لعلاقة المشابهة ، واعترض على ذلك بأن اللفظ الذى يراد به اللازم مع صحة ارادة الملزوم كناية يجوز أن يعرض له قرينة مانعة من ارادة المعنى الأصلى فيكون مجازا متفرعا عن الكناية ، وحينئذ فلا يتم ما ذكر حجة فى ترك التعرض له .

(ب) الخبر المستعمل فى الانشاء مثل وفقك الله ورحمه الله .

(ج) الانشاء المستعمل فى الخبر كقوله (ص) ، « من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار » اى يتبوا .

(د) الانشاء الذى خرج عن معناه الوضعى الى معنى انشائى آخر كالأمر والنهى المستعملين فى التمنى فى مثل قول الشاعر :

يا ليل طـل يا شـوق دم يا صـبح قف لا تطـلع

٤ — مثل « رب انى وضعتها أنثى » : يرى السعد فيها أنها مجاز مرسل مركب ويرى عبد الحكيم فى باب الاسناد الخبرى انها حقيقة فليست مجازا فى التحسر وانما هى مستعملة فى معناها والتحسر غرض من التركيب. ويرى السعد فى باب الاسناد الخبرى انه مجاز مركب . والحق أن التحسر غرض من التركيب ولا مجاز هناك .

٥ — قيل : الانشاء الذى على صورة الخبر لابد ان يكون على معنى صيغة من صيغ الانشاء كرحمه اللـه فانه يدل على معنى اللهم ارحمه ، والبيت (هواى مع الركب الخ) وقوله تعالى « رب انى وضعتها انثى » ليس على معنى صيغة من صيغ الانشاء فيكون باقيا على خبريته مقصودا به لازم معناه فلا يخرج عن الخبرية الى الانشائية فلا يكون مجازا مركبا ، وخالف الزمخشرى فى هذا وقال : انها تخرج الى الانشائية وان كانت ليست على معنى صيغة من صيغ الانشاء فتكون من المجاز المركب .

٦ — بلاغة الاستعارة التمثيلية :

تشبيه التمثيل كما سبق من ابلغ التشبيهات ، وعلى تشبيه التمثيل تبنى الاستعارة التمثيلية غير انها تقع دائما فى الهيئات ولا يستعار تيهـة

الا المركبات ، وتمتاز عن التشبيه التمثيلى على بلاغته : بالمبالغة فى التشبيه ، وبما تبنى عليه من تناسيه ودخول المشبه فى جنس المشبه به وادعاء انه فرد من افراده ، فوق انها أوجز من التشبيه التمثيلى لحذف اداتها واحد طرفيها ، وهى مع ايجازها تعمل عمل الاطناب من ايضاح المعنى وحسن تصويره والكشف عنه .

٧ — الفرق بين التشبيه التمثيلى والاستعارة التمثيلية هو :

(أ) تشبيه التمثيل قد يكون طرفاه مفردين وقد يكونان مركبين وقد يكونان مختلفين ، أما الاستعارة التمثيلية فطرفاها مركبان .

(ب) ولابد فى التشبيه التمثيلى من الجمع بين طرفيه اما الاستعارة فلابد من حذف المشبه .

(ج) ولابد فى التشبيه ايضا من اداة ملحوظة او مقدرة الا التشبيه الضمنى الذى يشكل فيه تقدير الاداة من غير تجويز فى التركيب ، والاداة فى الاستعارة التمثيلية لابد من حذفها .

(د) وتشبيه التمثيل لا يفيد المبالغة التى تفيدها الاستعارة ، اذ ليس فيه ما فيها من تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به .

٨ — علاقة المجاز المركب :

(أ) قيل هى اللازمية والملزومية .

(ب) وقيل العلاقة فى الانشاء المستعمل فى الخبر السببية وفى الخبر المستعمل فى الانشاء المسببية .

(ج) وقيل هو مجاز بمرتبتين ، فالخبر المستعمل فى الانشاء نقل من على وجه الخبر الى مطلق اثبات ثم من مطلق اثبات الى الاثبات على وجه الانشاء ، والانشاء المستعمل فى الخبر نقل من الاثبات على وجه الانشاء الى مطلق الاثبات ثم من مطلق اثبات الى الاثبات على وجه الخبر ، فالعلاقة التقييد ثم الاطلاق .

فصـــل

في بيان الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية (١) :

---

١ — راجع ١٥٩ — ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٤ من المفتاح ، ٣٤ — ٤٠ الاسرار ، ٥٣ و ٢٣٤ و ٣٥٤ من الدلائل .

ملاحظة :

لتحقيق الكلام على هذا البحث نعرض عليك خلاصة المذاهب والاراء في المكنية والتخييلية فنقول :

المكنية :

١ — القدماء ومنهم عبد القاهر والزمخشرى وتبعهم جمهور المتأخرين كالسعد والسيد : يرون انها « اسم المشبه به — المستعار في النفس للمشبه — المحذوف والمرموز اليه باثبات شيء من لوازمه للمشبه ، الا ان العصام ناقش السعد والسيد وذهب الى انها ليست لفظ المشبه به المحذوف بل الحق انها استعارة السبعية للمنية الخ والظاهر انه يجعلها في المعنى لا في اللفظ .

٢ — اما السكاكى فهى عنده لفظ المشبه المستعمل في المشبه به ادعاء بقرينة استعارة ما هو من لوازم المشبه به لصورة متخيلة متوهمة شبهت به واثبتت للمشبه (١٦٠ مفتاح) ، ويستفاد من كلام السكاكى في موضع آخر من المفتاح انها « اسم المشبه به المحذوف (١٥٧ مفتاح) ، حيث قال : ويسمى المشبه به مذكورا او محذوفا مستعارا منه واسمه مستعارا والمشبه مستعارا له (راجع المطول ص ٤٠١) .

٣ — ويرى الخطيب انها التشبيه المضمر في النفس المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، ورجحه الانبابى في حاشيته على الرسالة البيانية وجعله مستنبطا من كلام عبد القاهر (٢٧١ الرسالة) .

٤ — وللعصام راى رابع فيها حيث قال انها مبنية على تشبيه مقلوب بتشبيه المشبه به الاصلى بالمشبه الاصلى ثم يستعار اسم المشبه الاصلى للمشبه به الاصلى ، ففى انشبت المنية اظفارها شبه السبع بالمنية واستعير له اسمها ، فالمثال معناه انشب السبع اظفاره به كناية عن قوته وحينئذ لا تجوز في اضافة الاظفار الى المشبه ، فهى عنده لفظ المشبه به المقلوب المستعمل في المشبه المقلوب ، مع جعل مجموع الكلام بعد ذلك كناية اصطلاحية والقرينة على الاستعارة ذكر ملائم المشبه المقلوب ، وعلى [illegible] .

* * * * * * * * * * * * *

٥ — ورأى صاحب الكشف (الطيبى) انها هى لازم المشبه به المثبت للمشبه .

التخييلية : والآراء فيها تتلخص فيما يلى :

١ — القوم وعبد القاهر والزمخشرى والخطيب : يرون انها هى اثبات لازم المشبه به للمشبه .

٢ — السكاكى هى عنده اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى اثبتت للمشبه .

القرينة : وجملة الكلام فيها يتلخص فيما يأتى :

١ — القوم والخطيب يقولون هى اثبات لازم المشبه به للمشبه ؛ فالتخييلية والمكنية عندهم متلازمان ، ولازم المشبه به مستعمل فى حقيقته والتجوز انما هو فى الاثبات الذى هو قرينة المكنية وهو التخييلية . فالتخييلية انما هى فى الاثبات والتجوز فيه ، فهى مجاز عقلى لا لغوى ؛ وربما سموا لفظ اللازم كالاظفار مثلا تخييلية على سبيل التسامح ، والتحقيق أن التخييلية انما هى فى اثبات لازم المشبه به للمشبه .

٢ — الزمخشرى على ما فهمه السعد يذهب الى انها هى لازم المشبه به المثبت للمشبه او المستعار لما يلائمه ، فالقرينة عنده قد تكون استعارة تحقيقية تصريحية ، وضابط القرينة عنده انه اذا لم يكن للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به فالقرينة تخييلية ، وان كان للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به فالقرينة تحقيقية . والسعد على هذا الراى . فالمكنية والتخييلية غير متلازمتين عنده ؛ فالمكنية قد توجد بدون التخييلية ولا عكس ، اى يلزم من وجود التخييلية وجود المكنية دون العكس .

٣ — اما السكاكى فيرى انها هى لازم الشبه به المستعار للصورة الوهمية التى اثبتت للمشبه فالتخييلية عنده لا تستلزم المكنية والمكنية مستلزم التخييلية . ورأى السعد فى المطول ان المكنية عند السكاكى توجد بدون التخييلية كما صرح به فى المجاز العقلى حيث قال . ان قرينة المكنى عنها اما امر مقدر وهمى كاظفار المنية او امر محقق مثل انبت الربيع البقل ، وكذلك التخييلية توجد بدون المكنية مثل انشبت المنية الشبيهة بالسبع اظفارها ، وذلك ما رآه الانبابى فى حاشيته على الرسالة البيانية حيث قال عن مذهب السكاكى : فلا تلازم بين المكنية والتخييلية عنده بل توجد كل منهما بدون الاخرى . والتحقيق أن القرينة عنده قد تكون استعارة تحقيقية مثل يا ارض ابلعى ماءك وقد تكون حقيقة كما فى أنبت الربيع البقل وقد تكون استعارة تخييلية مثل اظفار المنية ، فالأصح من مذهب

* * * * * * * * * * * * * * *

أن التخييلية تلازمها المكنية كما حلل القوم وان كان نص كلام السكاكى يشير الى عدم الملازمة ، اذ المثال انشبت المنية الشبيهة بالسبع اظفارها غير صحيح بلاغيا او انه كان يحكى مذهب السلف لا مذهبه هو ، اما المكنية فالتحقيق انها لا تلازمها التخييلية . ولنفصل لك الكلام تفصيلا على الآراء فى القرينة والمكنية والتخييلية .

١ — اما المكنية فمذهب السلف فيها انها هى لفظ المشبه به المستعار للمشبه المحذوف المرموز اليه بشىء من لوازمه ، وعلى هذا تكون الاستعارة بأقسامها تصريحية ومكنية هى لفظ المشبه به المستعمل فى المشبه . وقد نوقش هذا المذهب بأن القول باستعارة اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه تكلف ظاهر .

ومذهب الخطيب فى المكنية انها هى التشبيه المضمر فى النفس المتروك أركانه سوى المشبه المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه . وعلى هذا فالاستعارة ليست كلمة ولا استعمال كلمة وانما هى فعل من افعال النفس ولا وجه للتسمية باستعارة وان صح وجه تسميتها مكنية لأن التشبيه مضمر . والداعى له الى مخالفة الجمهور امران : اولا : المغايرة بين المصرحة والمكنية من جميع الوجوه لفظا وتقديرا فتتميز الأقسام اتم تمييز ، وثانيا : الفرار من التكلف الذى لزم القوم .

ومذهب السكاكى انها هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء بقرينة ذكر لازم المشبه به ، فعين العناية مثلا تقول فيها ، شبهت العناية بحارس ذى عينين وادعينا ان المشبه فرد من افراد المشبه به ، فصار للمشبه به فردان : حقيقى وهو الحارس وادعائى وهو العناية المدعى انها حارس ، فتستعمل العناية الحقيقية فى المشبه به الادعائى (العناية المدعى انها حارس) والعين قرينة المكنية . ويرد على راى السكاكى ان القول باستعمال لفظ المشبه فى لفظ المشبه به مخالف للواقع ، فالعناية لا تزال مستعملة فى معناها الوضعى بالاتفاق ، وادعاء ان المشبه فرد من افراد المشبه به لا يخرجه عن ان يكون موضوعا له لفظ المشبه ، والتغاير بين المشبه والمشبه به الادعائى مبنى على تدقيق فلسفى لا يعتبره اهل العربية . كما يرد عليه ان لا وجه لتسميتها مكنية على رايه بل هى جديرة بأن تسمى مصرحة لان اللفظ المستعار مصرح به .

٢ — واما القرينة فهى عند القوم والخطيب اثبات لازم المشبه به للمشبه مع بقاء ذلك اللازم على حقيقته ، والتجوز فى الاثبات على حد المجاز العقلى ، ويسمى ذلك الاثبات تخييلية او تخييلا .

وذهب الزمخشرى على ما فهم السعد ان قرينة المكنية تارة تكون

* * * * * * * * * * * * * *

استعارة تخييلية كما ذهب الخطيب والقوم ان لم يكن للمشبه لازم يشبه لازم المشبه به كما في قولنا « يد الشمال وعين العناية واظفار المنية » ، وتارة تكون استعارة تحقيقية ان كان للمشبه رديف يشبه رديف المشبه به فيستعار لفظ لازم المشبه به للازم المشبه كما في « ينقضون عهد الله » فقد استعير النقض للابطال على طريق الاستعارة التصريحية التحقيقية التبعية بعد تشبيه العهد بالحبل على سبيل الاستعارة المكنية ، ويجوز بقاء النقض على معناه الحقيقي فاثباته للعهد تخييل . وعلى مذهب صاحب الكشاف تصبح القرينة ضعيفة جدا ، اذ لا دلالة لها ابدا بالنظر لاصل معناها قبل التجوز .

وذهب السكاكي الى ان قرينة الاستعارة المكنية تارة تكون استعارة تحقيقية استعير اللفظ لامر محقق حسا او عقلا ، وتارة تكون استعارة تخييلية استعير فيها اللفظ لامر متخيل وهمي ، وتارة تكون حقيقة ، فالاول كما في ينقضون عهد الله ، وقيل يا ارض ابلعي ماءك ، والثاني كما في يد الشمال وعين العناية ، والثالث كما في قولنا بنى الامير المدينة وهزم الجند بناء على ما قرره من رد المجاز العقلي الى المكنية .

٣ — اما الاستعارة التخييلية فقد ذهب الخطيب والقوم الى انها اثبات لازم المشبه به للمشبه ، فهي من المجاز العقلي على توسع فيه ، ولفظ ذلك اللازم باق على معناه حقيقة لغوية ، وهو ملازم للاستعارة بالكناية لا ينفك عنها كما لا تنفك المكنية عن التخييلية فهما متلازمان . واما مثل قولهم انشبت المنية الشبيهة بالسبع اظفارها بفلان « فليس من اساليب البلغاء او هو من باب ترشيح التشبيه » والترشيح كما يكون في الاستعارة مثل انشبت المنية اظفارها بفلان ولها لبد وزئير ، يكون في التشبيه مثل هي الشمس مسكنها في السماء ، ويكون في المجاز المرسل مثل اسرعكن لحوقا بي اطولكن يدا ، ويكون في المجاز العقلي مثل سالت باعناق المطي الاباطح ، ويكون في التصريحة ايضا .

وذهب السكاكي الى ان التخييلية هي اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التي اثبتت للمشبه ، فهي ما كان المستعار له فيها امرا متخيلا ، فالمشبه فيها ليس بمحقق حسا ولا عقلا بل هو صورة وهمية كيد الشمال وعين العناية المخترعتين بواسطة الوهم . وفي هذا الراي كثرة اعتبارات لا داعي لها فهو التعسف ويلزمه ان يقول بمثل ذلك في ترشيح الاستعارة المصرحة ولا سبيل الى ادعاء التخييل فيه . والسكاكي يجوز انفراد التخييلية عن المكنية مع اعترافه بخلوها من الحسن عند الانفراد ، وقد استدل على هذا بقول ابي تمام : « لا تسقني ماء الملام » ، ولا حجة

* * * * * * * * * * * * * * *

له في تلك لاحتمال ان يكون من اضافة المشبه به للمشبه او من باب المكنية بتشبيه الملام بظرف شراب مكروه ، وعلى كل لم يخل الاسلوب من القبح ويجوز السكاكي ايضا انفراد المكنية عن التخييلية كما اذا كانت القرينة حقيقية او استعارة تحقيقية .

وخلاصة ذلك كله هو :

١ — مذهب القوم المكنية هي لفظ المشبه به المستعار للمشبه المحذوف المرموز اليه بشيء من لوازمه ، واثبات لازم المشبه به للمشبه استعارة — مع بقاء ذلك اللازم على حقيقته — قرينة — كراى الخطيب وهو استعارة تخييلية كراى الخطيب .

٢ — مذهب الزمخشري : المنية رايه فيها هو راى القوم ، والقرينة عنده قد تكون استعارة تخييلية او تحقيقية ، والتخييلية رايه فيها هو راى القوم .

٣ — ومذهب المصنف : المكنية هي التشبيه المضمر في النفس المتروك اركانه سوى المشبه المدلول عليه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، والقرينة عنده اثبات لازم المشبه به للمشبه مع بقاء ذلك اللازم على حقيقته ، وذلك الاثبات يسمى استعارة تخييلية . ويلزم على مذهبه التلازم بين المكنية والتخييلية والتخييلية عنده تكون مجازا عقليا .

٤ — ومذهب السكاكي ان المكنية هي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به إدعاء والقرينة تارة تكون استعارة تحقيقية وتارة استعارة تخييلية وتارة تكون حقيقة .

والتخييلية عنده هي اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التي اثبتت للمشبه — ويلزم على مذهبه ان التخييلية مجاز لغوى وانه لا تلازم بينها وبين المكنية .

ولنات بمثال نجرى فيه الاستعارة على راى الجميع ، نقول : « هو طالب يصرع اقرانه في ميدان العلم » :

١ — فمذهب الخطيب اننا شبهنا الطالب بمحارب شجاع مظفر تشبيها مضمرا في النفس ثم حذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية ورمز اليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة التخييلية .

٢ — وعلى مذهب القوم شبه الطالب بمحارب تشبيها مضمرا في النفس وادعينا ان المشبه فرد من افراد المشبه به فاستعرنا المشبه به للمشبه ثم حذفناه على سبيل الاستعارة المكنية ورمزنا اليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة التخييلية .

=

قـــد (٢) يضمر التشبيه (٣) فى النفس (٤) فلا يصرح بشىء من

= ٣ — وعلى مذهب السكاكى شبه الطالب بمحارب حقيقى وادعينا ان المشبه فرد من افراد المشبه به فصار للمشبه به فردان متعارف وهو المحارب وغير متعارف وهو الطالب فاستعرنا اسم المشبه وهو الطالب الحقيقى للمشبه به وهو ذلك الفرد الغير المتعارف اى المحارب الادعائى وهو الطالب المدعى انه محارب على سبيل المكنية . واسم لازم المشبه به وهو « يصرع اقرانه فى ميدان العلم » استعارة تخييلية .

٤ — ومذهب الزمخشرى اننا شبهنا الطالب بمحارب وادعينــــا ان المشبه فرد من افراد المشبه به وحذفنا لفظ المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية ثم استعرنا صرع الاقران للتفوق عليهم بجامع اذهاب اثرهم فى كل وذلك استعارة تحقيقية اصلية واشتق من الصرع بمعنى التفوق يصرع بمعنى يتفوق على سبيل الاستعارة التحقيقية التبعية فقرينة المكنية عنده قـــد تكون استعارة تحقيقية كما تكون استعارة تخييلية .

(٢) المكنية والتخييلية عند المصنف امران معنويان اى فعلان من افعال المتكلم القائمة بنفسه ، وهما غير داخلين فى تعريف المجاز الذى هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة ، فالمجاز من عوارض الالفاظ وهما عنـــد المصنف ليســـا بلفظين لان احدهما التشبيه المضـــمر والآخر اثبات لوازم المشبه به للمشبه .

فالاستعارة عنـــد المصنف ثلاثة: مصرحة — مكنية — تخييلية ولفظ الاستعارة يطلق عليها بطريق الاشتراك اللفظى ، ولكن بعضها داخـــل فى تعريف المجاز وبعضها غير داخل فيه عند المصنف .

(١) هذا وجملة القول ان المكنية :

١ — عند القوم هى اسم المشبه به المستعار فى النفس للمشـــبه ، واثبات لازمه للمشبه استعارة تخييلية .

٢ — وعند السكاكى هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء بقرينة استعارة ما هو من لوازم المشبه به لصورة متوهمة متخيلة شبهت به اثبتت للمشبه .

٣ — وعنـــد الخطيب هى التشبيه المضمر فى النفس المدلول عليـــه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، وهو الاستعارة التخييلية .

(ب) والخلاف فى التخييلية يرجع الى قولين :

١ — فمذهب المصنف والقوم والزمخشرى انها اثبات لازم المشـــبه به للمشـــبه .

=

أركانه (٥) سوى لفظ المشبه (٦) ، ويدل عليه(٧) بأن يثبت للمشبه (٨) أمر مختص بالمشبه به (٩) ، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسـا أو عقلا أجرى عليه اسم ذلك الأمر (١٠) .

فيسمى التشبيه (١١) استعارة بالكناية أو مكنيا عنها (١٢) ، واثبات

= ٢ — ومذهب السكاكى انها اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى اثبتت للمشـبه .

ولكن الزمخشرى يزيد على القوم ان قرينة المكنية كما تكون تخييلية تكون ايضا استعارة تحقيقية .

نعلم من كل هـذا ان فى المكنية ثلاثة مذاهب ، وفى التخييلية مذهبين، وفى قرينة المكنية ثلاثة مذاهب :

(٣) اى تشـبيه شىء على وجه المبالغة وادعاء المشبه فى نفسـه أن المشبه داخل فى جنس المشبه به .

(٤) اى فى نفس المتكلم .

(٥) اى اركان التشبيه .

(٦) واما وجوب ذكر المشبه به باقيا على معناه الحقيقى نانما هو فى التشبيه المصطلح عليه ، اى وهو ما لا يكون على وجه الاستعارة ، حيث بحيث يدل عليه بالاداة ظاهرة او مقدرة ، واما ما كان على وجه الاستعارة فلا يكون المشبه به فيه باقيا على معناه الحقيقى . هذا والتشبيه المصطلح عليه غير الاستعارة بالكناية وغير الاستعارة التحقيقية التصريحية وغير التجريد .

(٧) اى على ذلك التشبيه المضمر فى النفس .

(٨) اى المذكور .

(٩) اى بان يكون من لوازمه المساوية له .

(١٠) اى يطلق عليه اسم ذلك الامر الخاص بالمشبه به .

(١١) اى ذلك التشبيه المضمر فى النفس .

(١٢) اما تقييـد اسمه بالكناية او بالمكنى عنها فلأن ذلك التشبيه لم يصرح به بل انما دل عليه ذكر خواص المشبه به ولوازمه واما تسمية ذلك التشبيه المضمر بالاستعارة فمجرد تسمية خالية عن المناسـبة لأن الاستعارة هى الكلمة المستعملة الخ والتشبيه المضمر ليس كذلك وقـد يقال انه يسمى استعارة لانه اشبهها فى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه =

ذلك الأمر (١٣) للمشبه استعارة تخييلية (١٤) .

والعلم فى ذلك قول لبيد (١٥) :

وغداة ريح قد كشفت وقرة
اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فانه جعل للشمال يدا ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حسا أو عقلا تجرى اليد عليه ، كاجراء الأسد على الرجل الشجاع ، والصراط على ملة الاسلام فيما سبق ، ولكن لما شبه الشمال لتصريفها القوة على حكم طبيعتها فى التصريف ، بالانسان الصرف لما زمامه بيده ، أثبت لها يدا على سبيل التخييل ، مبالغة فى تشبيهها به ، وحكم الزمان فى استعارته للقرة حكم اليد فى استعارتها للشمال ،

= به فلما ذكرت اللوازم واثبتت للمشبه دل ذلك على ان المشبه ادعى دخوله فى جنس المشبه به حتى استحق خواصه ، وادعاء الدخول شان الاستعارة، فسمى ذلك التشبيه استعارة لأجل ذلك .

(١٣) اى المختص بالمشبه به .

(١٤) لانه قد استعير اى نقل واثبت للمشبه ذلك الامر الذى يخص المشبه به وبه يكون كمال المشبه به أو قوامه — والمراد ان به يكون كمال او قوام وجه الشبه فى المشبه كما فى اظفار المنية ولسان الحال — ، ليخيل ان — المشبه من جنس المشبه به .

(١٥) راجعه فى الاسرار ص ٣٤ ، وفى الدلائل ص ٥٣ و ٣٣٤ و ٣٥٤، وفى الصناعتين ص ٢٧٩ ، والوساطة ص ٣٨ ، والبديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى ص ١١ .

القرة : البرد . الشمال ابرد الرياح : يريد انه يكف عادية البرد عن الناس باطعامهم ونحر الجزور لهم .

ملاحظة : جعلت التخييلية استعارة وسمى ذلك اللازم بها لاجل ان متعلقه وهو الأمر المختص بالمشبه به نقل عن ملائمه واثبت للمشبه الذى شبه بما يناسبه . واما تسميته تخييلية فلان متعلقه وهو الامر المختص بالمشبه به لما نقل عن ملائمه واثبت للمشبه صار يخيل للسامع انه من جنس المشبه به .

فجعل للقوة زماما ليكون أتم فى اثباتها مصرفة ، كما جعل للشمال يدا ليكون أبلغ فى تصييرها متصرفة ، فوفى المبالغة حقها من الطرفين • فالضمير فى أصبحت وزمامها للقرة وهو قول الزمخشرى ، والشيخ عبد القاهر جعله للغداة ، والأول أظهر •

واعلم أن الأمر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه :

(١ —) منه ما لا يكمل المشبه فى المشبه به بدونه كما فى قول أبى ذؤيب الهذلى :

واذا المنيـة أنشـبت أظفارها   ألفيت كل تميمـة لا تنفع (١٦)

فانه شبه المنية بالسبع ، فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة ، من غير تفرقة بين نفاع وضرار ، ولا رقة لمرحوم ولا بقيا على ذى فضيلة ، فأثبت للمنية الأظفار التى لا يكمل ذلك فى السبع بدونها ، تحقيقا للمبالغة فى التشبيه •

(٢ —) ومنه ما به يكون قوام وجه الشبه فى المشبه به كما فى الآخر :

ولئن نطقت بشـكر برك مفصحا   فلسان حالى بالشكاية أنطق (١٧)

فانه شبه الحال الدالة على المقصود بانسان متكلم ، فى الدلالة ،

---

(١٦) راجع البيت فى ص ١١ البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى و ص ٢٠١ المفضليات ، ١١٥ موازنة ، ٢٧٩ صناعتين •
انشبت : علقت . التميمة : الخرزة التى تجعل معاذة •

(١٧) شبه الحال بانسان متكلم — على تقدير أن لسان الحال ليس من قبيل اضافة المشبه به للمشبه كلجين الماء — فى الدلالة على المقصود ، وهو استعارة بالكناية •

فأثبت لهـــا اللسان الذى به قوام الدلالة فى الانسان .. وأما قول زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله
وعرى أفراس الصـــبا ورواحله (١٨)

فيحتمل أن يكون استعارة تخييلية وأن يكون استعارة تحقيقية :

أما التخييل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أو أن المحبـــة من الجهـــل والغى ، وأعرض عن معـــاودته (١٩) ، فتعطلت آلاته (٢٠) كأى أمر وطنت النفس على تركه ، فانه تهمل آلاته فتتعطل،

---

(١٨) راجعـــه فى ص ٣٦ الاسرار ، و ص ١٦٠ مفتاح ، و ١٧٦ صناعتين ، و١٦٩ وساطة ، و٢٨ الوساطة ايضا ، ص ٨ البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى — صحا القلب اى سلا مجازا ، وقد شـــبه السلو الذى هو زوال العشق بالصـــحو الذى هو زوال السكر واستعير اسم المشبه به للمشبه استعارة تصريحية تبعية ، فاصل الصحو بمعنى خلاف السكر . عن سلمى اى عن حبها . اقصر باطله : يقال اقصر فلان عن الشىء اذا اقلع عنه اى تركه وامتنع عنه مع القـــدرة عليه اى امتنع وانتفى باطله عنه وترك الباطل ذلك القلب ملتبسا بحاله الأصلى وهـــو الخلو من العشق ، وقولنـــا انما امتنع الخ . تفسير لقول الشاعر « اقصر باطله » تفســـير مراد ، فالمراد من الاقصار معناه المجازى وهو مطلق الامتناع لا الامتناع مع القدرة الذى هو معنى الاقصار الحقيقى . واقول : لم لا نجعل الاسـناد « فى اقصر باطله » مجازيا بدلا من جعل التجوز فى طرف الاسناد وهو « اقصر » .

(١٩) وهذا معنى « اقصر باطله » .

(٢٠) اى التى توصل اليه ، والضمير فى « معاودته » « والالته » لمـــا كان يرتكبه » وتعطلت آلالته » تفسير لقوله « وعرى الخ » ، فلما كان ترك معاودة الشىء مستلزما لبطلان ما يوصل اليه من حيث انه يوصـــل اليه رتب « فبطلت آلاته » على ذلك الترك واما الافراس والرواحل وتعريتها او التعرى عنها فعلى حقيقتها .

فشبه (٢١) الصبا بجهة من جهات المسير (٢٢) كالحج والتجارة قضى منها (٢٣) الوطر فاهملت آلالتها (٢٤) فتعطلت ، فأثبت له (٢٥) الافراس والرواحل (٢٦) ؛ فالصبا على هــذا (٢٧) من الصبوة بمعنى الميل الى الجهــل والفتــوة ، لا بمعنى الفتاء (٢٨) ، وأما التحقيق فان يكون أراد (٢٩) دواعى النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات (٣٠) ؛ أو الأســباب التى قلما تتآخذ (٣١) فى اتباع الغى الا أوان الصبا (٣٢) .

---

(٢١) اى شبه الشاعر فى نفسه .

(٢٢) اى من الجهات التى يسار اليها لتحصيل حاجة كجهة الحج .

(٢٣) اى من تلك الجهة .

(٢٤) اى الموصلة اليها كالافراس والاعوان والمــال . ووجه الشــبه الاشتغال التام وركوب المسالك الصعبة فى كل من السير والصبا ، فالوجه مركب من عدة أمور .

وهذا التشبيه المضمر فى النفس استعارة بالكناية .

(٢٥) اى للصــبا .

(٢٦) اى التى بها قوام جهة المسير والسفر التى يسار اليها ، فاثباته الافراس والرواحل استعارة تخييلية .

(٢٧) اى على هذا التقدير وهو ان يكون هو المشبه وجهة المسير مشبها به .

(٢٨) اى لا من الصباء بالفتح والمدمن صبى صــباء مثل سمع سماعة اى لعب مع الصبيان .

(٢٩) اى بالافراس والرواحل .

(٣٠) اى فشبه الدواعى بالافراس بجامع ان كلا آلة واستعار اسم المشبه به للمشبه استعارة تصريحية تبعية .

(٣١) اى تجتمع وتتفق .

(٣٢) اى مثل المــال والاخوان والاعوان . فتكون استعارة الافراس والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلا اذا اريد بهما الدواعى وحســا اذا اريد بهما اسباب اتباع الغى من المــال وغيره .

هذا وقد مثل المصنف بثلاثة امثلة : الاول التخييلية فيها اثبات ما به كمال المشبه به فى وجه الشبه ، والثانى اثبات ما به قوام المشبه به والثالث ما يحتمل التخييلية والتحقيقية مما يكون به قوام الوجه او كماله لان السفر المعتد به لا يكون بدون الافراس ، وعند حمل الاستعارة فى البيت على

. . . .

ـ التحقيقية تنتفى المكنية عند المصنف والقوم لتلازم المكنية والتخييلية عندهما . واما على راى الزمخشرى من جواز كون قرينة المكنية تحقيقية فلا تنتفى عند الحمل على التحقيقية .

ملاحظات :

١ — تفسير الخطيب للمكنية لا مستند له فى كلام السلف كما يقول السعد ولا هو مبنى على مناسبة لغوية .

ومعنى المكنية عند السلف هو ان لا يصرح بذكر المستعار وهو المشبه به بل يصرح بذكر رديفه ولازمه الدال عليه ، فالمقصود بقولنا « اظفار المنية » استعارة السبع للمنية كاستعارة الاسد للرجل الشجاع الا انا لم نصرح بذكر المستعار اعنى السبع بل اقتصرنا على ذكر لازم مدلول لفظ السبع وهو الاظفار لينتقل من ذلك اللازم الى المقصود استعارته وهو السبع ، كما هو شأن الكناية ، فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية . قال صاحب الكشاف : « ان من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشىء — اى اللفظ المستعار اى اذا كان المقام مقتضيا للاستعارة دون الحقيقة بان كان مقام تاكيد ومبالغة فى مدح او ذم — ثم يرمزوا اليه بذكر شىء من روادفه فينبهوا بذلك الرمز على مكانه نحو شجاع يفترس اقرانه ، ففيه تنبيه على ان الشجاع اسدا » ، وكلام الزمخشرى صريح فى ان المستعار هو المشبه به المتروك صريحا المرموز اليه بذكر لوازمه ، فرايه كراى القوم فى المكنية الا انه يخالفهم فى قرينتها ، لانها عند السلف يجب ان تكون تخييلية وعنده لا يجب ذلك بل قد تكون تحقيقية عنده ، فالقرينة عنده ضابطها انه اذا لم يكن للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به كانت القرينة تخييلية كاظفار المنية وان كان للمشبه لازم يشبه رادف المشبه به كانت تلك القرينة استعارة تحقيقية كما فى « ينقضون عهد الله » ، فان القرينة فيه عند السلف تخييلية وهى اثبات النقض الذى هو من لوازم الحبل للعهد ، وعنده انه شبه العهد بالحبل فى النفس بجامع الربط فى كل وادعى ان العهد فرد من افراد الحبل واستعير له اسمه فى النفس على طريق المكنية ، وشبه ابطال العهد بنقض الحبل واستعير النقض للابطال واشتق من النقض ينقض بمعنى يبطل على طريق الاستعارة التصريحية التحقيقية التبعية ، ثم ان المستعار على مذهبه كالقوم هو المستعار المحذوف اى المشبه به المحذوف وهذا مشكل لان اللفظ المستعار من افراد المجاز اللغوى ـ

* * * * * * * * * * * * *

= الذى هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له ، والاسد المتروك أمر مضمر فى النفس لم يقع فيه استعمال فى غير ما وضع له ، اللهم الا ان يجاب بان المجاز الكلمة المستعملة اى تحقيقا او تقديرا .

٢ — على تفسير الخطيب للمكنية والتخييلية يكون كل من لفظى الاظفار والمنية حقيقة مستعملة فى معناها الموضـــوع له وليس فى الكلام مجاز لغوى .

لانه الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له الخ وليس فى اظفار المنية لفظ مستعمل فى غير ما وضع له وانما المجاز الذى فى ذلك هو اثبات شىء لشىء ليس هو له وهذا مجاز عقلى فالمصـــنف يخـــالف القوم فى المكنية لا التخييلية فانه يوافقهم فيها ؛ اما السـكاكى فيخالفهم فيهما .

وعلى تفسيره ايضا الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فعلان من افعال المتكلم وهما التشبيه والاثبات ؛ لا لفظان ، وهما متلازمان ايضا اذ التخييلية يجب أن تكون قرينة للمكنية البتة فلا توجد بدون المكنية لانها لو صحت مع التصريحية او مع مجاز آخر كانت ترشيحا اذ الترشيح يكون فى غير المكنى عنها والتخييل يكون فيها وان كان كل منهما لازما للمشبه به فالترشيح للتصريحية او المجاز المرسل والتخيلية للمكنية ثم التخييل لابد أن يكون به كمال او قوام وجه الشبه فى المشبه به اما الترشـــيح فيكون بمطلق لازم مختص ، ثم كما سبق يجب أن يعلم أن الترشيح يكون للتشبيه وللتصريحية وللمجاز المرسل والعقلى كما يكون فى المكنية بعد وجود قرينتها التى هى التخييلية ويصح فى هذه الحالة جعله ترشيحا للتخييلية الواقعة قرينة للمكنية لانها اما مصرحة كما يقول السكاكى او مجاز عقلى كما يقول غيره وكل منهما يجوز ترشيحه ، فضابط الترشيح أن يذكر ما يلائم المشبه به او المتجوز عنه او الاصل الذى حق الاسناد أن يكون له ففى الاستعارة والمجاز المرسل يعتبر بعد قرينتهما وفى التشبيه والمجاز العقلى يعتبر مطلقا فمثاله فى التصريحية لدى اسد شاكى السلاح الخ ومثاله فى المكنية اظفار المنية لها لبد وفى المجاز العقلى وسالت باعناق المطى الاباطح لان اعناق المطى مناسب لمن ثبت له السير حقيقة وهم القوم فهو ترشيح للمجاز العقلى

ومثاله فى التشبيه « اظفار المنية الشبيهة بالسبع اهلكت فلانا » ومثاله فى المجاز المرسل « اطولكن » فى قوله ص : اسرعكن لحوقا بى اطولكن يدا ، فهو من الطول وهو الانعام وهو ملائم لليد الأصلية والصحيح انه يلائم ايضا النعمة فلا يكون ترشيحا وجعله من الطول ليناسب اليد الأصلية =

فصـــل

(فى مناقشة آراء السكاكى فى الحقيقة والمجاز)

اعلم أن كلام السكاكى فى هذا الباب — أعنى الحقيقة والمجاز — والفصل الذى يليه ، مخالف لمواضع مما ذكرنا فلابد من التعرض لها ولبيان ما فيها ، منها أنه :

تعريف السكاكى للحقيقة اللغوية (١) :

عرف الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من غير تأويل فى الوضع وقال : انما ذكرت هذا القيد ، يعنى قوله « من غير تأويل فى الوضع » ، ليحترز به عن الاستعارة ، ففى الاستعارة تعد الكلمة مستعملة فيما هى موضوعة له على أصـــح القولين (٢) ،

= يكون ترشيحا يؤدى الى خلو الكلام عن الاخبار بكثرة الجود الا ان يقال ان الطول بالضم مستعار للاتساع فى العطاء وهو ترشيح باعتبار اصله .

٣ — قال ابن يعقوب : ذكر عبد القاهر فيما سماه المصنف تخييـــلا ما يناسب ما ذكره المصنف فقال فى يد الشمال اليد ثبتت للشمال مع انهـــا ليست من لوازمه لا لمعنى نقلت له بل لتدل على تشبيه الشمال بمالك له تصرف ، ولكن لم يسم التشـــبيه الذى جعلت اليد دليلا عليه اســـتعارة لا بالكناية ولا بغيرها وانما قال : اليد استعير ليدل على التشـــبيه ، واما السكاكى فجعل المنية استعارة بالكناية لانها استعيرت للسبع ادعاء وجعل التخييلية هى الاظفار على انها نقلت لصورة وهمية .

٤ — لا فرق بين راى الخطيب وعبد القـــاهر فى المكنيـــة ، الا ان عبد القاهر نظر الى الرادف وفصل الكلام فيه والخطيب نظر الى التشبيه وتكلم عن المحذوف والمذكور منه كما تكلم السكاكى عن المشبه والســـعد وغيره عن المشبه به . ومذهب عبد القاهر قريب من الذوق والوجـــدان ويقاربه مذهب الخطيب .

(١) راجع ص ١٥١ مفتاح .

(٢) وهو القول بان الاستعارة مجاز لغوى لكونها مستعملة فى غير الموضوع له الحقيقى فيجب الاحتراز عنها ، واما على القول بانها مجاز =

ولا نسميها حقيقة ، بل نسميها مجازا لغويا ، لبناء دعوى المستعار موضوعا للمستعار له على ضرب من التأويل (٣) كما مر .

تعريف السكاكى للمجاز اللغوى (٤) :

ثم عرف المجاز اللغوى بالكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة(٥) له بالتحقيق (٦) ، استعمالا فى (٧) الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها ، مع

= عقلى واللفظ مستعمل فى معناه اللغوى اى وهذا الفرد الغير المتعارف كالشجاع مثلا فى « رايت اسدا يرمى » معنى لغوى للاسد بسبب الادعاء وجعل الاسد شاملا له ، وضعف ذلك القول لأن الاستعارة وان بولغ فيها فى التشبيه حتى ادعى دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يقتضى ذلك كونها مستعملة فيما وضعت له ابتداء ، وانما هى مستعملة فى غير ما وضعت له بالاصالة ، فلا يصح الاحتراز عنها : والحاصل ان الاستعارة موضوعة قطعا على كل قول وانما الخلاف فى انها مجاز لغوى بمعنى ان التصرف فيها فى امر لغوى وهو اللفظ لانه استعمل فى غير ما وضع له ابتداء او عقلى بمعنى ان التصرف فيها فى امر عقلى وهو جعل غير الاسد اسدا واما اللفظ فهو المستعمل فيما وضع له فعلى الثانى هى حقيقة لغوية لا يصح اخراجها وانما يخرج به المجاز المرسل ، وعلى الاول لا تخرج بالوضع للاتفاق على وضعها بل تخرج بقولنا « من غير تأويل » لان وضعها للمشبه بتاويل اى ادعاء انه من جنس المشبه به الذى وضع له اللفظ اصالة .

(٣) اى وضعا ملتبسا بتاويل وصرف للوضع عن الظاهر فيه وذلك بادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به بجعل افراده قسمين متعارف وغير متعارف

(٤) ص ١٥٣ مفتاح .

(٥) اى فى معنى مغاير للمعنى الذى وضعت الكلمة له .

(٦) اى وضعا ملابسا للتحقيق اى لتحقيقه اى تثبيته وتقريره فى اصله بأن يبقى ذلك الوضع على حاله الأصلى الذى هو تعين اللفظ الدلالة على المعنى بنفسه فخرج بقوله غير ما وضعت له الكلمة المستعملة فى ما وضعت له وضعا حقيقيا وادخل بقيد التحقيق الكلمة المستعملة فيما وضعت له بالتاويل الذى هو كون اللفظ بحيث يستعمل فى ما ادخل بالادعاء فى جنس الموضوع له بالتحقيق .

(٧) اى المستعملة استعمالا فى غير ما هى موضوعة له ، وصرح به مع =

قرينة مانعة عن ارادة معناها فى ذلك النوع (٨)، وقالقولى «بالتحقيق» احتراز أن لا تخرج الاستعارة التى هى من باب المجـاز ، نظرا الى دعوى استعمالها فيما هى موضوعة له على مامر (٩) ، وقوله استعمالا فى الغير بالنسبة الى نوع حقيقتا بمنزلة قولنا فى تعريف المجـاز فى اصطلاح به التخاطب على مامر ، وقوله مع قرينـة الخ احتراز عن الكناية كما تقدم .

= فيمه من قوله « فى غير ما وضعت له » توطئة لذكر الغير بعده ليتعلق به قوله « بالنسبة » فالمعنى ان المجاز هو الكلمة المستعملة فى معنى مغاير للمعنى الذى وضعت له الكلمة وضعا حقيقيا وتلك المغايرة بين المعنيين بالنسبة الى نوع حقيقة الكلمة عند المستعمل اى بالنسبة الى كونها حقيقة اى بالنسبة الى نوع حقيقة الكلمة عند المستعمل اى بالنسبة الى كونها حقيقة اى بالنسبة الى معناها الموضوع له عند المتكلم فقوله بالنسـبة متعلق بالغير .

(٨) اى الحقيقى عند المستعمل لغويا او شرعيا او عرفيا . وخرج بذلك الكناية واللام فى الغير للعهد اى المستعملة فى معنى غير المعنى الذى الكلمة موضوعة له فى اللغة او الشرع او العرف ؛ غير بالنسبة الى نوع حقيقة الكلمة حتى او كان نوع حقيقتها لغويا تكون الكلمة قد استعملت فى غير معناها اللغوى فتكون مجازا لغويا وعلى هـذا القياس ، وقوله استعمال فى الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها بمنزلة قولنا فى اصطلاح به التخاطب . لان معناه أن المجاز كلمة مستعملة فى غير المعنى الذى يقع به التخاطب والاستعمال وهذا يفيد ما افاده التعبير الاول .

(٩) فقيد « بالتحقيق » لتدخل الاستعارة التى هى مجاز لغوى فى تعريف المجاز على ما مر من انها مسـتعملة فيما وضعت له بالتـأويل لا بالتحقيق ، فلو لم يقيد الوضـع بالتحقيق لم تدخل هى فى التعريف لانهـا ليست مستعملة فى غير ما وضعت له بالتاويل بل هى مستعملة فيما وضعت له بالتاويل ، وظاهر عبارة صاحب المفتاح هنا فاسد ، لانه قال : وقولى بالتحقيق احتراز عن ان لا تخرج الاستعارة » وظاهر أن الاحتراز انما هو عن خروج الاستعارة اذ بهذا تدخل فى التعريف . لا عن عدم خروجها ؛ فيجب أن تكون « لا » زائدة ، او يكون المعنى احتراز لئلا تخرج الاستعارة اى لاجل تحقيق عدم خروجها الذى هو دخولها .

نقد التعريفين :

وفيهما نظر :

١ — لأن لفظ الوضع وما يشتق (١٠) منه اذا أطلق (١١) لا يفهم منه الوضع بتأويل (١٢) وانما يفهم منه الوضع بالتحقيق ، لما سبق من تفسير الوضع ، فلا حاجة الى تقييد الوضع فى تعريف الحقيقة بعدم التأويل ، وفى تعريف المجاز بالتحقيق اللهم الا أن يراد زيادة البيان لا تتميم (١٣) الحد .

٢ — ثم تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه اذا كان لابد منه فى تعريف المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة اذا استعملها المخاطب

---

(١٠) كالموضوعة مثلا .

(١١) اى عن التقييد بالتحقيق او بالتاويل والمراد بالتاويل ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به .

(١٢) بل ينصرف للفرد الكامل وهو الوضع الحقيقى ، لان السكاكى قد فسر الوضع المطلق بتعيين اللفظ بازاء المعنى بنفسه أى من غير قرينة ، وقال : وقولى « بنفسه » احتراز عن المجاز المعين بازاء معناه بقرينة ولا شك ان دلالة الاسد على الرجل الشجاع على وجه الاستعارة انما هو بالقرينة ، وظاهر ان هذا المجاز موضوع بالوضع الشخصى مع أن المتقرر انه موضوع بالنوع (راجع ١٧٤ جـ ٤ ابن يعقوب) — فحينئذ لا حاجة الى تقييد ذلك الوضع فى تعريف الحقيقة بعدم التاويل لاجل اخراج الاستعارة لانها خارجة بقوله « ما وضعت له » ولا الى تقييد الوضع فى تعريف المجاز بالتحقيق لاجل ادخال الاستعارة لانها داخلة فى التعريف بقيد الوضع ولا يحتاج لقيد التحقيق بعده لادخالها فيه .

(١٣) هذا جواب اول عن السكاكى وهو جواب بالتسليم ويمكن أن تجيب بعدم التسليم وذلك بان تقول : الوضع اذا اطلق يتناول الوضع بالتاويل بحسب ما فرض لوضع من الاشتراك اللفظى فاتى السكاكى بالقيد ليدل على ان المراد بالوضع فى التعريف ليس مطلق الوضع الشامل للتحقيق والتاويل بل المراد به التحقيق فقط .

بعرف الشرع فى الدعاء مجازا ، فلابد منه فى تعريف الحقيقة أيضا ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق (١٤) ، وقد أهمله فى تعريفها ، لايقال قوله فى تعريفها « من غير تأويل فى الوضع » أغنى عن هذا القيد . فان استعمال اللفظ فيما وضع له فى غير اصطلاح التخاطب انما يكون بتأويل فى وضعه ؛ لأن التأويل فى الوضع يكون فى الاستعارة على أحد القولين دون سائر أقسام المجاز ، ولذلك قال « وانما ذكرت هذا القيد (١٥) ليحترز به عن الاستعارة .

---

(١٤) لانه مستعمل فيما وضع له فى الجملة اى باعتبار بعض الاصطلاحات وهو اصطلاح اللغويين وان لم يكن ما وضع له فى هذا الاصطلاح ويمكن الجواب عن هذا .

١ — بأن قيد الحيثية مراد فى تعريف الامور التى تختلف باختلاف الاعتبارات ، ولا يخفى أن الحقيقة والمجاز كذلك ؛ لان الكلمة الواحدة كلفظ الصلاة بالنسبة الى المعنى الواحد كالدعاء قد تكون حقيقة اى باعتبار وضع اللغة وقد تكون مجازا اى باعتبار وضع الشرع ، بحسب وضعين مختلفين ؛ فالمراد أن الحقيقة هى الكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من حيث انها موضوعة له لا سيما أن تعليق الحكم — وهو الاستعمال المأخوذ من مستعملة — بالوصف — وهو الوضع المأخوذ من وضعت — يفيد للمعنى المراد ، كما يقال : الجواد لا يخيب سائله ؛ اى من حيث انه جواد . وحينئذ يخرج عن التعريف مثل لفظ الصلاة المستعملة فى عرف الشرع فى الدعاء لان استعماله فيه ليس من حيث انه موضوع للدعاء بل من حيث ان الدعاء جزء من الموضوع له وهو الهيئة المأخوذة من الاقوال والافعال .

٢ — وقد يجاب بأن قيد « اصطلاح به التخاطب » مراد فى تعريف الحقيقة لكنه اكتفى بذكره فى تعريف المجاز لكون البحث عن الحقيقة غير مقصود بالذات فى هذا الفن . ويرد بأن التعريفات يجب أن يكون كل واحد منها مستقلا منقطعا عن غيره .

٣ — او بأن اللام فى الوضع للعهد اى الوضع الذى وقع به التخاطب فلا حاجة الى هذا القيد ويرد هذا بأن المعهود هو مطلق الوضع وهو اعم من الوضع الذى روعى فى اصطلاح التخاطب دون غيره ولا اشعار للاعم بالاخص الذى هو المرعى فى اصطلاح التخاطب فلا يخرج به ما ذكر .

(١٥) قوله « لأن التأويل فى الوضع الخ » هو جواب لقوله : لا يقال ، لا تعليل له كما فهم البعض .

٣ — ثم تعريفه للمجاز يدخل فيه الغلط كما تقدم (١٦) .

التمثيل وهل عده السكاكي من المجاز المفرد (١٧) :

ومنها أنه قسم المجاز (١٨) الى الاستعارة وغيرها (١٩) ، وعرف الاستعارة بأن تذكر أحد طرفى التشبيه وتريد به (٢٠) الطرف الآخر (٢١) مدعيا دخول المشبه فى جنس المشبه به (٢٢) ، وقسم الاستعارة الى

---

(١٦) لأن الفرس فى « خذ هذا الفرس » مشيرا الى كتاب بين يديه مستعمل فى غير ماوضع له ، والاشارة الى الكتاب قرينة على انه لم يرد بالفرس معناه الحقيقى ؟

واجيب بأن نصب القرينة يستدعى اختياره فى المنصوب والشعور به وذلك مفقود فى الغلط ، ثم هذا الاعتراض انما يرد اذا كان المراد بالغلط سبق اللسان ، أما ان كان المراد به الخطا فى الاعتقاد فلا يرد بناء على أن اللفظ موضوع للمعنى الذهنى لأن الغلط انما أطلق الفرس على معناه .

(١٧) راجع ص ١٥٦ من المفتاح .

(١٨) أى اللغوى الراجع الى معنى الكلمة المتضمن للفائدة .

واحترز بذلك عن اللفظ الدال على المقيد اذا استعمل فى المطلق كالمرسن (أنف البعير) يستعمل فى أنف الانسان من حيث انه مطلق انف ومن حيث تشبيهه به فى الانبطاح فانه مجاز لم يتضمن فائدة لأن المعنى الأصلى للكلمة موجود فى ضمن المعنى الذى استعملت فيه الآن .

(١٩) لأنه ان تضمن المبالغة فى التشبيه فهو استعارة وان لم يتضمنها ولكن فيه فائدة اخرى كما تقدم فى اطلاق العين على الربيئة — فهو غير استعارة بل مجاز مرسل ، فالمجاز المرسل ما تضمن فائدة غير المبالغة فى التشبيه ، وأما اسم المقيد فى المطلق فخارج عن المجاز المرسل عنده ويسمى المجاز الخالى من الفائدة .

(٢٠) أى باسم ذلك الطرف المذكور .

(٢١) أى اسم الطرف المتروك .

(٢٢) أى فى حقيقته ، كما تقول رأيت اسدا تريد رجلا شجاعا مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت له ما يخص السبع المشبه به وهو اسم جنسه وكما تقول أنشبت المنية اظفارها فليس المراد بالمنية وهى اسم المشبه معناها الحقيقى وهو الموت المجرد عن السبعية الادعائية بل اريد بها معنى السبع الذى هو المشبه به ، ولكن اريد معنى السبع الادعائى وهو الموت =

المصرح بها والمكنى عنها (٣٣) ، وعنى بالمصرح بها أن يكون المذكور من طرف التشبيه هو المشبه به ، وجعلها (٣٣) ثلاثة أضرب تحقيقية وتخييلية (٣٤) ومحتملة للتحقيق والتخييل ، وفسر التحقيقية بما مر ، وعد التمثيل على سبيل الاستعارة منها (٣٥) .

= الذى ادعيت سبعيته لا السبع الحقيقى ولما اطلق لفظ المنية على السبع الادعائى وهو الموت المدعى سبعيته اثبت لها ما يخص السبع المشبه به وهو الاظفار فالمراد من قوله « وتريد به الآخر » الاخر حقيقة او ادعاء ، وتقرير الاستعارة على مذهب السكاكى هو شبهت المنية وهى الموت بالسبع وادعى انها فرد من افراده وان له فردين : الفرد المعلوم وهو السبع الحقيقى أى الحيوان المفترس والفرد الادعائى وهو الموت المدعى سبعيته ثم اطلقنا لفظ المنية على السبع الادعائى الخ .

فالمشبه به عند السكاكى سواء اكان هو المذكور او المتروك يسمى مستعارا منه ويسمى اسم المشبه به المذكور او المتروك مستعارا ويسمى المشبه مستعارا له .

(٣٣) راجع ص ١٥٨ من المفتاح .

(٣٤) ولم يجعل مثل هذا التقسيم (التحقيقية والتخييلية) فى المكنية . ولعل ذلك ان المشبه به فى التحقيقية لا يكون الا ثابتا فى الحس او العقل والمشبه به فى التخييلية لم يكن ثابتا الا فى الوهم والمشبه به فى المكنية عند السكاكى لا يكون الا تخييليا كالسبع الادعائى فى « انشبت المنية اظفارها بفلان » فان المشبه عنده هو المنية والمشبه به السبع الادعائى وهو الموت المدعى سبعيته ؛ فلما كان المشبه به عنده فيها لا يكون الا تخييليا امتنع تقسيمها للتحقيقية والتخيلية ؛ واما على راى المصنف فى المكنية فامتناع تقسيمها اليهما ظاهر .

(٣٥) أى من التحقيقية ؛ حيث قال فى قسم الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع : ومن الأمثلة استعارة وصف احدى صورتين منتزعتين من أمور لوصف صورة اخرى اى التركيب الدال على احدى الصورتين للاخرى .

وقول الخطيب : « وعد التمثيل على سبيل الاستعارة منها » هو موضع البحث .

وفيه نظر :

لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون الا مركبا كما سبق (٢٦) فكيف يكون قسما من المجاز المفرد ؟ ولو لم يقيد الاستعارة بالأفراد وعرفها بالمجاز الذى أريد به ما شبه بمعناه الأصلى مبالغة فى التشبيه دخل كل من التحقيقية والتمثيل فى تعريف الاستعارة (٢٧) .

---

(٢٦) اذ سبق انه ينقل اللفظ المركب من حالة تركيبه وضع لها الى حالة اخرى .

(٢٧) واجيب عن هذا الاعتراض بأن السكاكى عد التمثيل قسما من مطلق الاستعارة التصريحية التحقيقية الشاملة للافرادية والتركيبية لا من الاستعارة التى هى مجاز مفرد ؛ وقسمة المجاز المفرد الى الاستعارة وغيرها وهو المجاز المرسل لا توجب كون كل استعارة مجازا مفردا — لأنه بين الاستعارة والمجاز المفرد عموم وخصوص وجهى — كقولنا الابيض اما حيوان او غيره والحيوان قد يكون ابيض وقد لا يكون فتقسيم المجاز المفرد الى الاستعارة وغيرها لا يقتضى حصر الاستعارة فى المجاز المفرد ؛ وهذا الجواب جواب بتسليم كون المقسم الذى قسمه السكاكى للاستعارة وغيرها هو المجاز المفرد ؛ والجواب الآتى بالمنع .

واجيب ايضا بأن لفظ المفتاح صريح فى ان المجاز الذى جعله منقسما الى اقسام هو مطلق المجاز وليس هو المجاز المفرد لانه قال فى تعريفه المجاز « ان المجاز اى اللفظ الذى تجوز به عن موضعه سواء كان معنى او اعرابا او نسبة عند السلف قسمان : لغوى وعقلى واللغوى قسمان : راجع الى معنى الكلمة وهو ان تنقل الكلمة عن معناها الاصلى الى غيره ؛ وراجع الى حكم الكلمة وهو ان تنقل الكلمة عن اعرابها الاصلى الى اعراب آخر بسبب نقصان كلمة او زيادتها مع بقاء اللفظ على معناه ؛ والراجع الى المعنى قسمان : خال عن الفائدة — وهو اسم المطلق المستعمل فى المقيد وعكسه فهو عند السكاكى لا القوم ليس مجازا مرسلا — ومتضمن لها ؛ والمتضمن للفائدة قسمان : استعارة وغير استعارة » ؛ وظاهر أن المجاز العقلى والمجاز الراجع الى حكم الكلمة خارجان عن المجاز بالمعنى المذكور لان العقلى فى الاسناد والراجع لحكم الكلمة محل التجوز فيه هو الاعراب فيجب ان يريد بالراجع الى معنى الكلمة اعم من المفرد والمركب ليصح الحصر فى القسمين .

=

(الاستعارة التخييلية عند السكاكى (٣٨)) :

ومنها أنه فسر التخييلية بما استعمل فى صورة وهمية (٣٩) محضة

جـ واجيب ايضا بوجوه آخر :

١ — منها ان المراد بالكلمة اللفظ الشامل للمفرد والمركب نحو كلمة اللــه .

٢ — ومنها انا لا نسلم ان الاستعارة التمثيلية تستلزم التركيب لان الصورة المنتزعة من متعدد لا تستدعى الا متعــددا ينتزع منه ولا تتعين الدلالة عليها بلفظ مركب بل يجوز أن يعبر من الصورة المنتزعة بلفظ مفرد مثل المثل ، وايضا فالاستعارة التمثيلية مبنية على التشبيه التمثيلى وهو ما كان وجهه منتزعا من متعدد وهو قد يكون طرفاه مفردين فكذلك الاستعارة المبنية عليه كما فى قوله تعالى « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » .

٣ — ومنها انا لا نســلم أن التمثيل فيه استعارة مركب وانما فيه استعارة مفرد وكلمة واحدة وحينئــذ لا تنافى بين الاســتعارة التى هى قسم من المجاز المسمى بالكلمة وبين التمثيل لان التمثيل على هــذا ايضا ، وهــذا الجواب مردود للقطع بأن مجموع اللفظ المركب هو المنقول عن الحالة التركيبية الى حالة اخرى مثلها .

وهــذه الأجوبة الثلاثة مردودة ولا داعى لتفصيل الكلام على وجوه ردها .

ملاحظــــة :

الاستعارة التمثيلية : التركيب كله ، مثل « انى اراك الخ » فيهـا مستعمل عنــد الشيخ فى غير ما وضع له وكذلك اجزاؤه مستعملة فى غير ما هى موضوعة له وان كانت هــذه الأجزاء (الكلمات التى فى التركيب) كالحروف فى الكلمة وهــذه الأجزاء غير مستقلة بل كل جزء مضــافة الى الأجزاء الباقية فلا تلتمس لكل جزء شبيها بل يلتمس للتركيب كله شبيه ، ويرى السعد ان التركيب فى الاستعارة التمثيلية كله مســتعمل فى معناه والمجاز انما هو فى استعمال هذا الكلام فى غير معناه الأصلى .

(٣٨) راجع ١٤٢ و ١٥٨ و ١٥٩ من المفتاح .

(٣٩) فهى عنــده لفظ لا تحقق لمعنــاه — اى لمــا عنى به عنــد التجوز — حسا ولا عقلا لعدم ادراكه بالحواس ، ولانه لا ثبوت له فى نفس الامر ، بل هو — اى معناه — صورة وهمية محضة لا يشوبها شىء من التحقيق العقلى او الحسى ، ومذهب السكاكى هذا بخلاف القوم فان =

قدرت مشـــابهة لصورة محققة هى معنـــاه : كلفظ الاظفار فى قوله الهذلى (٣٠) ، فانه لـــا شبه المنية بالسبع فى الاغتيال على ما تقدم ، أخـــذ الوهم فى تصويرها (٣١) بصورته (٣٢) ، واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها من الهيئات والجوارح (٣٣) وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للنفوس به ، فاخترع للمنية صورة مشـــابهة لصورة الاظفار المحققة فأطلق عليها اسمها (٣٤) .

وفيـــه نظر :

(١ —) لأن تفســـير التخييلية بما ذكره بعيد لـــا فيـــه من

= « اظفار » المنية عندهم أمر محقق شـــابه توهم الثبوت للمنية فهنالك اختلاط توهم وتحقق بخلاف ما اعتبره الســـكاكى فانه أمر وهمى محض لا تحقق له لا باعتبار ذاته ولا باعتبار ثبوته .

(٣٠) وهو : واذا المنية انشبت اظفارها الخ .

(٣١) اى المنيـــة . (٣٢) اى الســـبع .

(٣٣) وهو من لوازم السبع المخترع للمنية وعلى الخصوص ما يكون كمال قوام اغتيال السبع النفوس به .

(٣٤) اى اطلق على ذلك المثـــل اعنى الصورة التى هى مثل صورة الاظفار لفظ الاظفار ، الموضوع للصورة الحسية بعد رعاية التشبيه ، فيكون استعارة تصريحية وتخييلية لانه قـــد اطلق اسم المشبه به وهـــو الاظفار المحققة على المشبه وهو صورة وهمية شبيهة بصورة الاظفار المحققة والقرينـــة اضافة الاظفار الى المنية فكونها تخييلية لان اللفظ نقل من معناه الاصلى لمعنى متخيل متوهم لا ثبوت له فى نفس الامر واما كونها تصريحية فلانه قـــد اطلق اسم المشبه به وهو الاظفار المحققة على المشبه وهو الصورة الوهمية والتخييلية عنـــده قد تكون بدون الاستعارة بالكناية ولهذا مثل للتخييلية المنفكة عن المكنية بنحو « اظفار المنية الشبيهة بالسبع » فصرح بالتشبيه لتكون الاستعارة فى الاظفار فقط من غير استعارة بالكناية فى المنيـــة ، واما عنـــد القوم فالمكنية والتخييلية متلازمان ، وكذلك عنـــد المصنف ، وقال المصنف ان وجود التخييلية بدون المكنية كما ذهب اليـــه السكاكى بعيـــد جدا لا يوجد له مثال فى الكلام البليغ .

التعسف (٣٥) .

(٢ —) وأيضا فظاهر تفسير غيره لهـا بقولهم « جعل الشيء للشيء كجعل لبيد للشمال يدا » يخالفه ، لاقتضاء تفسـيره أن يجعل للشمال صورة متوهمة مثل صورة اليد (٣٦) لا أن يجعل لهـا يدا ، فاطلاق اسم اليد على تفسيره استعارة ، وعلى تفسير غيره حقيقة ، والاستعارة اثباتها للشمال كما قلنـا فى المجاز العقلى الذى فيه المسند حقيقة لغوية .

(٣ —) وأيضا فيلزمه أن يقول بمثل ذلك — أعنى باثبات صورة متوهمة — فى ترشيح الاستعارة (٣٧) ، لأن كل واحد من التخييلية

---

(٣٥) لمـا فيه من كثرة الاعتبارات التي لا يدل عليهـا دليل وهى تقـدير الصورة الخيالية ثم تشبيهها بالمحققة ثم استعارة اللفظ الموضوع للمحققة لهـا وفيـه مع المكنى عنها اعتبار مشبهين ووجهين ولفظين وقد لا يتفق أو لا يحسن امكان ذلك فى كل مادة ، بخلاف راى المصنف والقوم المفسر بانها اثبات الأمر المختص بالمشبه به للمشبه فانه خال عن تلك الامور . وقيل أن التعسـف هو انه لو كان الأمر كما زعم لوجب ان تسمى هذه الاستعارة توهمية لا تخييلية ، وهذا ضعيف ، لانه يكتفى فى التسمية بادنى مناسبة على انهم يسمون فى حكم الوهم تخييلا . والحاصل ان تصوير المشبه بصورة المشبه به واختراع لوازم للمشبه مماثلة للوازم المشبه به وان كان بالوهم لكنه نسبه للخيال للمناسبة بينهما .

(٣٦) فالتخييلية عنـد السكاكى هى لفظ لازم المشـبه به المنقول لصورة وهمية تحيل ثبوتها للمشبه .

هذا وكان عبد القـاهر ينفى ذلك بعد ان اشار اليه ، كما تراه فى الاسرار ص ٣٥ وفى الدلائل ص ٣٣٥ ، قال عبد القـاهر : انه لا خلاف فى ان اليـد استعارة ثم انك لا تستطيع ان تزعم ان لفظ اليد قـد نقل عن شيء اذ ليس المعنى على انه شبه شيئا باليد بل المعنى على انه اراد ان يثبت للشمال يدا .

(٣٧) أى المصرحة ، وترشيح المصرحة جائز باتفاق اما ترشيـح المكنية ففيـه خلاف .

والترشيح فيه اثبات بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه (٣٨) ، غير أن التعبير عن المشبه فى التخييلية بلفظ الموضوع له وفى الترشيح بغير لفظه وهذا لا يفيد فرقا ، والقول بهذا يقتضى أن يكون الترشيح ضربا من التخييلية ، وليس وكذلك .

(٤ —) وأيضا فتفسيره للتخييلية أعم من أن تكون تابعة للاستعارة بالكناية كما فى بيت الهذلى ، أو غير تابعة بأن يتخيل ابتداء صورة وهمية مشابهة لصورة محققة فيستعار لها اسم الصورة المحققة، والثانية بعيدة جدا ، ويدل على ارادته دخول الثانية فى تفسير التخييلية انه قال : « حسنها بحسب حسن المكنى عنها متى كانت تابعة اما ،

---

(٣٨) فلما اثبت للمنية التى هى المشبه ما يخص السبع الذى هو المشبه به من الاظفار كذلك اثبت لاختيار الضلالة على الهدى الذى هو المشبه ما يخص المشبه به الذى هو الاشتراء الحقيقى من الربح والتجارة فكما اعتبر هنا لك صورة وهمية شبيهة بالاظفار فليعتبر هنا فى الترشيح ايضا امر وهمى شبيه بالتجارة وآخر شبيه بالربح ليكون استعمال الربح والتجارة بالنسبة اليهما استعارتين تخييليتين اذ لا فرق بينهما الا بأن التعبير عن المشبه الذى اثبت له ما يخص المشبه به كالمنية مثلا فى التخييلية بلفظ الموضوع له كلفظ المنية وفى الترشيح بغير لفظه كلفظ الاشتراء المعبر به عن الاختيار والاستبدال الذى هو المشبه مع أن لفظ الاشتراء ليس بموضوع له ، وهذا الفرق لا يوجب اعتبار المعنى المتوهم فى التخييلية وعدم اعتباره فى الترشيح فاعتباره فى احدهما دون الآخر تحكم .

وجواب هذا الاعتراض هو ان الامر الذى هو من خواص المشبه به لما قرن فى التخييلية بالمشبه كالمنية فلا جعلناه مجازا عن امر متوهم يمكن اثباته للمشبه ، وفى الترشيح لما قرن بلفظ المشبه به لم يحتج الى جعله مجازا عن امر متوهم يمكن اثباته للمشبه لان المشبه به جعل كأنه هو هذا المعنى مقارنا للوازمه وخواصه حتى ان المشبه به فى قولنا « رايت اسدا يفترس اقرانه » هو الاسد الموصوف بالافتراس الحقيقى من غير احتياج الى توهم صورة واعتبار مجاز فى الافتراس بخلاف ما اذا قلنا « رايت شجاعا يفترس اقرانه » فانا نحتاج الى ذلك ليصح اثباته للشجاع.

كما فى قولك « فلان بين أنياب المنية ومخالبها » ، وقلما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لهـا ، ولذلك استهجنت فى قول الطائى :

لا تسقنى ماء الملام فاننى   صب قد استعذبت ماء بكائى (٣٩)

فان قيل : لم لا يجوز أن يريد بغير التابعة للمكنى عنها التابعة لغير المكنى عنها ؟

قلنا : غير المكنى عنها هى المصرح بها فتكون التابعة لها ترشيح الاستعارة ، وهو من أحسن وجوه البلاغة ، فكيف يصح استهجانه ؟ وأما قول أبى تمام فليس له فيه دليل لجواز أن يكون أبوتمام شبه الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الملوم ، كما ان الظرف قـد يشتمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته ، فتكون التخييلية فى قوله تابعة للمكنى عنها ، أو بالمـاء نفسه ، لأن اللوم قـد يسكن حرارة الغرام ، كما أن المـاء يسكن غليل الاوام ، فيكون تشبيها على حـد لجين المـاء فيما مر ، لا استعارة ، والاستهجان على الوجهين ، لأنه كان ينبغى له أن يشبهه بظرف شراب مكروه ، أو بشراب مكروه ، ولهذا لم يستهجن نحو قولهم « أغلظت لفلان القول وجرعته منه كأسا مرة ، أو سقيته أمر من العلقم » .

(الاستعارة المكنية عند السكاكى (٤٠)) :

ومنها انه عنى بالاستعارة المكنى عنها أن يكون المذكور من

(٣٩) الى هنا ينتهى كلام السكاكى ، راجعه فى المفتاح ص ١٦٤ ، وبيت أبى تمام فى ص ١٦٤ المفتاح ، ١١٩ الموازنة ، ١٦٥ المثل السائر ، ٥ طراز المجالس ، وهو من قصيدة فى الأدب العباسى لمحمود مصطفى ص ٤٧١ .

(٤٠) راجع ص ١٦٠ مفتاح وما بعدها : وقد سبق شرح مذهب السكاكى فى المكنية .

طرق التشبيه هو المشبه (٤١) على أن المراد بالمنية فى قول الهذلى السبع ، بادعاء السبعية لها (٤٢) وانكار أن يكون شيئا غير السبع بقرينة اضافة الاظفار اليها (٤٣) .

وفيه نظر :

(١ —) للقطع بأن المراد بالمنية فى البيت (٤٤) هو الموت لا الحيوان المفترس ، فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق (٤٥) ، وكذا كل ما هو نحوه ، ولا شىء من الاستعارات مستعملا كذلك .

وأما ذكره (٤٦) فى تفسير قوله من أنا ندعى ههنا أن اسم المنية اسم للسبع ، مرادف للفظ السبع ، بارتكاب تأويل ، وهو أن ندخل المنية فى جنس السبع للمبالغة فى التشبيه ، ثم نذهب على سبيل التخييل الى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين ، فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية فلا (٤٧) يفيده ، لأن ذلك لا يقتضى كون

---

(٤١) والمصنف لا يخالفه فى ذلك ، فالمذكور هو المشبه ولكن على ان يراد به المشبه به والمصنف يخالفه فيه فهو محل النزاع .

(٤٢) واما عند المصنف فالمراد بالمنية الموت حقيقة .

(٤٣) وتقرير الاستعارة بالكناية على راى السكاكى هو ان نقول : شبهت المنية التى هى الموت المجرد عن ادعاء السبعية بالسبع الحقيقى وادعينا انها فرد من افراده وان السبع فردان : متعارف وغير متعارف وهو الموت الذى ادعيت السبعية له واستعير اسم المشبه وهو المنية لذلك الفرد الغير المتعارف وهو الموت الذى ادعيت السبعية له .

(٤٤) وهو قول الهذلى « واذا المنية انشبت اظفارها » .

(٤٥) للقطع بان المراد بالمنية هو الموت لا غير .

(٤٦) راجع ١٦١ مفتاح .

(٤٧) هذا هو جواب « اما » فى قوله « واما ما ذكره فى تفسير قوله » .

اسم المنية غير مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل فيدخل فى تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز ، وكأنه لما رأى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على نحو ما نحن فيه وعلى أحد نوعى المجاز اللغوى الذى هو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى ، ويقولون الاستعارة تنافى ذكر طرفى التشبيه ، ظن أن مرادهم بلفظ الاستعارة عند الاطلاق وفى قولهم استعارة بالكناية معنى واحد فبنى على ذلك ما تقدم (٤٨) .

---

(٤٨) فالخلاصة انه يرد على السكاكى بانه لو أريد المنية معناها الحقيقى فما هو معنى اضافة الاظفار اليها ؟

١ — والجواب ان اضافة الاظفار قرينة التشبيه المضمر فى النفس على راى المصنف يعنى تشبيه المنية بالسبع .

٢ — وقد يجاب ايضا عن هذا الاعتراض الوارد على السكاكى بانه صرح بلفظ المنية الا ان المراد به هو السبع ادعاء وهو الموت المدعى سبعيته كما اشار اليه فى المفتاح من انا نجعل هنا اسم المنية اسما للسبع الادعائى وصادقا عليه بان ندخل المنية فى جنس السبع للمبالغة فى التشبيه بجعل افراد السبع قسمين متعارفا وغير متعارف ثم تخيل ان الواضع كيف يصح منه ان يضع اسمين كلفظى المنية والسبع لحقيقة واحدة وهى الموت المدعى سبعيته ولا يكونان مترادفين ، فيتأتى لنا بهذا الطريق وهو ادعاء دخول المنية فى جنس السبع وتخييل ان لفظيهما مترادفان دعوى السبعية للمنية — فصح بذلك أن لفظ المنية اذا اطلق عليها انما اطلق على السبع الادعائى فصار مستعملا فى غير ما وضع له وهو الموت المجرد عن دعوى السبعية له — مع صحة اطلاق لفظ المنية على ذلك السبع الادعائى لان ذلك لازم للترادف بين اللفظين .

وفى هذا الجواب نظر لان ما ذكره من ادعاء السبعية للمنية اى الموت لا يقتضى كون المراد بالمنية غير ما وضعت له بالتحقيق حتى يدخل فى تعريف الاستعارة للقطع بان المراد بها الموت وادعاء السبعية للموت لا يخرجها عن اطلاقها على معناها الحقيقى فى نفس الامر اذ الادعاء لا يخرج الاشياء عن حقائقها . وهذا اللفظ موضوع له بالتحقيق وجعله مرادفا للفظ السبع بالتاويل المذكور لا يقتضى ان يكون استعماله فى الموت استعارة .

(رأى السكاكى فى الاستعارة التبعية (٤٩)) :

ومنها أنه قال فى آخر فصل الاستعارة التبعية :

هـذا ما أمكن من تلخيص كلام الاصحاب فى هذا الفصـل ، ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بأن قلبوا ، فجعلوا فى قولهم « نطقت الحال بكذا » الحال التى ذكرها عنـدهم قرينة الاستعارة بالتصريح اسـتعارة بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة فى التشبيه على مقتضى المقام ، وجعلوا نسبة النطق اليه قرينة الاستعارة ، كما تراهم فى قوله (أبى ذؤيب) :

---

٣ — وقد يجاب ايضـا عن الافتراض الوارد على السكاكى بانه قـد سبق ان قـيد الحيثية مراد فى تعريف الحقيقة اى هى الكلمة المسـتعملة فيما هى موضوعة له بالتحقيق من حيث انه موضوع له بالتحقيق ولا نسلم ان استعمال لفظ المنيـة فى الموت فى مثل اظفار المنية استعمال فيما وضع له بالتحقيق مثله فى قولنـا دنت منية فلان ، بل من حيث ان الموت جعل من افراد السبع الذى لفظ المنيـة موضوع له بالتاويل . وهذا الجواب وان كان مخرجا له عن كونه حقيقة الا ان تحقق كونه مجازا ومرادا به الطرف الآخر غير ظاهر بعـد لجوازان لا يكون حقيقة ولا مجازا بل واسطة .

(٤٩) راجع ص ١٦٣ من المفتاح .

وخلاصة راى السكاكى فى ذلك انه يختار رد قرينة الاستعارة التبعية الى المكنية ويرد التبعية الى قرينة المكنية .

والاسـتعارة التبعية كما سبق هى ما تكون فى الحروف والافعال وما يشتق منها كاسم الفاعل واسم المفعول واسم الزمان والمكان والآلة فهو يجعل قرينة التبعية استعارة مكنية .

وهذا انما يمكن اذا كانت قرينة التبعية لفظية اما اذا كانت حاليـة فلا يمكن ، اذ ليس هناك لفظ يجعل استعارة بالكناية ، وهذا مما يضعف مذهب السكاكى ؛ وذلك كما فى قوله تعالى « لعلهم يتقون » فان لعـل استعارة تبعية لارادته تعالى ، والقرينة استحالة الترجى لكونه علام الغيوب .

واذا المنية أنشـــبت أظفارها

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن الســـبع ، ويجعلون اثبات الاظفار لهـــا قرينة الاســـتعارة (٥٠) ، وهكذا لو جعـــلوا البخل (٥١) استعارة بالكناية عن حى أبطلت حياته بسيف أو غير ســـيف فالتحق بالعدم ، وجعلوا نسبة القتل اليه قرينة الاستعارة ، ولو جعلوا أيضا اللهذميات (٥٢) استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشـــهية على سبيل التهكم ، وجعلوا نسبة لفظ القرى اليهـــا قرينة الاستعارة ، لكان أقرب الى الضبط » .

هذا لفظه (٥٣) ، وفيـــه نظر :

لأن التبعية التى جعلها قرينـــة لقرينتها التى جعلها اســـتعارة بالكناية كنطقت فى قولنـــا « نطقت الحال بكذا » لا يجوز أن يقدرها حقيقة (٥٤) حينئـــذ لأنه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخييلية لأن الاستعارة التخييلية عنده (٥٥) مجاز كما مر ، ولو لم تكن تخييلية ، لم تكن الاستعارة بالكناية مســـتلزمة للتخييلية (٥٦) واللازم باطل

---

(٥٠) اى ويجعلون الأظفار المضافة اليها قرينتها لأنها عنده استعملت فى صورة وهمية كما مر ، لأن ذلك هو الملائم لمذهب السكاكى .

(٥١) اى فى قول ابن المعتز « قتل البخل واحيا السماحا » .

(٥٢) اى فى قول الشاعر : « نقريهم لهذميات » .

(٥٣) وانما اختار السكاكى ذلك ايثارا للضبط وتقليلا للاقسام لأنه على هذا لا تكون الاستعارة اصلية او تبعية ، بل اصلية فقط .

(٥٤) بأن يراد بها معناها الحقيقى وهو النطق .

(٥٥) اى عنـــد السكاكى لا عنـــد القوم والمصنف ، لأنه جعلهـــا من اقسام الاستعارة المصرح بها المفسرة بذكر اسم المشبه به وارادة المشبه الا ان المشبه فى التخييلية يجب أن يكون مما لا تحقق لمعناها حسا ولا عقلا بل وهما فتكون مستعملة فى غير ما وضعت له بالتحقيق فتكون مجازا .

(٥٦) اى فيصح وجود المكنى عنها بدون التخييلية وذلك لأن المكنى عنها قـــد وجدت بدون التخييلية فى مثـــل نطقت الحال بكذا على هـــذا التقـــدير .

بالاتفاق (٥٧) ، فيتعين أن يقدرها مجازا ، واذا قدرها مجازا لزمه أن يقـدرها من قبيل الاستعارة ، لكون العلاقة بين المعنين هى المشابهة ، فلا يكون ما ذهب اليه مغنيا عن قسمة الاستعارة الى أصلية وتبعية ،

---

(٥٧) لاتفاقهم على لزوم التخييلية للمكنية . وانما الخـلاف فى ان التخييلية هل تستلزم المكنى عنها : فعنـد السكاكى لا تستلزم كما فى قولنا « اظفار المنية الشبيهة بالسبع » فالأظفار اطلقت كما قال السكاكى على امور وهمية تخييلا مع انه ليس فى الكلام مكنى عنها لوجود التصريح بالتشبيه ، واما عنـد غير السكاكى فان التخييلية تسـتلزم المكنية كما ان المكنيـة تستلزم التخييلية فالتلازم عنـد غير السكاكى من الجانبين وعنده المكنية تستلزم التخييلية دون العكس ، فالمثال « اظفار المنية الشـبيهة بالسبع عنـدهم اذا صح يجعل من ترشيح التشـبيه وليس فى الكلام مكنيـة ولا تخييلية .

وقال صدر الشريعة جوابا للسكاكى وردا لاعتراض المصنف : مراد السكاكى بقوله « لا تنفك المكنى عنها عن التخييلية » ان التخييلية مستلزمة للمكنى عنها فمتى وجدت التخييلية وجدت المكنية ، لا العكس وهو ان المكنية مستلزمة للتخييلية كما فهمه المصنف .

ورأى صـدر الشريعة فاسـد لا صحة له نعم يمكن ان ينازع فى الاتفاق على استلزام المكنى عنها للتخييلية ، قال الخطيبى : لا نسلم الاتفاق على ان المكنية تسـتلزم التخييلية لان السكاكى يجرى على ان المجاز العقلى استعارة بالكناية وليس مستلزما للتخييلية اذ قرينته عنـد السكاكى قد تكون حقيقية كالانبـات فى انبت الربيع البقـل ، وقال السـكاكى فى المجاز العقلى : قرينة المكنيـة اما امر وهمى فتكون تخييلية او امر محقق فـلا تكون تخييلية وكلام الكشاف مشـعر كذلك بعدم التلازم فقـد قال « ينقضون عهـد الله » النقض استعارة تحقيقية تصريحية لابطال العهد وهى قرينة للمكنى عنها التى هى العهد اذ هو كناية عن الحبل فقد وجدت المكنية بدون التخييلية عنـد الزمخشرى ، وكلام السكاكى فى المجاز العقلى من ان قرينة المكنية اما امر وهمى فتكون تخييلية كاظفار المنيـة واما امر محقق فلا تكون تخييلية كالانبات فى انبت الربيع البقل فالربيع مشبه بالفاعل الحقيقى تشبيها مضمرا والانبات قرينة ، الا ان ما صرح به السكاكى فى المجاز العقلى لا يدفع الاعتراض عليه مطلقا لانه وان دفع الاعتراض عليه بان عدم الاستلزام باطل باتفاق لا يدفع الاعتراض الثـانى عليه وهو لزوم القول بالتبعية لانه قد صرح فى المجاز العقلى بان « نطقت » مستعمل =

ولكن يستفاد مما ذكر رد التركيب فى التبعية الى تركيب الاستعارة بالكناية على ما فسرناها ، وتصير التبعية حقيقية واستعارة تخييلية لما سبق أن التخييلية على ما فسرناها حقيقة لا مجاز .

فصـــــل

(شروط حسن الاستعارة) :

واذ قـد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية (١) والاستعارة التخييلية والاستعارة بالكناية والتمثيل على سبيل الاستعارة ، فاعلم أن لحسنها شروطا ان لم تصادفها عريت عن الحسن ، وربما تكتسب قبحا :

فى غير ما وضع له وهو امر وهمى جعل قرينة للمكنى عنها — لأن ذلك الأمر الوهمى غير الموضوع له — فيكون مجازا ولا شك أن علاقته المشابهة فلتلق فيكون استعارة ، ولا شك أنه فعل والاستعارة فى الفعل لاتكون الا تبعية فقد اضطر الى اعتبار الاستعارة التبعية ، وايضا يعترض على السكاكى بأنه لما جوز وجود المكنية بدون التخييلية كما فى انبت الربيع البقل ووجود التخييلية بدونها كما فى اظفار المنية الشبيهة بالسبع فلا جهة لقول السكاكى ان المكنى عنها لا تنفك عن التخييلية لانها قد انفكت عنده فى انبت الربيع .

هذا والحاصل من مذهب السكاكى فى قرينة المكنية ان قرينة الاستعارة بالكناية قد تكون استعارة تخييلية مثل اظفار المنية وتعلقت الحال ، وقد تكون حقيقة كما فى أنبت الربيع ، وقد تكون استعارة تحقيقية على ما ذكر فى قوله تعالى « يا أرض ابلعى ماءك » ان البلع استعارة عن غور الماء فى الأرض والماء استعارة بالكناية عن الغذاء ، فابلعى مستعار لغورى استعارة تحقيقية وهى قرينة للمكنية .

(١) هى كما سبق التى تحقق معناها حسا أو عقلا وهى ضد التخييلية ، وذكر التمثيل على سبيل الاستعارة بعد ذلك بالعطف يكون من عطف المباين ان خصت التحقيقية بالافرادية وان لم تخص بالافرادية كان من عطف الخاص على العام .

(١ —) وهي في كلٍّ من التحقيقية والتمثيل رعاية ما سبق ذكره من جهات حسن التشبيه (٢) ، وألا يشم (٣) من جهة اللفظ

---

(٢) أي بملاحظة الأسباب المحصلة لحسن التشبيه بأن يكون : وجه الشبه شاملا للطرفين أي متحققا فيهما — وافيا بافادة ما علق به من الغرض كبيان امكان المشبه الخ ، ونحو ذلك مثل كون الوجه غير مبتذل بأن يكون غريبا لطيفا لأحد الأسباب السابقة في غرابة وجه الشبه . هذا والصحيح أن شمول وجه الشبه للطرفين شرط من شروط الصحة لا من شروط الحسن فالأولى اسقاطه ، وقال العدوي : المراد بكونه متحققا فيهما أي على أنه جزء من مفهوم كل منهما أو لازم لهما فان وجد في أحدهما دون الآخر بأن كان في أحدهما جزء من مفهومه وفي الآخر لازما فات الحسن وعلى هذا يندفع الاعتراض .

(٣) هذا هو الشرط الثاني من شروط حسن الاستعارة وهو أن لا يشم رائحة التشبيه لفظا أي بأن لا يشم في شيء من التحقيقية والتمثيل رائحة التشبيه من جهة اللفظ ، أما شم التشبيه من جهة المعنى فهو موجود في كل استعارة بواسطة القرينة ، وشم رائحة التشبيه لفظا :

ا — اما أن يكون ببيان التشبيه كما في « الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » فان قوله « من الفجر » هو المشبه بالخيط الابيض ، والكلام وان كان ليس على صورة التشبيه ، لكن تفسير الخيط الأبيض بالفجر جعل التشبيه مقدرا أي الخيط الأبيض الذي هو شبيه بالفجر .

ب — واما أن يكون بذكر وجه لشبه لأن ذكره ينبيء عن التشبيه ويهدي اليه في التركيب .

جـ — واما أن يكون بذكر المشبه على وجه لا ينبيء عن التشبيه مثل « زر أزراره على القمر » ، حيث ذكر فيه ضمير المشبه وهو المحبوب لكن ليس على وجه ينبيء عن التشبيه ، فلا يبطل ذلك الاستعارة بعكس الوجوه السابقة في شم رائحة لفظ التشبيه فتبطل الاستعارة .

فشرط الحسن هو اذا انتفاء الاشمام الذي لا يخرج به الكلام عن الاستعارة والا فهو شرط في الصحة ، فمراد المصنف الأول لا الثاني .

وانما كان هذا شرطا من شروط الحسن في الاستعارة لأن شم رائحة التشبيه يبطل كمال الغرض من الاستعارة أعني ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به ، لما في التشبيه من الدلالة على أن المشبه به أقوى في وجه الشبه والغرض من الاستعارة مساواتهما فيه .

وراجع ذلك في ص ١٦٤ مفتاح ، و ص ٣٤٦ من الدلائل .

رائحته ، ولذلك يوصى فيــه أن يكون الشبه (٤) بين طرفيها (٥) جليا بنفســه (٦) أو عرف (٧) أو غيره (٨) والا صــار تعمية (٩) والغازا لا استعارة وتمثيلا ، كما اذا قيل رأيت أســدا وأريد انسان أبخر ، وكما اذا قيل رأيت (١٠) ابلا مائة لا تجــد فيها راحلة ، وأريد الناس أو قيل رأيت عودا مستقيما أوان الغرس وأريد انسان مؤدب فى صباه وبهذا ظهر أنهما لا يجيئان فى كل ما يجيىء فيه التشبيه .

ومما يتصل بهذا أنه اذا قوى الشبه بين الطرفين بحيث صــار الفرع كأنه الأصل ، لم يحسن التشبيه وتعينت الاســتعارة (١١) .

---

(٤) اى وجه الشــبه .

(٥) اى بين طرفى الاستعارة .

(٦) لكونه يرى مثلا كما فى تشبيه الثريا بعنقود ملاحية .

(٧) أى عام كما فى تشــبيه الرجل بالشجاعة فى الجراءة فوصــف الجراءة ظاهر فى الاســد عرفا .

(٨) كاصطلاح خاص كتشــبيه نائب الفاعل بالفاعل فى حكم الرفع مثــلا .

(٩) وذلك لانه اذا لم يكن وجه الشبه ظاهرا بل كان خفيا وانضــم ذلك لخفاء التشبيه بواسطة عدم شم رائحته اجتمع خفاء على خفاء فتكون الاستعارة الغــازا .

(١٠) راجع ٣١/٢ بيان .

ملاحظة :

كل ما يتأتى فيه الاستعارة يتأتى فيه التشبيه من غير عكس فبينهما عموم مطلق لجواز أن يكون وجه الشبه غير جلى فتصير الاستعارة الغازا .

فان قيل قد سبق أن حسن الاستعارة برعاية جهات حسن التشبيه ومن جملتها أن يكون وجه الشــبه بعيدا غير مبتذل فاشــتراط جلائه فى الاستعارة ينافى ذلك ، فالجواب أن الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف فيجب أن يكون من الجلاء بحيث لا يصير الغازا ومن الغرابة بحيث لا يصير مبتذلا .

(١١) أى عند ارادة الاتيان بالحسن ، لا أن التشــبيه ممتنع ويجب الاستعارة ، بل التشبيه فى تلك الحالة جائز الا انه غير حسن ، فالتشبيه ...

وذلك كالنور اذا شبه العلم به ، والظلمة اذا شبهت الشبهة بها ،فانه لذلك يقول الرجل اذا فهم المسألة : حصل فى قلبى نور ، ولا يقول : كأن نورا حصل فى قلبى ، ويقول لمن أوقعه فى شبهة : أوقعتنى فى ظلمة ولا يقول : كأنك أوقعتنى فى ظلمة .

٢ — وكذا (١٢) المكنى عنها حسنها برعاية جهات حسن التشبيه (١٣) .

٣ — وأما التخييلية فحسنها بحسب حسن المكنى عنها لما بينا أنها لا تكون الا تابعة لها (١٤) .

= والاستعارة الحسنان بينهما عموم وخصوص وجهى لتصادقهما حيث لا اتحاد ولاخفاء وانفراد الاستعارة حيث وجد الاتحاد وانفراد التشبيه حيث وجد الخفاء ، واما الاستعارة الحسنة ومطلق التشبيه فبينهما عموم وخصوص مطلق ، واما مطلق الاستعارة ومطلق التشبيه فهما متحدان محلا ، والتشبيه اعم محلا كما سبق .

(١٢) ١٦٤ مفتاح .

(١٣) واما عدم اشمام رائحة التشبيه لفظا فلا يشترط فيها لأن من لوازم المكنية ذكر ما هو من خواص المشبه به وذلك يدل على التشبيه ،ولا ضرر فى خفاء وجه الشبه فيها واما القرينة الموجودة فى الاستعارة حالتنا فهى وان ظهر بها قصد التشبيه لكن خفاء وجه الشبه يكسر سورتها .

فالمكنية تشبيه مضمر على مذهب المصنف ، واما عند القوم فهى لفظ المشبه به المضمر فى النفس المرموز اليه بذكر لوازمه .

(١٤) فحسنها تابع لحسن المكنية فيستغنى عن ذكر حسنها بذكر حسن المكنى عنها لانها لا تكون الا تابعة للمكنى عنها وليس لها فى نفسها تشبيه بل هى حقيقة عند المصنف واما السكاكى القائل بعدم وجوب تبعيتها للمكنى عنها فيقول ان كانت تابعة لها كما فى اظفار المنية حسنت بحسنها وقبحت بقبحها وان كانت غير تابعة لها فقلما تحسن ولكن اذا كانت التخييلية استعارة تصريحية عند السكاكى فلم لا تقول ان حسنها برعاية جهات التشبيه ؟ وكونها تابعة حينا للمكنية لا يقتضى ان حسنها تابع لحسنها ، نعم يقتضى أن حسن المكنية موجب لمزيد حسنها =

* * * * * * * * * * * * *

ملاحظات :

(ا) السر فى جمال الاستعارة :

١ — قال المتنبى لسيف الدولة وقد حارب الاعداء :

ورميتهـــم ببحــــر من حـــديد ـــ لـــه فى البـــر خلفهـــم عبـــاب

شبه جيشه بالبحر فى اتساعه وكثرة حركاته الشبيهة بحركات الموج المتلاطم ثم اكتفى من التشبيه بالمشـــبه به — وهو كلمة بحـــر — فهذا الأسلوب استعارة لها جمالها وروعتها وقوة تصويرها للمعنى وتأثيرها فى نفوس السامعين .

٢ — وقال الحطيئة يستعطف عمر بن الخطاب ليطلقه من الحبس ليعول أولاده الصغار الجياع :

مـــاذا تقـــول لأفراخ بـــذى مـــرخ ـــ زغب الحواصـــل لامـــاء ولا شجر

افراخ : استعارة والمراد بها اطفاله الصغار ، فعبر الشاعر عنهم بهذا الأسلوب المؤثر الجميل .

٣ — وقال تعالى : « واشتعل الرأس شيبا » أى ظهر بياض المشيب كما يظهر ضوء النار المشتعلة .

فى كل من الاساليب الثلاثة استعارة ، لها جمالها وروعتها وبلاغتها ، فما السر فى ذلك ؟

السر فى جمال الاستعارة يتلخص فى :

١ — انها تصور المعنى تصويرا قويا مؤثرا فى نفس السامع .

٢ — وانها تؤدى الى المعنى بايجاز .

٣ — تحقيقها لغرض القائل الذى يقصده من الكلام .

فالخلاصة : ان السبب فى بلاغة الاستعارة أنها تفيد القوة فى تصـــوير المعنى مع شدة تأثيرها فى نفوس السامعين . أما التشبيه فيفيد الايضـــاح والشرح ولذلك يكثر استعماله فى باب الوصف .

(ب) متى تحسن الاستعارة :

١ — جمـــع الحـــق لنـــا فى امام ـــ قتل البخـــل واحيـــا الســـماحا

٢ — لا تعجبى يا ســـلم من رجل ـــ ضـــحك المشـــيب برأســـه فبكى

٣ — وعد البـــدر بالزيارة لـــيلا ـــ فـــاذا ما وفى قضـــيت نذورى

فى الامثلة السابقة استعارات جميلة ، السر فى جمالها أنها تصـــور المعنى تصويرا جميلا قويا مؤثرا .

* * * * * * * * * * * * *

وفى الأمثلة الآتية :

١ — ملك منشــد القريض لديه　　يضـــع الثــوب فى يــدى بزاز
٢ — وحرام عليك أن تترمى هـــا　　مة قلبى بدمعـــك المهــــراق
٣ — أغركم الجيــوش وعرضــها　　على شروب للجيــوش أكــول

٤ — أكل هذا الرجل ما كنز آباؤه له من المجد .

فيها استعارات نافرة قبيحة ؛ لأنها لا تصور المعنى تصويرا جميــلا قويا مؤثرا — لأن فيها تعقيدا معنويا ولو أننا قلنا فى بيت الحطيئة :

ماذا تقــول لأفراخ بـــذى مرخ　　زغب الحواصـــل لا ماء ولا شجر

ماذا تقول لأشبال لكانت الاستعارة قبيحة غير حسنة ؛ لأن التعبير عن الطفل الصغير بالفرخ يصور ضعفه وحاجته للرعاية فيكون ذلك أدعى الى الاستعطاف ؛ أما التعبير عن الطفل الصغير بالشبل فانه لا يصـــور ما يريده الشاعر من الضعف ولا يحقق ما قصد اليه من الاستعطاف .

الخلاصـــة :

١ — حسن الاستعارة ينشأ عن اختيار أليق مشبه به يصور المشـــبه تصويرا قويا جميلا مؤثرا يحقق الغرض من الكلام .

٢ — وقبح الاستعارة ينشأ عن اختيار مشبه به غير لائق لأنه لا يصور المشبه تصويرا قويا أو جميلا أو مؤثرا .

(جـ) اختلاف الأذواق فى تقدير الاستعارة :

١ — تقول العرب فى الاستعارة : أناخ عليه بكلكله ، ووطئه بمنسمه والقى الحبل على الغارب . ومازال يفتل منه فى الذروة والغارب ، ولا ناقة لى فيها ولا جمل .

وهى استعارات مأخـــوذة من الجمل ، وهو أكثر حيواناتهم فائدة لهم فى الصحراء .

وفى الدول البحرية نجدهم يقولون : هبت أعاصـــير الحرب ، ورست سفينة الدولة فى مرفأ أمين ، ودفة الحكومة فى يدى بطلها .

ويقول العرب اذا ساء ما بين الصديقين « يبس الثرى بينهما » ، وتقول أمم الشمال : « جمد الثلج بينهما » ؛ والعربى لا يستسيغ الأسلوب الثانى « جمد الثلج بينهما » ولا يقبله ذوقه .

ومن هذا نرى أن الاستعارة تختلف باختلاف البيئات .

٢ — ويقول أبو نواس :

ولقـــد نهزت مع الغـــواة بدلوهم　　وأسمعت سرح اللهـــو حيث أسامُوا

=

فصـــــل (١)

المجاز بالحذف :

واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الاصلى كما مضى ، توصف به أيضا لنقلها عن اعرابها الاصلى الى غيره ، لحذف لفظ أو زيادة لفظ :

أما الحذف : فكقوله (٢) تعالى « واسأل القرية » أى أهل القرية ،

= يقول سابقت الغواة فى الغى ، وارسلت نفسى حيث شاءت فى مسارح اللهو فالشطر الأول استعارة مركبة ، وفى الشطر الثانى اســـتعارة حيث شبه شهواته بالابل التى ترعى العشب .

وهاتان الاستعارتان مأخوذتان من مشاهد الحياة فى العصور القديمة أما الآن فقد بطلت هـــذه المشاهد وتغيرت تلك المعـــالم ومن هنا نعرف ان الاذواق تختلف فى تقدير الاستعارة باختلاف العصور ايضا .

(١) راجع ص ١٦٦ مفتاح ، ٣٦٢ أسرار — هذا ولفظ المجاز وضع بوضعين : احدهما للكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة ، والثانى للكلمة التى تغير حكم اعرابها الاصلى فيكون اطلاق المجاز عليها حقيقة على هذا الاحتمال .

وقيل ان الكلمة التى فيها مجاز بالحذف شابهت الكلمة المستعملة فى غير معناها الاصلى بجامع الانتقال عن الاصل فى كل ، وعلى هذا الاحتمال فاطلاق لفظ مجاز على الكلمة التى تغير اعرابها الاصلى مجاز بالاستعارة .

وقسم الغزالى المجاز الى ١٤ قسما وجعل منها الزيادة فى الكلام بغير فائدة مثل « فبما رحمة من الله لنت لهم » . قال ابن الاثير : وهذا القول لا اراه صوابا فهذا القسم ليس من المجاز لان المجاز دلالة اللفظ على غير ما وضع فى اصل اللغة وهذا غير موجود فى الآية على ان ما ليست بزائدة لانهـــا لتفخيم الامر وهى محض الفصاحة (١٤٣ و ١٤٥ المثل السائر) .

(٢) راجع ١/٧٢ الكامل للمبرد .

ملاحظات :

١ — اذا لم يتغير حكم الاعراب بالزيادة مثل « فبما رحمة من الله » وكذلك اذا لم يتغير بالنقص مثل او كصيب من السماء اى كذوى صيب ، فلا تسمى الكلمة مجازا على الاصح .

=

فاعراب القرية فى الأصل هو الجر ، فحذف المضاف وأعطى المضاف اليه اعرابه ، ونحـــوه قوله تعالى « وجاء ربك » أى أمر ربك ، وكذا قولهم « بنو فلان يطؤهم الطريق » أى أهل الطريق .

وأما الزيادة :

فكقوله تعالى : « ليس كمثله شىء (٣) » على القول بزيادة الكاف

= ٢ — « واسأل القرية » اى اهلها مجاز بالحذف ، وان جعلت القرية مجاز عن اهلها لم تكن من هذا القبيل بل من قبيل المجـــاز بمعنى الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة لانها حينئذ مجاز مرسل من اطلاق اسم المحل على الحال .

(٣) فالمقصود نفى أن يكون شىء مثل الله تعالى لا نفى ان يكون شىء مثل مثله لانه لا مثل له حتى ينفى عن ذلك المثل من يكون مثله .

فالحكم الاصلى فى مثله هو النصب لانه خبر ليس وقد تغير الى الجر بسبب زيادة الكاف .

هذا وظاهر عبارة المفتاح ان الموصوف بهذا النوع من المجـــاز هو نفس الاعراب المستعمل فى غير محله الاصلى ، وما ذكره المصنف من أن الموصوف بكونه مجازا فى هذا النوع هو الكلمة التى تغـــير اعرابها هو الاقرب مما قاله السكاكى من ان الموصوف بذلك هو الاعراب المســـتعمل فى غير محله الاصلى وذلك لوجهين .

١ — انه على رأى المصنف يكون لفظ المجاز مدلوله فى الموضعين هو الكلمة .

٢ — ان اطلاق المجاز على الاعراب لكونه وقع فى غـــير محله الاصلى انما يظهر فى الحذف لا فى الزيادة .

هذا والقول بزيادة الكاف فى نحو قوله تعالى ليس كمثله شىء اخــذ بالظاهر ويحتمل أن لا تكون الكاف زائدة بل يكون الكلام نفيا للمثل بطريق الكناية التى هى أبلغ من الحقيقة لـــما فيها من دعوى الشىء ببينة لان الله تعالى موجود فاذا نفى مثل مثله الذى هو اللازم لزم نفى مثله الذى هو الملزوم ضرورة انه لو كان له مثل لكان هو أعنى الله تعالى مثل مثله ، فلم يصح نفى مثل مثله .

والحاصل انه لو لم ينتف المثل عند نفى مثل المثل لم يصح نفى مثل =

أى ليس مثله شىء ، فاعراب مثله فى الاصـــل هو النصـــب ، فزيدت الكاف فصار جرا .

فان (٤) كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الاعراب ، كما فى قوله تعالى « أو كصيب من السماء » اذ أصله أو كمثل ذوى صيب ، فحذف « ذوى » لدلالة يجعلون أصابعهم فى آذانهم عليه ، وحذف مثل لمـــا دل عليه عطفه على قوله « كمثل الذى استوقد نارا » ، اذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب ، وكقوله (فبما رحمة من الله لنت لهم) وقوله (لئلا يعلم أهل الكتاب) .

فلا (٥) توصف الكلمة بالمجاز ، وقد بالغ الشيخ عبد القاهر فى النكير على من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة (٦) .

ـــ المثل لان الله موجود فلو كان له مثل كان الله تعالى مثلا لذلك المثل فيكون مثل المثل موجودا فلا يصح نفيه حينئذ ، لكن النفى صحيح لوقوعه فى كلام الله ، فتعين ان يكون المراد من نفى مثل المثل نفى المثل ليصح النفى ، فنفى مثل المثل قد توصل به الى نفى المثل وهو معنى الكناية ، لانه اطلق نفى اللازم واريد نفى الملزوم ، كما تقول ليس لاخى زيد اخ اى ليس لزيد اخ نفيا للملزوم بنفى لازمه ، وذلك انه اذا فرض لزيد الموجود اخ لزم ان يكون زيدا اخا لذلك الاخ المفروض وجوده ، فقولنا « ليس لاخى زيد اخ » نفى للملزوم وهو اخو زيد بنفى لازمه وهو اخو اخيـــه ، فقد اريد باللفظ لازم معناه فصدق عليه حد الكناية .

(٤) ٢٦٣ الاسرار .

(٥) جواب « فان كان الحذف او الزيادة » .

(٦) اى اللذين لا يوجبان تغيرا فى حكم الكلمة (راجع ٣٦٢ — ٣٦٨ الاسرار) .

القول فى الكناية

الكناية لفظ (٢) أريد به لازم (٣) معناه ، مع جواز ارادة معناه حينئذ (٤) .

---

(١) هى فى اللغة مصدر كنيت بكذا عن كذا والمضارع يكنى ، أو مصدر كنوت والمضارع يكنو اذا تركت التصريح به ويرجح ان لام الفعل يائيـــة قولهم فى المصدر كناية بالتزام الياء فى المصدر ، فالواو فى « كنوت » قلبت عن الياء سماعا .

(٢) اطلاقها على اللفظ كثير وقد تطلق على المعنى المصـــدرى اى الاتيان بلفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادته معه وهى بهذا المعنى أخص من معناها لغة .

(٣) اى لاستعماله فيه ، فالكناية لفظ له معنى حقيقى اطلق ولم يرد منه ذلك المعنى الحقيقى بل اريد به لازم معناه الحقيقى . والمراد باللزوم هنا مطلق الارتباط ولو بعرف لا اللزوم العقلى ، وخرج بلازم معناه ما أريد به نفس معناه وهو الحقيقة الصرفة .

(٤) اىّ مع ارادة ذلكّ المعنى مع لازمه فالكناية بعـــد ارادة اللازم بلفظها يشترط أن لا تصحبها قرينة تمنع من ارادة المعنى الحقيقى ، وحينئذ فتجوز ارادته من اللفظ مع لازمه ، وهذا القيد مخرج للمجاز اذ لا يجوز ارادة المعنى الحقيقى فيه مع المعنى المجـــازى عند من يمنع الجمع بين الحقيقة والمجاز كالمصنف لاشتراطه فىّ قرينتـــه أن تكون مانعة من ارادة المعنى الحقيقى . والكناية عند المصنف واسطة بين الحقيقة والمجاز . وقيل انها لفظ مستعمل فى معناه الحقيقى لينتقل منه الى المجازى فتكون داخله فى الحقيقة لان ارادة الموضوع له باستعمال اللفظ فيه فى الحقيقة اعم من ان تكون وحدها كما فى الصريح او مع ارادة المعنى كما فى الكنائى .

ملاحظـــات :

(أ) المعنى الحقيقى يجوزُ ارادته لينتقل منه الى المراد فى كلّ من الكناية والمجاز ، ويمتنع فيهما ارادة المعنى الحقيقى بحيث يكون هو المقصود بالذات ، وأما ان يراد مع لازمه على ان يكون الغرض المقصود بالذات هو اللازم فهذا جائز فى الكناية دون المجازُ .

(ب) المجاز والكنايةُ يشتركان فى أنه :

١ — لابد فيهما من ملاحظة المعنى الحقيقى لينتقل منه الى المعنى المجازى والكنائى .

=

كقولك (فلان طويل النجاد) أى طويل القامة ، (وفلانة نؤوم الضحى (٥)) أى مرفهة مخدومة غير محتاجة الى السعى بنفسها فى اصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحى وقت سعى نساء العرب فى أمر المعاش ، وكفاية أسبابه ، وتحصيل ما يحتاج اليه فى تهيئة المتناولات وتدبير اصلاحها ، فلا تنام فيه من نسائهم الا من تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك ، ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأويل .

فالفرق بينها وبين المجاز من هـذا الوجه ، أى من جهة ارادة المعنى (٦) مع ارادة لازمه ، فان المجاز ينافى ذلك ، فلا يصح فى نحو قولك : فى الحمام أسد ، أن تريد معنى الاسد من غير تأول ، لان المجاز

---

٢ — ويشتركان ايضا فى ارادة مطلق اللازم ، والانتقال فى كل منهما من الملزوم الى اللازم .

٣ — وكل منهما يمتنع فيه ارادة المعنى الحقيقى وحده بحيث يكون هو المقصود بالذات .

غير أن الكناية يجوز فيها ارادة المعنى الحقيقى تبعا للمعنى الكنائى والمجاز لا يجوز فيه ذلك لا تبعا ولا قصدا عند من لا يجوز الجمع بين المعنى الحقيقى والمجازى كالمصنف .

(٥) راجع ٥٢ و ٢٠٣ الدلائل . وقال امرؤ القيس .

وتضحى فتيت المسك فوق فراشـــها　　　نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

(٦) اى الحقيقى مع ارادة لازم ذلك المعنى الحقيقى كارادة طـول النجاد مع طول القامة .

فقد ظهر ان المجاز والكناية يشتركان فى ارادة اللازم ، ويفترقان من جهة ان الكناية لا تصحبها قرينة مانعة من ارادة المعنى الاصلى فيها ، بل يبقى معها جواز ارادته والمجاز لابد ان تصحبه قرينة مانعة .

هذا وقوله « من جهة ارادة المعنى » معناه من جهة جـواز ارادة المعنى :

١ — ليوافق ما ذكره فى تعريف الكناية اذ لم يشـترط فى التعريف الا جواز الارادة لا وقوعها ، ثم ان ابن السبكى يشترط فى الكناية وجود القرينة التى تصرف الى ارادة اللازم او الى ارادة اللازم مع ملزومه . =

ملزوم قرينة معاندة لارادة الحقيقة كما عرفت ، وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء .

وفرق السكاكي (٧) وغيره بينهما بوجه آخر أيضا وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم وفيه نظر لأن اللازم ما لم يكن ملزوما يمتنع أن ينتقل منه الى الملزوم ، فيكون الانتقال حينئـذ من الملزوم الى اللازم (٨) .

= ٢ — ولان الكناية كثيرا ما تخلو عن ارادة المعنى الحقيقي : للقطع بصحة قولنا « فلان طويل النجاد وجبان الكلب ومهزول الفصيل » وان لم يكن له نجاد ولا كلب ولا فصيل وعدم ارادة المعنى الحقيقي لعدم وجوده كثير في الكلام .

هذا والمراد بجواز ارادة المعنى الحقيقي في الكناية هو ان الكناية من حيث انها كناية لا تنافي ارادة المعنى الحقيقي ، كما ان المجاز ينافيه لكن قد يمتنع ارادة المعنى الحقيقي في الكناية واسطة خصوص المـادة كما ذكر الزمخشري في قوله تعالى « ليس كمثله شيء » انه من باب الكناية اي من حيث ان سلب الشبيهة عن مثل مثله يستلزم سلبها عن مثله والا لزم التحكم في نفي الشبيهة عن احد المثلين دون الاخر — كما في قولهم « مثلك لا يبخل » ، لانهم اذا نفوا البخل عمن يماثل المخاطب وعمن يكون على اخص أوصافه فقد نفوه عن المخاطب كما يقولون « بلغت اترابه » يريدون بلوغه .

(٧) ص ١٧٠ و ١٧٤ مفتاح .

(٨) ملاحظة : خلاصة الاعتراض هي ان اللازم اما مساو للملزوم او اعم منه ، فالانتقال في الكناية من اللازم الاعم الى الملزوم الاخص غير صحيح ، واما الانتقال من اللازم الاعم الى الملزوم المساوى فصحيح .

ويرد هذا الاعتراض بأن اللازم في الكناية مساو للملزوم ، فالمراد باللازم المســاوى او الاخص فيكون معنى اللزوم الارتباط واللازم التابع والملزوم المتبوع .

ويعترض على راى السكاكي بأن المجاز كما ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم مثل « رعينا الغيث » كذلك ينتقل فيه من اللازم الى الملزوم مثل امطرت السماء نباتا ، فما الفرق بين الكناية والمجاز . ويمكن الرد بأن المجاز ان انتقل فيه من اللازم الى الملزوم كان كناية ، لكن هذا تعسف =

ولو قيل (٩) : اللزوم من الطرفين من خواص الكناية دون المجاز أو شرط لها (١٠) دونه (١١) اندفع هذا الاعتراض .

لكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط (١٢) .

= هذا ولنبسط فرق السكاكى بين المجاز والكناية : الانتقال فى الكناية من اللازم الى الملزوم كالانتقال من طول النجاد الى طول القامة . وفى المجاز الانتقال من الملزوم الى اللازم كالانتقال من الغيث الى النبت ومن الاسد الى الشجاعة .

ورد هذا الفرق بأن اللازم ما لم يكن ملزوما — بأن بقى على لازميته ولم يكن ملزوما لملزومه لكنه اعم من ملزومه — بنفسه كالناطق بالنسبة للانسان او بانضمام قرينة اليه كالعرف ، لم ينتقل منه الى الملزوم لأن اللازم من حيث انه لازم يجوز أن يكون أعم من ملزومه ولا دلالة للعام على الخاص ، وحين اذ كان اللازم ملزوما ما يكون الانتقال من الملزوم الى اللازم كما فى المجاز فلا يتحقق الفرق ، والسكاكى أيضا معترف بأن اللازم ما لم يكن ملزوما ما امتنع الانتقال منه .

(٩) اى لتصحيح فرق السكاكى .

(١٠) هذا بمعنى ما قبله .

(١١) اى فيكون مراده من قوله « الانتقال فى الكناية من اللازم » اى الملزوم اللازم المساوى لملزومه لان اللزوم بين الطرفين من خواصها ، ومراده بقوله « والانتقال فى المجاز من الملزوم الى اللازم » اى الى اللازم مطلقا لان اللزوم بين الطرفين لا يشترط فى المجاز .

(١٢) لأنه لا دليل على اختصاص الكناية باللزوم بين الطرفين دون المجاز بل قد يكون اللزوم فيها اعم كما يكون مساويا وكذا المجاز .

وقد يجاب عن السكاكى بأن مراده باللازم فى جانب الكناية وفى جانب المجاز ما يكون وجوده فى الخارج او فى الاعتبار على سبيل التبعية لوجود الغير او لاعتبار الغير كطول النجاد التابع لطول القامة ، ولهذا جوز كون اللازم اخص لأن اللازم بمعنى التابع فى الوجود لوجوده غيره او فى الاعتبار لاعتبار غيره يجوز ان يكون اخص بخلاف اللازم المتعارف فانه انما يكون اعم او مساويا ولا يكون اخص . فالكناية على هذا ان تذكر من المتلازمين — اى ما بينها لزوم ولو فى الجملة لا ما بينها التلازم الحقيقى فقط — ما هو تابع ورديف ويراد به ما هو متبوع ومردوف ، والمجاز بالعكس . =

أقسام الكناية (١)

ثم الكناية ثلاثة أقسام :

لأن المطلوب بها اما غير صفة ولا نسبة ، أوْ صفة ، أو نسبة .

والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها ، لا النعت .

الأولى (٢) المطلوب بها غير صفة ولا نسبةٌ (٣) :

(أ) فمنها (٤) ما هو معنى واحد (٥) كقولنا المضياف كناية عن زيد ، ومنه قوله كناية عن القلب (٦) :

= وفى هذا الجواب كما قالوا نظر بالنسبة لقوله « والمجاز بالعكس » لان المجاز قد ينتقل فيه من التابع فى الوجود الخارجى الى المتبوع فيه كالنبات فى الغيث هذا ولا يخفى عليك انه ليس المراد باللزوم ههنا اللزوم العقلى وهو امتناع الانفكاك بل المراد باللزوم مطلق الارتباط ولو بقرينة أو عرف .

(١) راجع ١٧٠ المفتاح .

(٢) تأنيث الأولى باعتبار كونها عبارة عن الكناية .

(٣) اى ولا نسبة صفة لموصوف ، بان كان المطلوب بها هو الموصوف .

(٤) ١٧٠ مفتاح .

(٥) بان يتفق فى صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها الى ذلك الموصوف .

(٦) هو لعمرو بن معد يكرب الزبيدى . والبيت فى ص ٣٤ - من الموازنة وص ٢٢٢ صناعتين الضاربين منصوب على المدح . المخذوم : القاطع . الاضغان جمع ضغن وهو الحقد . مجمع الاضغان معنى واحد كناية عن القلب فان قيل ان مصدوق قولنا « مجمع الضغن » هو القلب واطلاق اللفظ على مصدوقه حقيقة لا كناية ، فالجواب ان مجامع ، وان كان مشتقا لم يرد منه الذات الموصوفة بالصفة بل المراد منه خصوص صفة وهى مجمع الضغن وهى لا تطعن فيكون الشاعر اطلق الصفة هى لازم واراد محلها وهو الموصوف كناية .

الضـــاربين بكل أبيض مخـــــذم　　　والطاعنين مجـــامع الاضـــغان

ونحوه قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله للذئب :

فاتبعتهـــا أخرى فأضللت نصلها
بحيث يكون اللب والرعب (٧) والحقد

فقوله بحيث يكون اللب والرعب والحقد ثلاث كنايات لا كناية واحدة ، لاستقلال كل واحد منها بافادة المقصود .

(ب) ومنها ما هو مجموع معان (٨) كقولنا كناية عن الانسان : حى مستوى القامة عريض الاظفار .

وشرط كل واحد منهما أن تكون (٩) مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه ليحصـــل الانتقال منها اليه وجعل (١٠) الســـكاكى الأولى قريبة (١١) والثانية بعيدة .

وفيه نظر (١٢) :

---

(٧) فالشطر الثانى كله ثلاث كنايات عن موصوف هو القلب .

(٨) بان تؤخذ صفة فتضم الى لازم آخر وآخر لتصير جملتها مختصة بموصوف فيتوصل بذكرها اليه .

(٩) هذا الشرط لا يختص بهما وحدهما بل كل كناية يشترط فيهـــا ذلك .

(١٠) ص ١٧٠ مفتاح .

(١١) « الاولى » هى ما تكون معنى واحدا وسميت قريبة لسهولة المـــاخذ والانتقال فيها لبساطتها واستغنائها عن ضم لازم الى آخر وتلفيق بينهما ، أما الثانية وهى ما تكون مجموع معان فسماها بعيدة لخلاف ذلك ، وهذه غير البعيدة بالمعنى الذى سيجىء ، وهو تعدد الوسائط .

(١٢) لان دلالة الوصف الواحد على الشىء ليست اقرب من دلالة الاوصاف بل ربما كان الأمر بالعكس .
=

الثانية (١٣) المطلوب بها صفة (١٤) :

وهي ضربان : قريبة وبعيدة :

(أ) القريبة ما ينتقل منها الى المطلوب (١٥) بها لا بواسطة (١٦) وهى :

١ — اما واضحة كقولهم كناية عن طول القامة طويل نجاده

= هذا ومن مثل الكناية عن موصوف قول الشاعر :
وان جعلت لا ينقض النأى وعدها فليس لمخضوب البنان يمين

(١٠٢ جـ ٢ حماسة) ، ونسبه الحصرى لكثير (٥٢ جـ ١ زهر الآداب) .

(١٣) ١٧٠ مفتاح .

(١٤) اى من الصفات كالجواد والكرم ونحو ذلك ، ومعنى طلب الصفة بالكناية دون النسبة ان يكون المقصود بالذات هو افهام معنى الصفة من صفة اخرى اقيمت مقام تلك الصفة فصار تصور المثبتة اعنى المكنى عنها هو المقصود بالذات ، لا نفس اثباتها لانه كالمعلوم من وجود نسبة المكنى بها ؛ واما طلب النسبة بالكناية دون الصفة ففيما اذا صرح بالصفة وقصد الكناية باثباتها لشيء عن اثباتها للمراد فيصير الاثبات بسببه ذلك هو المقصود بالذات ، واما طلب النسبة والصفة بالكناية ففيما اذا جهلا معا وقصد الانتقال لهما . فالصفة لا تخلو من النسبة والنسبة لا تخلو من الصفة ، ولكن اختلفا فى الاعتبار والقصد الأولى وعدمه .

(١٥) الذى هو الصفة المكنى عنها .

(١٦) لكون المعنى المنتقل اليه يسهل ادراكه بعد ادراك المنتقل عنه لكونه لازما بينا بحسب العرف او القرينة أو بحسب ذاته .

وطويل النجـاد (١٧) • والفرق بينهمـا (١٨) : أن الأول (١٩) كنـاية ساذجة (٢٠) ، والثانى (٢١) كناية مشتملة على تصريح (٢٢) ما لتضمن الصفة (٢٣) فيه ضـمير الموصوف (٢٤) بخـلاف الأول ، ومنها قول الحماسى :

---

(١٧) قال المبرد : الرجل يمدح بالطول فلذلك يذكر طـول حمائله والنجاد حمائل السيف (٢/٩٢ الكامل للمبرد) .

وقال : قالت الخنسـاء :

طويل النجـاد رفيـع العمـاد   وسـاد عشيـرته امـردا

(٢/٢٨٠ الكامل) ، ثم قال :

النجاد : حمائل السيف تريد بطوله طول قامته ، وهذا مما يمدح به الشريف ، ورفيع العماد انما تريد ذلك ، اى رجل معمد اى طويل (٢/٢٧١ الكامل) .

وراجع فى ذلك ٢٤٣ من الصناعتين .

(١٨) اى طويل نجاده وطويل النجـاد .

(١٩) وهو طويل نجاده .

(٢٠) اى لا يشوبها شىء من التصريح بالمعنى المقصود وهو المكنى عنه لان فاعل طويل هو النجاد فينتقل منه الى طول القامة .

(٢١) وهو طويل النجاد .

(٢٢) اى بالمقصود الذى هو طول القامة المكنى عنه .

(٢٣) وهو « طويل » .

(٢٤) فكانه قيل « فلان طويل » ولو قيل ذلك لم يكن كناية بل تصريحا بطوله ولـما لم يصرح بطوله لاضافته للنجاد واومىء اليه بتحمل الضمير كانت كناية مشوبة بالتصريح ولم تجعل تصريحا حقيقيا .

هذا والدليل على تضمن « طويل » الضمير انك تقول هنـد طويلة النجاد والزيدان طويلا النجاد والزيدون طوال النجاد فتؤنث وتثنى وتجمع الصفة البتة لاسنادها الى ضمير الموصوف ، بخلاف هند طويل نجادها والزيدان طويل نجادهما والزيدون طويل نجادهم ، وانما جعلنا الصفة المضافة كناية مشتملة على نوع تصريح ولم نجعلها تصريحا للقطـع بان الصفة فى الحقيقة ونفس الامر صفة للمضاف اليه ، واعتبار الضمير رعاية لامر لفظى وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها .

أبت الروادف والثـدى لقمصها
مس البطون وأن تمس ظهورا (٢٥)

٢ — واما خفية (٢٦) كقولهم كناية عن الابله عريض (٢٧) القفا ، فان عرض القفا وعظم الرأس اذا أفرط فيما يقال دليل الغبـاوة ، آلا ترى الى قول طرفة بن العبد (٢٨) :

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه
خشاش كرأس الحيـة المتوقد

(ب) والبعيدة (٢٩) ما ينتقل منهـا الى المطلوب بها بواسـطة ، كقولهم كناية عن الابله عريض الوسـادة ، فانه ينتقل من عرض الوسادة الى عرض القفا ، ومنه الى المقصود . وقد جعله السكاكى من القرينة على أنه كناية عن عرض القفا ، وفيه نظر . وكقولهم « كثـير (٣٠) الرماد » كناية عن المضياف ، فانه ينتقـل من كثرة الرماد الى كثرة احراق الحطب تحت القدور ، ومنها الى كثرة الطبائخ ، ومنها الى كثرة الاكلة ومنها الى كثرة الضيفان ، ومنها الى المقصود (٣١) .

---

(٢٥) راجع (٨٧ جـ ٢ حماسة ، ٤٦٥ جـ ١ العقد) .
الروادف : الاعجاز . الثدى جمع ثدى . القمص جمع قميص . وهذا كناية عن عظم الروادف والثدى .
(٢٦) وخفاؤها بأن يتوقف الانتقال منها على تأول واعمال روية وذلك حيث يكون اللزوم بين المكنى به وعنه فيه غموض ما فيحتاج الى اعمال روية فى القرائن وسبر المعانى ليستخرج المقصود منها .
(٢٧) هو مؤخر الرأس .
(٢٨) الرجل الضرب : أى الخفيف اللحم . الخشاش صغير الرأس. ففى البيت كناية عن الذكاء .
(٢٩) لبعد زمن ادراك المقصـود فيها لاحتياجهـا فى الغالب الى استحضار تلك الوسائط .
(٣٠) راجع ١٧١ مفتاح ، ٢٣٠ الدلائل .
(٣١) وهو الكرم والمضيافية .

وكقوله :

ومايك فيّ من عيب فاني
جبان الكلب مهزول الفصيل (٣٢)

فانه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يعس دونها ، مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبيعيا له ، الى استمرار تأديبه لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن ذلك الى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها أثر وجوه ، ومن ذلك الى كونه مقصد أدان وأقاص ، ومن ذلك الى انه مشهور بحسن قرى الاضياف ، وكذلك ينتقل من هزال الفصيل الى فقد الام ، ومنه الى قوة الداعي الى نحرها ، لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما المتليات ، ومنها الى صرفها الى الطبائخ ومنها الى أنه مضياف . ومن هذا النوع قول نصيب (٣٣) .

لعبد العزيز على قومه	وغيرهم منن ظاهرة
فبابك أسهل أبوابهم	ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنس بالزائرين	من الأم بالابنة الزائرة

فانه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر الى أن الزائرين معارف عنده، ومن ذلك الى اتصال مشاهدته اياهم ليلا ونهارا ، ومنه الى لزومهم سدته ، ومنه الى تسنى مباغيهم لديه من غير انقطاع ، ومنه الى وفور احسانه الى الخاص والعام ، وهو المقصود .

---

(٣٢) هو لابن هرمة ، وهو في المفتاح ص ١٧١ ، والدلائل ص ٢٣٧ ، والصناعتين ص ٢٤٢ ، والحماسة ص ٢٨٢ جـ ٢ .. والفصيل ولد الناقة .

(٣٣) هو في المفتاح ص ١٧١ ، والدلائل ص ٢٣٨ ، وطراز المجالس ص ٩٦

ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر :

يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا
يكلمه من حبه وهو أعجم (٣٤)

ومنه قوله (٣٥) :

لا أمتـــع العـــوذ بالفصال ولا   أبتاع الا قريبـــة الاجـــل

فانه ينتقل من عدم امتاعها الى أنه لا يبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر اليها ومن ذلك الى نحرها ، أولا يبقى العوذ ابقاء على فصالها . وكذا قرب الاجل ، ينتقل منه الى نحرها ، ومن نحرها الى أنه مضياف ، ومن لطيف هـــذا القسم قوله تعـــالى : ولمـــا سقط في أيديهم ، أي ولمـــا اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها . وكذا قول أبى الطيب كناية عن الكذب .

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشو
ق اليها والشوق حيث النحول (٣٦)

---

(٣٤) هو لابن هرمة ، وهو في البيان م ١٢ جـ ٢ ، والمفتاح ص ١٧١ ، والدلائل ص ٢٣٩ ، وهو في الحماســـة مع ابيات (٢٤٨ جـ ٢) ولكن لم ينسبها لشاعر . وفي العصر الجاهلي لمحمـــد هاشم (ص ١١٣) ذكر أنه ينسب للنابغة الجعدي .
هذا وفاعل « يكاد » ضمير يعود على الكلب .

(٣٥) اي ابن هرمة الشاعر ايضا . وهو في ١٧٩ رسالة الغفران مع ابيات ، وفي الدلائل ص ٢٤١ و ٢٠٧ ، وفي المفتاح ص ١٧١ ، ١٤١ .
(٣٦) ضمير « تشتكي » يعود لحبيبته .

وكذا قوله (٣٧) :

الى كم ترد الرسل عما أتوا له   كانهمو فيما وهبت ملام

فان أوله كناية عن الشجاعة ، وآخره كناية عن السماحة .

وكذا قول أبى تمام (٣٨) :

فان أنا لم يحمدك عني صاغرا   عدوك فاعلم انني غير حامد

يريد بحمده عنه حفظه مدحه فيه وانشاده ، أى ان لم أكن أجيد القول فى مدحك حتى يدعو حسنه عدوك الى أن يحفظه ويلهج به صاغرا فلا تعدنى حامدا لك بما أقول فيك ، ووصفه بالصغار لأن من يحفظ مديح عدوه وينشده فقد أذل نفسه ، فكنى بحفظ عدو الممدوح مدحه له عن اجادته القول فى مدحه .

وكذا قول من يصف راعى ابل أو غنم :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له

عليها اذا ما أجدب الناس اصبعا (٣٩)

وقول الآخر :

صلب العصا بالضرب قد دماها (٤٠)

---

(٣٧) هو لأبى الطيب أيضا فى مدح سيف الدولة .

(٣٨) هو فى زهر الآداب ص ٢٦ ج ٣ .

(٣٩) نسبه الجاحظ للراعى (٢٩ ج ٣ البيان) ، قال الجاحظ : يقال للراعى ضعيف العصا اذا كان قليل الضرب بها للابل شديد الاشفاق عليها ، وانشد البيت ثم قال : واذا كان الراعى جلدا قويا عليها قالوا صلب العصا (٢٩ ج ٣ البيان) . والبيت فى الاسرار ص ٣٠٦ ، والصناعتين فى ٩٠ . والاصبع معناه الاثر الحسن من السمن وغيره على طريق المجاز المرسل .

(٤٠) راجع هذا الشطر فى ص ٣٠٦ الاسرار . وقال ابو هلال : ومن الغلط قول أبى النجم « صلب العصا جاف عن التعزل » يصف راعى الابل بصلابة العصا وليس بالمعروف (٩٠ صناعتين) .

أى جعلها كالدم فى الحسن • والغرض من قول الأول ضعيفة العصا وقول الثانى « صلب العصا ، وهما وان كانا فى الظاهر متضادين فانهما كنايتان عن شىء واحد ، وهو حسن الرعية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها ، فأراد الأول أنه رفيق مشفق عليها لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخير مالان من العصا وأراد الثانى أنه جيد الضَبط لها عارف بسياستها فى الرعى : يزجرها عن المراعى التى لا تحمد ويتوخى بها ما تسمن عليه ، ويتضمن أيضا انه يمنعها عن التشرد والتبدد ، وانها لما عرفت من شد شكيمته وقوة عزيمته تنساق فى الجهة التى يريدها ، وقوله « بالضرب قد دماها » تورية حسنة (٤١) ، ويؤكد أمرها قوله صلب العصا •

الثالثة : المطلوب بها نسبة (٤٢) :

كقول زياد الأعجم (٤٣) :

ان السماحة والمروءة والندى ... فى قبة ضربت على ابن الحشرج

---

(٤١) لان معناه جعلها كالدمى فى الحسن ، جمع دمية ، ويحتمل معنى قريبا وهو ان يضربها فيسيل دمها •

ملاحظة :

بحسب قلة الوسائط وكثرتها تختلف الدلالة على المقصود وضوحا وخفاء وذلك لان كثرة الوسائط من شأنها خفاء الدلالة ، وان كان يصح بينها الوضوح لكثرة الاستعمال فيسرع الانتقال • اما قلة الوسائط فمن شأنها الوضوح وان كان يمكن فيها ان تكون مع قلتها فيها خفاء كما تقدم فى عريض القفا •

(٤٢) اى اثبات صفة لموصوف او نفى صفة عن موصوف وهو المراد بالاختصاص هنا •

(٤٣) هو فى المفتاح ص ١٧٢ ، والدلائل ص ٢٣٨ • القبة : شبه الخيمة ولكنها اعظم منها وتقام للرؤساء وابن الحشرج هو ممدوحه وهو عبد الله ابن الحشرج من ولاة الدولة الاموية •

فانه حين أراد أن لا يصرح باثبات هذه الصفات لابن الحشرج ، جمعها فى قبة ، تنبيها بذلك على أن محلها (٤٤) ذو قبة ، وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوى قباب فى الدنيا كثيرين ، فأفاد اثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية ، ونظيره قولهم « المجـد بين ثوبيه والكرم بين برديه » . قال السكاكى (٤٥) ، وقد يظن هذا من قسم « زيد طويل نجاده وليس بذلك فطويل نجاده باسناد الطويل الى النجاد تصريح باثبات الطول للنجاد ، وطول النجاد كما تعرف قائم مقام طول القامة فاذا صرح من بعد باثبات النجاد ازيد بالاضافة كان ذلك تصريحـا باثبات الطول لزيد فتأمل ، وكقول الآخر (٤٦) .

والمجـد يدعو أن يدوم لجيـده   عقد مساعى ابن العميد نظامه

فانه شبه المجد بانسان بديع الجمال فى ميل النفوس اليه ، وأثبت له جيدا على سبيل الاستعارة التخييلية ، ثم أثبت لجيده عقدا ترشيحا للاستعارة ، ثم خص مساعى ابن العميد بانها نظامه ، فنبه بذلك على اعتنائه خاصة بترتيبه ، وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ، ونبه بدعاء المجد أن يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به .

وكقول ابى نواس (٤٧) :

فما جازه جـود ولا حـل دونه   ولكن يصير الجود حيث يصـير

---

(٤٤) وهو الممدوح .
(٤٥) راجع ١٧٠ مفتاح ، ٢٣٩ الدلائل .
(٤٦) هو فى المفتاح ص ١٧٢ .
الجيد : العنق . العقد : القلادة . المساعى : المكارم . هـذا وفى البيت استعارتان وكنايتان .
(٤٧) راجعه فى ص ٢٢٣ وساطة ، و٣٣ موازنة ، ٦٤ جـ ٤ زهـر الآداب ، ٤٢٥ جـ ٣ العقد ، ١٧٣ مفتاح ، ٢٣٩ الدلائل .

فانه كنى عن جميع الجود بأن نكره ونفى أن يجوز ممدوحه ويحل دونه فيكون متوزعا يقوم منه شيء بهذا وشيء بهـذا ، وعن اثباته له بتخصيصه بجبهته ، بعد تعريفه باللام التى تفيد العموم ، ونظيره قولهم : مجلس فلان مظنة الجود والكرم ، هذا قول السكاكى، وقيل كنى بالشطر الأول عن اتصافه بالجود وبالثانى عن لزوم الجود له ، ويحتمل وجها آخر ، وهو أن يكون كل منهما كناية عن اختصاصه به ، وعدم الاقتصـار على أحدهما للتأكيد والتقرير ، وذكرهما على الترتيب المذكور لأن الأولى بواسطة بخلاف الثانية (٤٨) : وكقولهم : « مثلك لا يبخل » ، قال الزمخشرى نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة فى ذلك ، فسلكوا به طريق الكناية ، لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده ، وعمن هو على أخص أوصافه ، فقد نفوه عنه . ونظيرهقولك للعربى « العرب لا تخفـر الذمم » فانه أبلغ من قولك أنت لا تخفـر . ومنه قولهم « أيفعت لداته وبلغت أترابه » يريدون ايفاعه وبلوغه وعليه قوله « ليس كمثله شيء » (٤٩) ، على أحد الوجهين ، وهو أن لا تجعل الكاف زائدة ، قيل : وهذا غاية لنفى التشبيه ، اذ لو كان له مثل لكان لمثله شيء وهو ذاته تعالى ، فلما قال « ليس كمثله » دل على أنه ليس له مثل ، وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله ، ورد بمنع أنه تعالى مثل مثله ، لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله ، تعالى عن ذلك . وكقولك الشنفرى الأزدى فى وصف امرأة بالعفة (٥٠) .

---

(٤٨) ففى البيت ثلاثة توجيهات :

١ — ان فيه كناية عن صفة فى الشطر الاول وعن نسبة فى الشـطر الثانى .

٢ — او انه كناية عن نسبة فى الشطر الاول وعن صـفة فى الشطر الثانى .

٣ — او ان كل شطر منهما كناية عن نسبة .

(٤٩) راجع ٤٠٦ من المطول .

(٥٠) هو فى المفتاح ص ١٧٢ والدلائل ص ٢٣٩ والمفضليات ص ٤١ .

يبيت بمنجـــاة من اللوم بيتهـــا   اذا ما بيـــوت بالمـــلامة حلـــت

فانه نبه بنفى اللوم عن بينها على انتفاء أنواع الفجور عنه ، وبه على براءتها منها ، وقال « يبيت » دون يظل لمزيد اختصاص الليل بالفواحش هذا على ما رواه الشيخ عبد القاهر والسكاكى ، وفى الاغانى الكبير « يحل بمنجاة » .

وقد يظن أن هنا قســـما رابعا وهو ان يكون المطلوب بالكناية الوصف والنسبة معا ، كما يقال « يكثر الرماد فى ساحة عمرو (٥١) » فى الكناية عن أن عمرا مضياف ، وليس بذالك ، اذ ليس ما ذكر بكناية واحدة ، بل هو كنايتان : احداهما عن (٥٢) المضيافية ، والثانية عن اثباتها لعمرو (٥٣) ، وقد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتـــة بطريق الكناية

---

(٥١) الساحة هى الفسحة التى بين بيوت الدار وقدام بابها — ففى المثال كناية عن المضيافية واثباتها لعمرو ، اما الاثبات فلأنا لم نثبت كثرة الرماد لعمرو ولا لمـــا اضيف لضميره كما فى طويل نجاده حتى تكون النسبة معلومة وانما اثبتاها فى ساحته لينتقل من ذلك الى ثبوتها له واما المضيافية فلأنا لم نصرح بها حتى يكون المطلوب نفس النسبة بل كنينا عنها بكثرة الرماد . .

(٥٢) اى ان المطلوب بها صفة وهى كثرة الرماد كناية عن المضيافية .

(٥٣) فالثانية مطلوب بها نسبة المضيافية الى زيد وهو جعلوا فى ساحته ليفيد اثباتها له .

كما ان قولنا « كثر الرماد فى ساحة العالم » اذا دل الدليل كالشهرة على ان المراد بالعالم زيد . ففيه كناية عن صفة وكناية عن موصـــوف وكناية عن نسبة .

ملاحظة : البيت « يبيت بمنجاة من اللوم الخ » :

اللوم مجاز مرسل اطلق اللوم واراد سببه ، ومعنى « منجاة من اللوم » بعد عنه . ومنجاة من اللوم كناية عن صفة هى العفة مكانه قال يبيت بيتها عفيفا وذلك كناية عن نسبة العفة اليها .

وقوله « بيتها » لا يصح . اطلاقه . على المراة مجازا مرسلا علاقته المحلية وذلك لاضافة البيت الى ضمير المراة هذا وفى الشطر الثانى كناية =

يجوز أن يكون مكنيا عنه أيضا ، كما فى هـذا المثال ، ونحـوه بيت الشنفرى المتقدم ، فان حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة الى صاحبه ، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة •

واعلم أن الموصوف فى القسم الثانى والثالث (٥٤) قـد يكون مذكورا كما مر ، وقد يكون غير مذكور (٥٥) كما تقول فى عرض (٥٦) من يؤذى المسلمين المسلم من سلم المسلمون من لسانه (٥٧) ويده ، أى ليس المؤذى مسلما ، وعليه قوله تعالى فى عرض المنافقين : « هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب » اذا فسر الغيب بالغيبة أى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبى (ص) أو أصحابه (ض) ، أى هدى للمؤمنين عن اخلاص لا للمؤمنين عن نفاق •

قال السكاكى (٥٨) :

= عن نسبة هى نسبة الفحش الى بيوت غيرها. حلت بالملامة كناية عن صفة هى الفجور والملامة مجاز مرسل •

(٥٤) وهما الكناية المطلوب بها صفة ، والمطلوب بها نسبة .

(٥٥) أى لا لفظا ولا تقديرا . أما الموصوف فى القسم الاول فهو طبعا غير مذكور لانه نفس المطلوب بالكناية ، فمثال ذكره فى القسم الثانى زيد كثير الرماد وفى الثالث ان السماحة البيت ، ويلاحظ أنه اذا كان المطلوب بها صفة وكانت النسبة موجودة فلا بد ذكر الموصـوف لفظا أو تقديرا ضرورة استحالة نسبة لغير منسوب اليه مثل : زيد كثير الرماد •

(٥٦) أى جانب ، والمراد به التعريض بمن يؤذى المسلمين .

(٥٧) فهو كناية عن نفى صفة الاسلام عن المؤذى وهو غير مذكور ووجه الكناية أن مدلول الجملة حصر الاسلام فيمن لا يؤذى ، ولا ينحصر فيه الا بانتفائه عن المؤذى فاطلق الملزوم واريد اللازم •

هذا وأما القسم الاول وهو ما يكون المطلوب بالكناية نفس الصفة لكون النسبة مصرحا بهـا مثل زيد كثير الرماد فلا يخفى أن الموصـوف فيها يكون مذكور لا محالة لفظا وتقديرا •

(٥٨) راجع ١٧٠ مفتاح و ١٧٣ و ١٧٤ •

الكناية تتفاوت (٥٩) الى : تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وايماء ، واشارة :

---

(٥٩) اى تنوع .

ملاحظـــات :

١ — الكناية كما سبق الانتقال فيها بحسب ذهن السامع من اللازم الى الملزوم ، وبحسب ذهن المتكلم بالعكس .

والمجاز الانتقال فيه بحسب ذهن الســـامع من الملزوم الى اللازم وبحسب ذهن المتكلم بالعكس .

٢ — المجاز يحصـــل فيه الانتقال من اللازم الى الملزوم تارة كما فى « امطرت السماء نباتا » ، وتارة من الملزوم الى اللازم كما فى رعينا الغيث . وجعل السكاكى الانتقال فى المجاز دائما من الملزوم الى اللازم وفى الكناية بالعكس .

٣ — التعريض هو ان تذكر الشيء تدل به على شيء لم تذكره مثـــل « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ، فقولنا المسلم من سلم يقتضى الحصر اى انحصار الاسلام فيمن سلم المسلمون من لسانه ويده ، ومعنى هذا ثبوت الاسلام لمن سلم منه الناس ونفيه عمن لم يسلم الناس منه ، اى انتفاء الاسلام عن المؤذى مطلقا ، ونفى الاسلام عن مؤذ معين لازم لذلك المعنى الذى هو نفيه عن المؤذى مطلقا ، فهو تعريض .

هذا وانما قال « تتفاوت » ولم يقل « تنقسم » لان التعريض وما عطف عليه (التلويح والرمز والايماء) ليس من اقسام الكناية فقط بل هو اعم ، فالتعريض مثلا قد يكون مجازا وقد يكون كناية .

وفى ذلك نظر من وجهين :

١ — ان تعدية التفاوت بالى انما يصح بتضمينه معنى الانقسام .

٢ — ان اقسام الشيء لا يجب ان تكون اخص منه لصحة ان يكون بينها وبين المقسم عموم من وجه كما مر فى تقسيم الابيض الى حيوان وغيره والحيوان الى ابيض وغيره ، هذا راى السعد ، والمحققون على ان قسم الشيء يجب ان يكون اخص .

هذا والاقرب انه انما قال « تتفاوت » لان هذه الاقسام قد يدخل بعضها فى بعض فيمكن اجتماع الجميع فى صورة واحدة باعتبارات مختلفة لجواز ان يعبر عن اللازم باسم الملزوم فيكون كناية ، ومع ذلك قد يكون تعريضا بالنظر لسامع يفهم ان اطلاقه على ذلك القيد بالسياق ، وقد يكون تلويحا بالنظر لسامع آخر يفهم كثرة الوسائط ولم يفهم المعرض به ، =

١ — فان كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضا (٦٠) .

٢ — والافان كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط (٦١) ، كما فى « كثير الرماد » واشباهه ، فالمناسب أن يسمى تلويحا ، لأن التلويح هو أن تشير الى غيرك من بعد .

(٣ —) والا (٦٢) فان كان فيها نوع خفاء (٦٣) فالمناسب أن تسمى رمزا لأن الرمز هو أن تشير الى قريب منك على سبيل الخفية قال (٦٤)

رمزت الى مخافة من بعلها   من غير أن تبدى هناك كلامها

= وقد يكون رمزا بالنسبة لسامع آخر يخفى عليه اللازم ، فهى اقسام اعتبارية لا اقسام حقيقية .

(٦٠) اى ان الكناية اذا كانت مسوقة لاجل موصوف غير مذكور كان المناسب ان يطلق عليها اسم التعريض لانه امالة الكلام وتوجيهه الى عرض — اى ناحية وجانب — يدل ذلك العرض على المقصود ، فالعرض الذى اميل الكلام اليه هو المعنى الكنائى ، والمقصود هو المعنى المعرض به المقصود من سياق الكلام ، فالمسلم من سلم المسلمون الخ ، المعنى الصريح حصر الاسلام فى غير المؤذى ، ويلزم منه نفى الاسلام عن كل مؤذ وهذا هو المعنى الكنائى ، والمقصود من السياق نفى الاسلام عن المؤذى المعين كزيد وهذا المعرض به ، وليس اللفظ مستعملا فيه بل هو مستعمل فى المعنى الكنائى ، والمعنى المعرض به ليس حقيقيا ولا مجازيا للفظ ولا كنائيا له ، لأن التعريض هو أن يفهم من اللفظ معنى بالسياق والقرائن من غير ان يقصد استعمال اللفظ فيه اصلا ، والحقيقة مستعملة فى الموضوع له ، والمجاز فى غير الموضوع له (لازم معناه) ، والكناية فى اللازم مع جواز ارادة الملزوم ، ولذلك يكون لفظ التعريض تارة حقيقة وتارة مجازا وتارة كناية ، فقولهم ان الكناية تكون تعريضا اى ان اللفظ قد يستعمل فى معنى مكنى عنه ليلوح بمعنى آخر بالقرائن .

(٦١) اى بين اللازم الذى استعمل لفظه والملزوم الذى اطلق اللفظ عليه كناية .

(٦٢) اى بأن قلت الوسائط او انعدمت .

(٦٣) اى فى اللزوم كعريض القفا وعريض الوسادة .

(٦٤) هو فى ص ١٧٤ المفتاح .

(٤ —) والا (٦٥) فالمناسب أن تسمى ايماء واشارة كقول أبى تمام يصف (٦٦) ابلا :

أبين فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد

فانه فى افادة أن أبا سعيد كريم غير خاف ، وكقول البحترى(٦٧):

أو ما رأيت المجد ألقى رحله فى آل طلحة ثم لم يتحول

فانه فى افادة أن آل طلحة أماجد ظاهر ، وكقول الآخر (٦٦) :

اذا الله لم يسق الا الكرام فسقى وجوه بنى حنبل
وسقى ديارهم باكرا من الغيث فى الزمن الممحل (٦٨)

وقال الآخر :

متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم

ثم قال (٦٩) :

والتعريض كما يكون كناية قد يكون مجازا ، كقولك « آذيتنى

---

(٦٥) بان قلت الوسائط بلا خفاء .
(٦٦) البيت هو فى ص ٢٤١ دلائل ، و ص ١٧٤ مفتاح .
(٦٧) البيت فى ص ٢٤٠ دلائل ، و ص ١٧٤ مفتاح . فالقاء المجد رحله فى آل طلحة معنى مجازى على طريق المكنية ، ويلزم من ذلك كون محله وموصوفه آل طلحة لعدم وجود غيرهم معهم .
(٦٨) الزمن المحل : المجدب . والكناية هنا عن ثبوت الكرم لبنى حنبل .
(٦٩) ١٧٤ مفتاح . اى انتقل السكاكى من الكناية فى التعريض الى تحقيق المجاز فيه ، والحاصل ان السكاكى بعد ما سمى احد اقسام الكناية تعريضا انتقل الى تحقيق الكلام التعريضى وانه قد يكون تارة مجازا وقد يكون تارة اخرى كناية .

فستعرف » ، وأنت لا تريد المخاطب ، بل تريد انســانا معه ، وان أردتهما جميعا كان كناية (٧٠) •

تنبيــــه (٧١)

أطلق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الاستعارة (٧٢) أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الافصاح بالذكر ، قال الشيخ (٧٣) عبد القــاهر : ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيــد زيادة فى المعنى نفسه لا يفيــدها خلافه ، بل لأنه يفيد تأكيدا لاثبات المعنى لا يفيده خلافه ، فليست فضيلة قولنا « رأيت أســدا » على قولنــا « رأيت رجلا هو والأســد سواء فى الشجاعة » أن الأول أفاد زيادة فى مساواته للأسد فى الشجاعة لم يفدها الثانى •

---

(٧٠) ولا بد فى الصورتين — اى صورة كون الكلام التعريضى مجازا وكونه كناية — من قرينة دالة على ان المراد فى الصــورة الاولى كلاهما ليكون كناية .

وتحقيق ذلك ان « آذيتنى فستعرف » كلام دال على تهديد المخاطب لسبب الايذاء ويلزم منه تهــديد كل من صــدر عنه الايذاء ، فان استعملته واردت به تهــديد المخاطب وغيره من المؤذين كان كناية ، وان اردت به تهديد غير المخاطب بسبب الايذاء لعلاقة اشتراكه مع المخاطب فى الايذاء اما تحقيقا واما فرضا وتقــديرا مع قرينة دالة على عدم ارادة المخاطب كان مجازا .

(٧١) راجع ١٧٤ مفتاح ، ٥٥ — ٨٥ دلائل .

(٧٢) المراد بها التحقيقية والتمثيلية لا المكنية والتخييلية فليســا مرادين له هنا لانهما ليســا من المجاز اللغوى عنده .

(٧٣) ٥٦ — ٥٨ دلائل ، ٣٤٣ — ٣٤٥ دلائل ايضا .

ملاحظة : قوله « ابلغ من الحقيقة » الظاهر انه من بلغ بلاغة ، فيرد عليه ان البلاغة لا تكون صفة للمفرد ولا شك ان الكناية لفظ مفرد والمجاز قــد يكون مفردا . والجواب ان المراد بابلغ معناها اللغوى اى افضــل واحسن .

بل هى أن الأول أفاد تأكيداً لاثبات تلك المساواة له لم يفده الثانى ، وليست فضيلة قولنا « كثير الرماد » على قولنا « كثير القرى » أن الأول أفاد زيادة لقراه لم يفدها الثانى ، بل هى أن الأول أفاد تأكيدا لاثبات كثرة القرى له لم يفده الثانى ، والسبب فى ذلك أن الانتقال فى الجمع من الملزوم الى (٧٤) اللازم ، فيكون اثبات المعنى به كدعوى الشىء ببينة ، ولا شك أن دعوى الشىء ببينة أبلغ فى اثباته من دعواه بلا بينة ، ولقائل أن يقول : قد تقدم أن الاستعارة أصلها التشبيه ، وأن الأصل فى وجه الشبه أن يكون فى المشبه به أتم منه فى المشبه وأظهر ، فقولنا « رأيت أسدا » يفيد للمرئى شجاعة أتم مما يفيدها قولنا « رأيت رجلا كالأسد » لأن الاول يفيد شجاعة الأسد والثانى شجاعة دون شجاعة الأسد ، ويمكن أن يجاب بحمل كلام الشيخ على أن السبب فى كل صورة ليس هو ذلك لا أن ذلك ليس بسبب فى شىء من الصور أصلا .

هذا آخر الكلام فى الفن الثانى

---

(٧٤) فلا يفهم المعنى المراد من نفس اللفظ بل بواسطة الانتقال عن الملزوم الى اللازم : اما فى المجاز فظاهر انه لا يفهم الرجل الشجاعة من نفس قولك « رأيت أسدا » بل بواسطة الانتقال من الحيوان المفترس الى لازمه وهو الشجاع واما فى الكناية فلأن اللازم الذى قيل أن الانتقال فيها منه الى الملزوم هو اللازم المساوى فهو ملزوم أيضا فصح أن الانتقال فيها من الملزوم الى اللازم فالمراد بالملزوم بالنسبة لها الملزوم فى الذهن وان كان لازما فى الخارج .

ملاحظات :

١ — الكناية والاستعارة قد يكون كل منهما خبرا وقد يكون انشاء . واما التشبيه فالظاهر انه خبر .

١ — بلاغة الكناية تتخلص فيما يلى :

أ — التعبير عن اللفظ الخسيس بلفظ شريف .

ب — تمثيل المعنى للذهن بجزئيات محسوسة يستدل بمجموعها عليه .

جـ — والكناية تفيد الالفاظ جمالا وتكسب المعانى سحرا .

د — وتزيد بلاغة الكناية اذا وقعت بالغرض المقصود منها وأردت الفائدة الموجودة بلفظ شريف حسن .

(البـــلاغة والفصــــاحة عند السكاكى)

وذكر السكاكى بعد الفراغ منه (١) تفســـير البلاغة بما نقلنــاه عنه فى صـــدر الكتاب (٢) •

ثم (٣) قسم الفصاحة الى معنوية ولفظية •

(١ —) وفسر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيـــد ، وعنى بالتعقيد اللفظى على ما سبق تفسيره •

(٢ —) وفسر اللفظيـــة بأن تكون الكلمة عربية أصـــلية ، وقال (٣) : وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدور ، واستعمالهم لهـــا أكثر ، لا مما أحدثه المولدين ، ولا مما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة ، وأن تكون ســـليمة عن التنافر ، فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة وحصر مرجع البلاغة فى الفنين ، ولم يجعل الفصاحة مرجعا لشىء منه •

ثم قال (٤) :

واذ قـــد وقفت على البلاغة والفصـــاحة المعنوية واللفظية ، فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البـــلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك ، وذكر ما أورده الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ، ويا سماء أقلعى » وغيض المـــاء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودى ، وقيل بعـــدا

---

(١) أى من بحوث الفن الثـــانى •
(٢) راجع ص ١٧٥ مفتـــاح •
(٣) راجع ص ١٧٦ مفتاح •
(٤) ١٧٦ مفتـــاح •

للقوم الظالمين (٥) » وزاد عليها نكتا لا بأس بها ، فرأيت أن أورد تلخيص ما ذكره جاريا على اصطلاحه فى معنى البلاغة والفصاحة ، قال (٦) :

(١ —) أما النظر فيها من جهة علم البيان :

فهو أنه تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض الى بطنها فارتد ، وانقطع طوفان السماء فانقطع ، وان يغيض الماء النازل من السماء مغاض ، وأن يقضى أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضى ، وان نسوى السفينة على الجودى فاستوت ، وأبقينا الظلمة غرقى . بنى الكلام على تشبيه المراد منه بالمأمور الذى لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان ، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ فى تكون المقصود ، تصويرا لاقتداره تعالى وان السموات والأرض وهذه الاجرام العظام تابعة لارادته كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره ، وتحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ، ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام ، فقال تعالى « قيل » على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببهم قول القائل ، وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد وهو « ويا سماء » ثم قال « يا أرض وياسماء » مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء فى الأرض البلع الذى هو اعمال الجاذبة فى الطعوم ، بجامع الذهاب الى مقر خفى واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق الاستعارة بالكناية ، لتقوى الأرض بالماء فى الانبات للزرع والأشجار وجعل قرينة الاستعارة لفظ « ابلعى » ، لكونه موضوعا للاستعمال

---

(٥) راجع الآية والكلام عليها فى ص ٣٦ من الدلائل ، وفى ص ١٦٩ صناعتين .

(٦) ١٧٦ مفتاح .

فى الغذاء دون المـاء ، ثم أمر على سبيل الاستعارة للشـبه المقدم ذكره ، ثم قال « ماء » باضافة المـاء الى الأرض على سبيل المجاز ، تشبيها لاتصال المـاء بالأرض باتصـال الملك بالمـالك ، واستعار لحبس المطر الاقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم ما كان ، وخاطب فى الأمرين ترشيحا للاستعارة ، ثم قال « وغيض المـاء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعـدا للقوم الظالمين» فلم يصرح بالغائض والقاضى والمسوى والقائل كما لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء ، سـلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الكناية ، وأن تلك الأمور العظام لا تتـأتى الا من ذى قدرة لاتكتنه ، قهار لايغالب، فلا مجال لذهاب الوهم الى أن يكون الفـاعل لشىء من ذلك غيره ، ثم ختم الكلام بالتعريض لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل ظلمـا لأنفسهم ، ختم اظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم اياه .

(٢ —) وأما النظر فيها من حيث علم المعانى (٧) :

وهو النظر فى فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير بين جملهـا ، فذلك أنه اختير « يا » ، دون سائر أخواتها » لكونها أكثر استعمالا ، ولدلالتها على بعـد المنادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة ويؤذن بالتهاون به ، ولم يقل « يا أرض » بالكسر تجنبا لاضافة التشريف تأكيدا للتهـاون ، ولم يقل يا أيتها الأرض للاختصـار ، مع الاحتراز عما فى « أيتها » من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام ، لكون المخاطب غير صالح للتنبيه على الحقيقة ، واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها لكونه أخف وأدور ، واختير لفظ السـماء لمثل ذلك مع قصـد المطابقة ، واختير « ابلعى » على ابتلعى لكونه أخصر، ولمجىء حظ التجانس بينه وبين أقلعى أوفى : وقيل « ماءك » بالافراد

---

(٧) ١٧٨ مفتـاح .

دون الجمع لدلالة الجمع على الاســتكثار الذى يأباه مقام اظهــار الكبرياء : وهو الوجه فى افراد الأرض والسماء ، ولم يحذف مفعول ابلعى لئلا يفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتــلال والبحار وغيرها ، نظرا الى مقام ورود الأمر الذى هو مقام عظمة وكبرياء ، ثم اذ بين المراد اختصر الكلام على اقلعى ، فلم يقل اقلعى عن ارسال المــاء احترازا عن الحشو المستغنى عنه من حيث الظاهر ، وهو الوجه فى أنه لم يقل يا أرض ابلعى ماءك فبلعت ويا سماء أقلعى فأقلعت ، واختير « غيض المــاء » على غيض المشــددة لكونه أخصر وأخف وأوفق لقبل ، وقيل « المــاء » دون أن يقال ماء طوفان السماء ، وكذلك الأمر دون أن يقال أمر نوح ، للاختصار ، ولم يقل ســـويت على الجودى بمعنى أقرب على نحو قبــل وغيض وقضى فى البنـــاء للمفعول ، اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله وهى تجرى بهم مع قصــد الاختصار ، ثم قيل « بعــدا للقوم » دون أن يقال ليبعد القوم طلبا للتوكيد مع الاختصار ، وهو نزول « بعــدا » منزلة ليبعــدوا بعدا ، مع افادة أخرى وهى استعمال اللام مع بعــد الدال على معنى أن البعــد حق لهم ثم أطلق الظلم ليتنــاول كل نوع حتى يدخل فيـــه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل .

هــذا من حيث النظر الى الكلم ، وأما من حيث النظــر الى ترتيب الجمل ، فذلك أنه قدم النــداء على الأمر ، فقيل يا أرض ابلعى ويا سماء اقلعى ، دون أن يقال ابلعى يا أرض وأقلعى يا ســماء ، جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مأمورا حقيقة ، من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبـــه فى نفس المــادى ، قصــدا بذلك لمعنى الترشيح ، ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك فى القصة منزلة الأصــل ، ثم أتبعهما قوله « وغيض المــاء » لاتصاله بقصة المــاء ، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصـــة وهو قوله « وقضى الأمر » أى أنجز الوعد من اهلاك الكفرة وانجاء

نوح ومن معه فى السفينة ثم اتبعه حديث السفينة ، ثم ختمت القصة بما ختمت .

هـذا كله نظر فى الآية من جانب البلاغة .

وأما (٨) النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية :

فهى كما ترى نظم للمعانى لطيف ، وتأدية لهـا ملخصة مبينة ، لا تعقيـد يعثر الفكر فى طلب المراد ، ولا التواء يشيك الطريق الى المراد بل ألفاظها تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق ألفاظها .

وأما (٩) النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية : فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة ، جارية على قوانين اللغة ، سليمة عن التنافر ، بعيدة عن البشـاعة ، عذبة على العذبات ، سلسة على الاسلات ، كل منها كالمـاء فى السلاسـة ، وكالعسـل فى الحلاوة ، وكالنسيم فى الرقة (١٠) والله أعلم .

---

(٨) ١٧٨ مفتاح .
(٩) ١٧٨ مفتاح .
(١٠) راجع الكلام على الآية فى دلائل الاعجاز ص ٣٦ و ٣٧ .

آراء في الكنــاية

١ — ١ — التعريض أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء (١) .

والكناية قسمان : لغوية واصطلاحية : فاللغوية ذكرها المبرد في كامله وذكر أقسامها (٢) ، ويشــير الى مثل الكناية الاصطلاحية (٣) وكلامه يفهم منه أنه يسميها ايماء ، ويسميها قدامة « الأرداف (٤) » وكذلك أبو هلال (٥) ، ويسميها ابن رشيق التتبع (٦) ، ويقول الجاحظ في البيان عن أبي عبيــدة : العارضة كناية عن البــذاء واذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل الخ (٧) ، وقال شريح : الحــدة كناية عن الجهل وذكر مثلا أخرى (٨) . وقال الجاحظ : وقــد يستعمل الناس الكناية وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة يريدون أن يظهر المعنى بألين لفظ اما تنزها واما تفضلا كما سموا المعزول مصروفا والبخيل مقتصــدا (٩) .

وفي خطابة أرسطوا : « ومن حســن أدب الخطيب اذا حاول العبارة عن معنى فأحسن ألا يصرح بل يستعير له ويقيم شيئا بدله » ، وذلك أساس لبحث الكناية التي ذكرها الجاحظ في بيانه .

---

(١) ٣١٠ صناعتين .
(٢) ٥ و ٢/٦ الكامل .
(٣) ٧٧ و ١/١٦٦ و ٩٢ و ٢/٢٨١ الكامل .
(٤) ٩٢ نقــد الشــعر .
(٥) ٢٤١ الصناعتين .
(٦) ١/٢٨٢ العمــدة .
(٧) ١٨٠ جـ ١ البيان .
(٨) ٢٩ — ٣١ جـ ٢ البيان .
(٩) ١٢٣ جـ ١ رسالة النساء للجاحظ بهامش الكامل للمبرد .

وقـد ذكر ثعلب « لطـافة المعنى » وعرفه بأنه هـو الدلالة بالتعريض على التصريح (١٠) وذكر مثلا له (١١) ؛ وفى العقـد باب للكناية والتعريض (١٢) ؛ وفى الصاحبى أيضا (١٣) ويذكر صاحب نقـد النـثر « اللحن » بمعنى التعريض والكناية (١٤) ؛ وتكلم ابن المعتز فى كتابه البديع عليه وجعله نوعا من أنواع البديع •

٢ ــ هـذا وراجع الكناية فى ص ١٧٠ مفتاح ، والارداف فى الصـناعتين ص ٣٤١ ، وراجع ص ٥ و ٦ جـ ٢ الكامل للمبرد ؛ وفى الصناعتين باب باسم الكناية والتعريض (ص ٣٦٠) : وفى الدلائل (ص ٥٢ و ٢٣٧) كلام على الكناية ، وراجع نقـد الشعر ص ٩٣ •

وراجع الفرق بينهما وبين المجاز فى شرح الدسوقى ص ٢٠٨ جـ ١ و ص ٢٨٧ جـ ٢ ، و ص ٢٨٣ جـ ٣ وما بعدها السبكى •

وراجع معناها عنـد المصنف والسكاكى فى ص (٣٠٠ جـ ١ شرح الدسوقى) •

٣ ــ هـذا و « زيد كثير الرماد » اذا لم يكن له رماد ولا طبخ من قبيـل الكناية التمثيلية (٦٣ جـ ٢ السبكى) •

واخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر كناية عنـد السـكاكى (ص ٥١ مطول) •

---

(١٠) ١٩ قواعد الشـعر .
(١١) ١٩ ــ ٢١ المرجع .
(١٢) ١٠ ــ ١٤ جـ ٢ العقـد .
(١٣) وينقد ابن الأثير الجاحظ لعده بيتا لنصيب من الكناية وهو :
فعاجوا فأثنوا بالذى انت أهـله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
ويرى أن البيت من التشـبيه المضمر الأداة الخارج عن الكنـاية (٣٤٩ وما بعدها المثل السائر) .
(١٤) ٥٩ نقـد النثر .

٤ ــ الكناية على مذهب السكاكى كما سبق هى اللفظ المستعمل فى ملزوم معناه أى الذى أريد به الملزوم ، وعنــد المصنف هى اللفظ المستعمل فى لازم معناه ، أى لفظ الملزوم المســتعمل فى اللازم مع جواز ارادته .

٥ ــ الكناية حقيقية : وقيل مجاز ، وقيل لا حقيقة ولا مجاز (٧ جـ ٤ دسوقى) . ويرد السكاكى على الخطيب فى أنها ليســت حقيقــة ولا مجازا ، ويذكر أن الكناية محتاجة لقرينــة (٣٣ جـ ٤ السبكى) . والكناية عند المصــنف ليست حقيقة لاستعمالها فى غير ما وضعت له والحقيقة يجب أن تكون مســتعملة فى ما وضعت له ، وليست مجازا لأن قرينتها غير مانعة والمجاز قرينته يجب أن تكون مانعــة (٢٦ جـ ٤ دســوقى) ... والكناية عنــد الجمهور ومنهم السكاكى حقيقة ، وعنــد السبكى قــد تكون حقيقة وقــد تكون مجازا . وقيل انها مجاز .

٦ ــ الفرق بين الكناية والمجاز .

عنــد السكاكى الانتقال فى الكناية من اللازم الى الملزوم وفى المجاز بالعكس ، وعنــد المصنف يجوز فيها ارادة المعنى المطــابق مع ارادة لازمة والمجاز لا يجوز فيــه ذلك .

وعنــد السكاكى الكناية لفظ أريد به موضوعه ليســتفاد غير موضوعة ، والمجاز لفظ أريد به غير موضوعة ، وغير الكناية من الحقيقة لفظ أريد به موضوعه ليستفاد منه ذلك الموضــوع له ، والمقصــود بالكناية بالذات اللازم وارادة الملزوم تبع ، والمقصود بالحقيقة الملزوم فان فهم منه بعض لوازم معناه تضمنا والتزاما كان ارادة اللازم تبعا وكان حقيقة قطعا (٢٨٧ جـ ٣ ابن يعقوب) .

فاذن الكناية يصح أن يقال فيها انها لفظ أريد به غير معنــاه

باعتبار ارادة الافادة وأن يقال لفظ أريد به معناه باعتبار الاستعمال، فالكناية عند السبكى تفارق المجاز فى أنها ليس فيها انتقال الاستعمال بل انتقال الذهن فقط (وهو انتقال الافادة) .

فخلاصة رأى السبكى فى الفرق بين المجاز والكناية : هى أن فى الكناية ارادة شيئين : أحدهما مدلول اللفظ وتلك ارادة استعمال ، والثانى ملزومه وتلك ارادة افادة ، أما المجاز ففيه ارادة شىء واحد و مدلول اللفظ ، والتحقيق أن المجاز فيه ارادتان أيضا : ارادة استعمال وارادة افادة ، غير أنهما تواردا على محل واحد ، بخلاف الكناية فان ارادة الاستعمال فيها فى الموضوع وارادة الافادة فى متعلقة ، فلا تفاوت بينهما الا فى أن محل الارادتين فى أحدهما واحد وفى الآخر متعدد .

٧ — الفرق بين التشبيه والاستعارة والكناية :

(أ) التشبيه من أساليب الحقيقة ، والاستعارة من أساليب المجاز ، والكناية وسط بين الحقيقة والمجاز لجواز ارادة المعنى الحقيقى والكنائى فيها ، فقولك « فلان نقى الثوب » تكنى به عن طهارته واستقامته ، وقد يكون مع ذلك نقى الملابس أيضا :

(ب) التشبيه فيه أداة للتشبيه . والاستعارة لا أداة للتشبيه فيها مع ملاحظة التشبيه . والكناية بعيدة عن أسلوب التشبيه .

(ج) والتشبيه : الدلالة على مشاركة أمر لآخر فى معنى بأداة لغرض مثل محمد كالأسد .

وأما الاستعارة : فهى نقل اللفظ من معناه الأصلى الذى وضع له الى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلى مشابهة لقصد المبالغة . مثل : رأيت أسدا .

والكناية تادية المعنى المراد بذكر لازم من لوازمه . مثل الكرم فى أثوابه .

٨ — الانتقال عند السكاكى فى الكناية لا المجاز من اللازم الى الملزوم : واعترض عليه المصنف بأن اللازم قد يكون أعم فلا ينتقل منه الى الملزوم : اذ لا اشعار للاعم بالأخص . والجواب عن السكاكى أن اللازم انما ينتقل عنه لا من حيث انه لازم بل من حيث انه ملزوم : وانما سماه لازما من حيث انه تابع للغير والا فهو ملزوم فى المعنى .

فالخلاف بين السكاكى والمصنف فى الانتقال من الكناية لفظى (٢٨٧ جـ ٣ دسوقى) . ومذهب المصنف أن الانتقال فى الكناية كالمجاز لفظ أريد به لازم معناه : فمعنى اللفظ اذا ملزوم والمعنى الكنائى لازم هو من الملزوم الى اللازم . ولتوضيح ذلك نقول : عرفت الكناية بأنها لفظ أريد به لازم معناه ، فمعنى اللفظ اذا ملزوم والمعنى الكنائى لازم ، وفرق السكاكى بين الكناية والمجاز بأن الكناية مبناها على الانتقال من اللازم الى الملزوم ، فمقتضى هذا أن معنى اللفظ لازم والمعنى الكنائى ملزوم .

وهذا تناقض واضح ، لذلك رأى الخطيب أن اللازم يراد به ضرورة فى الكناية ما كان مساويا للملزوم ، حتى يصح الانتقال حينئذ من اللازم الى الملزوم ومادام اللازم مساويا فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم الى اللازم . وهناك رأى آخر فى دفع هذا التناقض ، فقد قيل : ان هناك تلازما فى الوجود وتلازما فى العلم ، فالتلازم الوجودى ان يوجد شىء أولا ، ثم يستتبع وجود ذلك الشىء وجود شىء آخر ، كنزول المطر مع النبات ، فنزول الماء ملزوم وظهور النبات لازم ، وكطول النجاد والقامة فالأول لازم والثانى ملزوم ، وأما التلازم فى العلم فأن يكون العلم بوجود شىء مستتبعا العلم بوجود شى آخر فيكون أول المعلومين ملزوما وثانيهما لازما ، فالعلم بظهور النبات فى صحراء مستلزم للعلم بنزول المطر ، والعلم بطول النجاد لشخص

مستلزم للعلم بطول القامة ، فنرى أن اللازم فى الوجود قد صـــار ملزوما فى العلم فاذا نظـــر الى التلازم من حيث الوجـــود لا يخرج الملزوم عن كونه ملزوما واللازم عن كونه لازما ، أما اذا نظر الى التلازم فى العلم فيصح اعتبار كل منهما لازما وملزوما والسكاكى انما أراد اللزوم فى الوجود ، فمدلول اللفظ الحقيقى دائما هو اللازم فى الوجود والمعنى الكنائى هو الملزوم ، فاعتراض الخطيب على السكاكى باشتراط التساوى فى التلازم غير صحيح ، ومنشؤه اغفال الفرق بين التلازم فى الوجود وفى العلم ، ففى الأول الملزوم فى الوجود ملزوم واللازم لازم ، والثانى يقتضى التساوى فيه صحة كونه لازما وملزوما فتعريف الخطيب ملاحظ فيه التلازم فى العلم ، فمعنى اللفظ الحقيقى ملزوم فى العلم والمعنى الكنائى لازم ، وسنفصل الكلام على ذلك فيما يلى • والخلاصة أن الكناية عند السكاكى الانتقال فيها على ما ذكره من اللازم الى الملزوم والمجاز بالعكس ، أما المصنف فالانتقال عنده فى المجاز والكناية من الملزوم الى اللازم ، وعند السبكى الانتقال فيهمـــا من الملزوم الى اللازم أو من اللازم الى الملزوم •

٩ — عرفوا (١٥) الكناية بأنها لفظ أريد به لازم معناه ومقتضى هذا التعريف أن معنى اللفظ يكون ملزوما والمعنى الكنائى يكون لازما ، ولمـــا فرق السكاكى بين المجاز والكناية قال : ان مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم ، ومقتضى هذا الفرق أن المعنى الكنائى يكون ملزوما والمعنى الحقيقى للفظ يكون لازما ، فيكون هذا الفرق مناقضا فى مقتضـــاه للتعريف ، فان المعنى الكنائى كما رأيت لازم بمقتضى التعريف وملزوم بمقتضى فرق السكاكى • والخطيب فى ايضاحه قد نظر فيما فرق به السكاكى بين اللازم ما لم يكن ملزوما يمتنع أن ينتقل منه الى الملزوم ،

---

(١٥) من بحث للأستاذ حامد محيسن فى البلاغة •

يريد أن اللازم ما لم يكن مساويا للملزوم لا يمكن الانتقال فلا تصح الكناية ، ثم أخذ الخطيب بعد ذلك يحتال على تصحيح الفرق الذى نقله عن السكاكى ، وانتهى الأمر بعدم صحة ذلك الفرق .. وأقول ان هناك تلازما فى الوجود وتلازما فى العلم أما التلازم فى الوجود فان بوجد شىء أولا ثم يستتبع وجود ذلك الشىء وجود شىء آخر ، كنزول المطر مثلا مع النبات ، وكتناول المـاء والرى ، وكطول القامة وطول النجاد ، فأنت ترى فى هذه كلها أن أول الشيئين وجد أولا وثانيهما وجد ثانيا . فنزول المـاء ملزوم وبدو النبات لازم ، وتناول المـاء ملزوم والرى لازم ، وطول القـامة ملزوم وطول النجـاد لازم ، وكله تلازم فى الوجود . وأما التلازم فى العلم : فان يكون العلم بوجود شىء مستتبعا العلم بوجود شىء آخر ، فيكون أول المعلومين ملزوما وثانيهما لازما، كما ترى فى الأمثلة الثلاثة المتقدمة ، ترى أن العلم ببـدو النبات فى صحراء لا يأتيها المـاء الا من السماء مستلزم للعلم بنزول المـاء من السماء ، والعلم بالرى مستلزم للعلم بتناول المـاء ، والعلم بطول النجاد لشخص مسـتلزم للعلم بطول القـامه ، فترى أن اللازم فى الوجود قد صار ملزوما فى العلم ، ومن هذا ما تراه فى استدلالهم بوجود هذه المخلوقات على وجود الصانع : من أن وجود المخلوقات تابع لوجود الصانع ، ولكن وجود المخلوقات لمـا اعتبر دليـلا على وجود الصانع ، والدليل كما قرروا ملزوم والنتيجة لازمة ، فقد صار بذلك اللازم فى الوجود ملزوما فى العلم ، والتساوى بين اللازم والملزوم اذا نظر الى التلازم من حيث الوجود لا يخرج الملزوم عن كونه ملزوما واللازم عن كونه لازما ، أما اذا نظر الى التلازم من حيث العلم صح أن يعتبر كل منهمـا لازما وملزوما ، فاذا كانت الناطقية مسـاوية للانسانية فلك أن تعتبر الناطقية ملزوما من حيث العلم والانسانية لازما ، ولك أن تعتبر الانسانية من هذه الحيثية ملزوما والناطقيـة لازما وعلى هذا الاعتبار انبنى التلازم فى الكناية ، فما لم يكن اللازم مساويا للملزوم لا تصح الكناية .

بهذا يتبين لك أن ما أورده الخطيب فى ايضاحه على ما فرق به السكاكى بين الكناية والمجـاز مبنى على عدم الالتفات الى الفرق بين اللازم فى الوجود واللازم فى العلم • والسكاكى انما أراد اللزوم ، وأنت اذا تتبعت أساليب الكناية وجدت مدلول اللفظ الحقيقى دائما هو اللازم فى الوجود ، والمعنى الكنائى هو الملزوم فى الوجود • واليك الأمثلة : يقولون فلان كثير الرماد ، كثرة الرماد فى الوجود تابعة للكرم فيه ، فالكرم أولا وكثرة الرماد ثانيا ، ويقولون بعيدة مهوى القرط فبعد مهوى القرط فى الوجود تابع لطول العنق فيه ، ويقولون المجـد بين برديه ، وجود المجد بين بردى الشخص أن فرض وجـوده انما يكون بعد وجود ذى البردين ، وهكذا لا ترى المعنى الكنائى الا تابعا فى الوجود لمعنى اللفظ • وعلى هذا فاعتراض الخطيب على السكاكى باشتراط التساوى فى التلازم غير صحيح ، ومنشؤه اغفالهم هـذا الفرق بين التلازمين ، فانك كما علمت ترى التساوى بين المتلازمين لا يخرج الملزوم فى الوجود عن كونه ملزوما واللازم فيه عن كونه لازما ، وانما يقتضى التساوى صحة اعتبار كل منهما لازما وملزوما اذا نظر الى التلازم فى العلم •

أما تعريف الخطيب فهو ملاحظ فيه التلازم فى العلم ، والذى يوضح لك هذا أنهم يقولون ان الكناية بمثابة دعوى الشىء ببينة ، والبينة كما تعلم هى الدليل ، والدليل ملزوم فى العلم والنتيجة لازمة • فيكون معنى اللفظ الحقيقى فى أسلوب الكناية هو البينة والدليل ، فهو ملزوم فى العلم ، والمعنى الكنائى لازم • فاذا قلت مثلا : فلان مهزول الفصيل ، فمعنى مهزول الفصيل الحقيقى مجعول دليلا على الكرم ، فمتى علمت هزال الفصيل لامرىء علمت أنه كريم : وهم حين يستدلون على العلم بوجود الشىء يستدلون عليه بوجود آثاره ولوازمه، فاللوازم فى الوجود ملزومات فى العلم •

هذا وأما التعريض : فيقال فى اللغة على غير التصريح فاذا قلت

عرض فلان بفلان أو لفلان كان معنـــاه أنه رماه بشيء لا عن طريق التصريح بل أفهمه بوســـاطة المقام والقرينـــة . وعلى ذلك جاء قول الرسول الكريم « ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب » وعلى ذلك أيضا جاء قوله تعالى « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » أما التعريض في اصطلاح البيانيين فقد اختلفت عبارتهم في تعريفه ولقد يكون أظهر ما يقال في تحديده « أنه ايراد الكلام لافهام معنى ليس له بمعنى اللفظ المراد منه علاقة كالمشـــابهة أو التلازم ، لا المعول في افهامه على القرينة والمقام » . فانك مثلا اذا قلت في مجلس فيه كذاب : أنا لست بكذاب ، معرضا بهذ الكذاب تريد أن تنسب اليه الكذب وذلك هو المعنى التعريضي ، فاذا نظرت الى المعنى الحقيقي للفظ وهو نفي الكذب عن المتكلم ، والمعنى التعريضي الذي هو نسبة الكذب ، لشخص معين ، اذا نظرت اليهما لم تجد بينهما ما بين الرجل الشجاع والأسد من مشابهة اذا قلت رأيت أسدا يخطب الناس ، ولم تجد بينهما كذلك ما بين الجنة والرحمة من حالية ومحلية في مثل قوله تعالى « ففي رحمة الله هم فيها خالدون » ، ولم تجد بينهما كذلك ما بين طول النجاد وطول القامة من تلازم حين تقول فلان طويل النجاد لتكنى به عن طول القامة ، لا تجد بينهما من مثل ذلك شيئا ، بل كل ما انفهم به المعنى التعريضي هو القرينة والمقام ، ولذلك ترى بعضهم قد قارب في تعريفه فكاد يصيب حين قال : « التعريض هو افهام المعنى بواسطة السياق والقرائن » .

فاذا كان التعريض هو ذلك المعنى الذي فهمتـــه من التعريفين المتقدمين في اصطلاح البيانيين ، ظهر لك أن التعريض شيء غير الكناية والواقع كذلك ، اذ الكناية قد عرف مما تقدم أنها تدور على أن تذكر شيئا وتريد متبوعه في الوجود وملزومه ، فلا تتم الكناية حتى يكون بين المعنيين الحقيقي والكنائي تلازم ، يرجع الى عقل أو الى عرف أو الى عادة . أما المعنى التعريضي فلا يتوقف افادته على ذلك الارتباط بينه وبين المعنى المراد من اللفظ ، بل مدار افهامه وفهمه على القرينة

والسياق ، كما اتضح لك هذا فى المثال السابق • وكما ظهر أن التعريض غير الكناية ، فقد ظهر أن التعريض غير المجاز ، اذ المجاز لابد أن يكون فيه ارتباط بين المعنى الحقيقى وبين المعنى المجازى وهو ما يسمونه بالعلاقة ، والعلاقة قد تكون المشابهة وقد تكون غير المشابهة • وهى ما فصلوه فى المجاز المرسل •

وقد يدور بالذهن سؤال ، هو أن مقتضى تعريف التعريض أنه يباين الكناية كما يباين المجاز ، ومقتضى ما نقله صاحب التلخيص عن السكاكى من قوله : « الكناية تتفاوت الى تعريض وتلويح ورمز وايماء واشارة » أن التعريض كالتلويح والرمز وغيرهما قسم من الكناية ، والمقتضيان كما ترى متناقضان ، وهذا هو الاشكال الذى يعترض القارىء فى هذا المقام ، ولا يقدح فى هذا التعبير بالتفاوت دون التعبير بالانقسام اذ أن ما وجهوا به عبارته لا يفضى على أى حال الى أن التعريض مباين للكناية بل يؤدى على أى تقدير الى أن التعريض قسم من الكناية ، لأن التوجيه بأن التعبير بالتفاوت انما أوثر على التعبير لا بالانقسام لأن التعريض أعم من الكناية من وجه اذ قد يكون كناية تارة وقد يكون مجازا أخرى ، لا يجعل التعريض مباينا للكناية ، بل يجعله باعتبار من اعتباراته قسما من الكناية ، كما نظروا لذلك بتقسيم الحيوان الى الأبيض والأسود حيث لم يكن عموم الابيض من وجه حين يوجد فى الثلج والقطن مثلا مانعا من اعتبار الابيض قسما للحيوان بقيد كونه حيوانا فكذلك يكون التعريض قسما من الكناية بقيد كونها كناية • وتوجيه بعضهم التعبير بالتفاوت دون الانقسام بأنه انما عبر بهذا لتداخل تلك الأقسام التى هى التعريض والتلويح والرمز والايماء والاشارة ، كذلك لا يخرج التعريض عن كونه قسما من الكناية ، فالأشكال على أى تقدير واضح محوج الى تحقيق المقام ، ويزيد فى هذا الاشكال ما نقله صاحب التلخيص أيضا عن السكاكى من أن التعريض أيضا قد يكون مجازا كقولك آذيتنى فستعرف وأنت تريد

انسانا مع المخاطب دونه ، وان أردتهما كان كناية ، فأنت ترى أن ما نقله السكاكى صريح فى أن التعريض يكون مجازا تارة ويكون كناية أخرى على حسب ارادة المتكلم واختلاف المقام المقتضى لاختلاف الارادة وهو يقضى بأن التعريض ليس مباينا للكناية مما يتم به الاشكال التلخيص ويتضح .

الواقع أن التعريض يباين الكناية ، وأن الصحيح هو ما يقتضيه تعريف التعريض ، أما ما نقله صاحب التلخيص عن السكاكى ، فالعبارة الأولى التى هى قوله : الكناية تتفاوت الخ ، غرض السكاكى من هذا الاشارة الى أن الكناية أحيانا قد تكون طريقا للتعريض ، على معنى أن اللفظ ان كان يستعمل فى معنى كنائى فقد يقصد منه افادة معنى تعريضى عن طريق السياق والقرينة ، فيكون اللفظ أحيانا مفيدا لمعنى كنائى ولمعنى تعريضى عن طريق السياق والقرينة ، وأحيانا لا يصحب الكناية تعريض ، وحين ذاك يتحقق فيها معنى التلويح اذا كان المعنى الكنائى بعيدا كثير الوسائط ، أو معنى الرمز اذا كان المعنى الكنائى قريبا خفيا ، أو معنى الايماء والاشارة اذا لم يكن خفاء ولا بعد ولنوضح هذا بمثال يتبين الأمر جليا ، مثلا اذا انت قلت « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » ، فان المعنى الحقيقى لهذا اللفظ قصر الاسلام على الذى لا يؤذى الناس أبدا غير أن هذا المعنى ليس هو المقصود انما المقصود لازم هذا ، وهو نفى الاسلام عن المؤذى مطلقا وهذا هو المعنى الكنائى وأنت أحيانا قد تريد التعريض بشخص معين فتريد نفى الاسلام عن مؤذ معين ، وهذا هو المعنى التعريضى فانت تراه قد جاء مع المعنى الكنائى ، فاذا قال السكاكى ان الكناية قد تتاوفت الى تعريض وتلويح الخ . كان المعنى أن الكناية قد يصحبها التعريض كما فى المثال المتقدم وقد لا يصحبها . وبهذا يتبين أن عبارة السكاكى لم تقتض أن التعريض قسم من الكناية الا أنه يبقى أن عبارته الثانية التى نقلها صاحب التلخيص . وهى قوله :

والتعريض قد يكون مجازا كقولك آذيتني فستعرف الخ : نص في أن التعريض يكون أحيانا كناية ، ويبقى الاشكال بحاله كما كان ، والواقع ليس كذلك اذ أن صاحب التلخيص عزى تلك العبارة الى السكاكي مع أن عبارة السكاكي في هذا المقام ليست كذلك ، واليك نصها : حتى تعلم أنها تفيد غير ما تفيده تلك العبارة التي في التلخيص ، عبارة السكاكي في المفتاح : « واعلم أن التعريض تارة يكون على سبيل الكناية وأخرى على سبيل المجاز فاذا قلت آذيتني فستعرف وأردت المخاطب ومع المخاطب انسانا آخر معتمدا على قرائن الأحوال كان من القبيل الأول ، وان لم ترد الا غير المخاطب كان من القبيل الثاني فتأمل وعلى هذا فقس وفرع ان شئت فقد نبهتك » وأنت ترى أن عبارة السكاكي تفيد بكثير من الوضوح أن التعريض تارة يجرى مجرى المجاز على معنى أنه قد يمنع المقام من ارادة غير المعنى التعريضي مع المعنى التعريضي فيكون شأنه شأن المجاز من أن قرينته تمنع من ارادة المعنى الحقيقي ، وقد يجرى التعريض مجرى الكناية ، على معنى أنه قد يراد المعنى الحقيقي للفظ مع المعنى التعريضي ، فيكون شأنه شأن الكناية ، اذ الكناية لا تمنع قرينتها من ارادة المعنى الحقيقي مع المعنى الكنائي . وليس معنى كلام السكاكي أن التعريض تكون حقيقته، حقيقة الكناية تارة وتكون حقيقته حقيقة المجاز تارة أخرى ، والا لما قال : التعريض تارة يكون على سبيل الكناية ، بل لو كان الأمر كما يفيده عبارة التلخيص لقال : التعريض تارة يكون كناية ولا يقول على سبيل الكناية ، المفيد أنه يريد أن التعريض قد يكون طريقه كطريق المجاز ، من حيث أنه قد يراد مع المعنى التعريضي المعنى الحقيقي ، فيكون شأنه كشأن الكناية ، وقد لا يراد فيكون شأنه كشأن المجاز . هذا ما أراده السكاكي وبفهمه يندفع الاشكال والاضطراب الذي وقع بين الكاتبين ، وسبب ذلك كله فهم صاحب التلخيص لعبارة السكاكي على غير وجهها فنقلها بالمعنى الذي فهمه ، والا فالكناية غير التعريض وأنه ليتجلى لك هذا حين تتبع كلام العرب ، فتجدهم يفرقون في كلامهم بين التعريض والكناية .

١٠ — أغراض الكناية وبلاغتها :

تستعمل الكناية لتحقيق الأغراض الآتية :

١ — تأكيد المعنى بتصويره تصويرا واضحا مصحوبا بما يؤيده ؛ وذلك كالكناية عن الندم بعض الأنامل وعن الحزن بتقطيب الجبين .

٢ — تهجين الشيء والتنفير منه ، كما في قوله تعالى في التنفير من البخل وتهجينه « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك » .

٣ — تحسين المعنى وتجميله مع اخفاء الأمر على المخاطبين ، كقولك في رجل لا يجيد الشعر « هو نبي الشعر » تكنى به عن عدم اجادته للشعر لقول الله تعالى في نبيه « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » .

٤ — التعبير عن الشيء بلفظ جميل بدل اللفظ المستهجن الموضوع له كالكناية عن الصمم بثقل السمع وعن العمى باستمرار لبس النظارة .

السر في بلاغة الكناية :

١ — الكناية تأدية المعنى بذكر لازم من لوازمه واللازم يستدعي وجود الملزوم حتما ، ففي أسلوب الكناية تؤدي المعنى مصحوبا بدليله ، وذلك أوقع في النفس ، وآكد لاثباته ، وهذا هو سر بلاغة الكناية ، مثل قولك في رجل « المجد بين ثوبيه » ، وقول الشاعر :

فمساهم وبسطهم حرير   وصبحهم وبسطهم تراب

في الشطر الأول كناية عن العز والغنى وفي الشطر الثاني كناية عن الذل والفقر .

٢ — والكناية يؤتى بها لتحقيق الأغراض السابقة ، وكلما كانت الكناية أكثر تحقيقا للغرض الذي سيقت له كانت أكثر بلاغة وجمالا .

اختلاف الأذواق فى تقدير الكناية باختلاف الزمن والبيئة :

(أ) تختلف الكناية باختلاف الزمن :

فقد كان العربى يمدح المرأة فيكنى عن ترفها بقوله : (هى نئوم الضحى) ، ونحن الآن نعد ذلك مظهر الكسل والخمول .

والكناية : هو كثير الرماد كناية عن الكرم ، كانت لها بلاغتها فى العصور القديمة . أما الآن فلا نكاد نشعر لها بجمال ، لأن الذوق يختلف فى تقدير الكناية باختلاف العصور . شأنه فى ذلك شأنه فى التشبيه والاستعارة .

(ب) وتختلف الكناية باختلاف البيئة :

يكنى العربى فى الصحراء عن الاقامة فيقول : ألقى عصا التسيار .
ويكنى عن المجد فيقول : جبان الكلب ومهزول الفصيل .

قال شاعرهم :

ومـا يـك فىّ من عيـب فانى ... جبان الكلب مهزول الفصـيل

أما نحن فنكنى عن الثراء مثلا بقولنا : فلان يقتنى السيارات الفاخرة ، أو هو معروف الاسم فى المصارف .

توليد الصور البيانية :

١ — الأديب الفذ يولد دائما صور البيان مما يرى ويلاحظ من أشياء ومناظر واختراعات .

(أ) فيقول فى التشاؤم : يرى الأمور بمنظار أسود .

(ب) ويقول فى الرجل الطموح : هو حلق فى أفق من الآمال والمجد والعبقرية .

(ج) وقال أبو تمام يستدل على أنه ليس بعيب أن يكون كريما مع فقره بما يراه كل الناس من عدم استقرار المطر على رؤوس الجبال •

لا تنكروا عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالى

(د) ويصور الله عز وجل الحق فى بقائه والباطل فى تلاشيه بما يراه الناس فى كل وقت من رسوب الأجسام الكثيفة فى الماء وتأرجح الأجسام الخفيفة فوق سطح الماء :

فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض •

٢ — وبعض الصور المولدة الجديدة قد يعم استعمالها لشهرتها • فيؤدى ذلك لابتذالها وضياع كثير من بهجة جدتها وطرافتها وجمالها كما نرى من تشبيه الوجه الجميل بالقمر أو الشمس ، وكتشبيه الشجاع بالأسد ، والكريم بالبحر •

٣ — وقد يتناول البليغ الأديب هذه الصور المألوفة • فيتصرف فيها تصرفا ساحرا يجعلها كأنها جديدة طريفة • وذلك كقول المتنبى :

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدى الى عينيك نورا ثاقبا
كالبحر يقذف للقريب جواهرا ... جودا ويبعث للبعيد سحائبا
كالشمس فى كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وكقول البحترى :

دنوت تواضعا وعلوت مجدا ... فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى ... ويدنو الضوء منها والشعاع

تشبيه الرجل بالشمس فى الرفعة مبتذل • ولكن البحترى جعل الممدوح قريبا بتواضعه بعيدا بمجده كالشمس قريبة بشعاعها وضوئها بعيدة بمكانها وجرمها •

تجدد صور البيان :

١ — صور البيان فى تجدد دائم تختصر أساليب قديمة مبتذلة • وتحل محلها أساليب جديدة طريفة •

٢ — والصور التى تضيع قيمتها البلاغية انما يحدث ذلك لهـا بسبب تغير مناظر البيئة وعادات العصور والفها ••• والصور الجديدة تتولد من مشاهد البيئة والزمن والحضارة ومناظرها •

فقد كان العرب يدلون على الكرم بكثرة الرماد وجبن الكلب • وقد أصبحنا لا نستجيد هذه الصور البدائية • كما ضربوا المثل فى الذله بالوتد فقالوا : هو أذل من وتد • ولا نباهة لهذا المثل عندنا • وكانوا يقولون : زأر زئير الأسد • ونحن الآن نقول: زأر زئير المدفع والقنبلة• وكانوا يقولون : هو فى عدوه كالفرس والظبى ونحن نقول : يطـير ويطوى الأرض كالطيارة •

٣ — ورغم ذلك فصور البيان القديمة من تشبيه ومجاز وكناية لا تزال كثيرة جدا ، أما صور البيان الجـديدة فلا تزال قليلة نادرة رغم أنا نعيش فى عصر الكهرباء والطيران والمذياع والبخار والذرة •

٤ — ومن الواجب أن نستمد مما يحيط بنا من مناظر الحضارة ومستحدثاتها الكثير من صور البيان وألوانه من التشبيهات والكنايات والاستعارات ، كما فعل حافظ ابراهيم حين قال •

كأن فؤادى ابرة قـد تمغطست   بحبك أنى حرفت عنـك تعطف

٥ — واحداث الصور البيانية الجـديدة يزيد فى ثروتنا الأدبية واللغوية ، ويجعل اللغة سـهلة القياد ويدل على مدى نشاطنا الفكرى والأدبى ، فنلون صور التشبيه والاستعارة والكناية بألوان حضارتنا وحياتنا وبيئتنا وعصرنا الحاضر •

تراكم صـــور البيان :

١ ــ قال الشـــاعر :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس ، وسقت   وردا ، وعضت على العناب بالبرد

استعار اللؤلؤ للدموع ، والنرجس للعيون ، والورد للخدود ، والعناب للأنامل والبرد للاسنان فى بيت واحد فكثرت الاســـتعارات وكانت كثرتها وتراكمها ســـببا فى ضـــعف قوة الأسلوب وضعف المعنى وعدم وضوحه .

٢ ــ وقال آخر :

بدت قمــرا ، ومالت خـــوط بان   وفاحت عنبرا ، ورنت غزالا

شـــبه طلعتها بالقمر ، وقامتها بالغصن ، ورائحتها بالعنبـــر ، وعيونها بعيون الغزال فى بيت واحد ، فكان الأسلوب ضعيف التصوير قليل التأثير . ومن هـــذا نرى كيف أن تراكم صور البيان وكثرتها يضعف روعة الأسلوب وقوة المعنى ، والخلاصة أنه :

١ ــ قـــد تكثر صور التشبيه أو الكناية فى الكلام فتكون سببا فى ضعف قيمته البيانية وقلة تأثيره فى النفوس وتصويره المعنى .

٢ ــ والأديب البليغ هو الذى يســـتعمل ألوان الاســـتعارات والتشبيهات والكنايات بقـــدر ، ووفق ارشاد ذوقه وطبعه . ليكون الكلام أبلغ وأتم تصويرا للمعنى .

٣ ــ ومهما كان فيجب ألا يقصـــد الأديب الناشىء إلى استعمال التشبيهات والكنايات والاستعارات لذاتها ونفسها ولا لتجميل الكلام وتزيينه ، ولكن يجب أن يفهم أنها وسائل لتوضيح المعانى وتصويره تصويرا جميلا قويا مؤثرا .

ملحق للجزء الخامس من شرح الايضاح :

سر الفصـــاحة

دراسة وتحليل للكتاب وأثره فى دراسات البلاغة

— ١ —

سر الفصاحة كتاب جليل ، عظيم الخطر ، كبير الأثر فى بحوث النقـــد والبلاغة ، مشهور بين العلماء ، مشهود له بالأهمية والابتكار والخـــلق •

مؤلفه علم من أعلام النقـــد والبلاغة فى القرن الخامس الهجرى ، هو ابن ســـنان الخفاجى ٤٢٢ — ٤٦٦ هـ •

— ٢ —

و « سر الفصاحة » بحث مفصل فى أسرار الفصاحة والبلاغة •
تكلم فيـــه الخفاجى على اللغة ثم على الحروف ثم على الألفاظ المفردة وصفاتها وأسباب الفصاحة فيها ثم على الألفاظ المؤلفة وأسرار فصاحتها ثم على المعانى المفردة وما يجب أن تكون عليه فى التـــأليف ليكون الكلام موائما للعقل والتفكير •

بدأه الخفاجى بمقـــدمة أبان فيها أن الغرض من كتابه معرفة حقيقة الفصاحة وسرها لـــا للبلاغة والفصاحة ومعرفتها من تأثير بعيد فى العلوم الأدبيـــة ولأنهما اللذان يكشفان عن سر الاعجاز فى الذكر الحكيم •

لذلك بدأ بحثه فى الكلام على الصوت وتحـــديد معناه وخصائصه وأنه يخرج مستطيلا ساذجا حتى يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيـــه عن امتداده فيسمى المقطع أينما وجد حرفا •

ثم تكلم على الحروف ومعناها وأن عدد الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا وأن المبرد يجعلها ثمانية وعشرين لأنه لا يعتد بالهمزة ، وأن هذه الحروف يحسن استعمال بعضها فى الكلام الفصيح ولا يحسن استعمال البعض الآخر ، وأبان مقاطع الحروف وصفاتها .

ثم حدد معنى الكلام وأنه ما انتظم من حرفين فصاعدا من الحروف المعقولة اذا وقع ممن تصح منه الافادة ، ذاهبا الى أنه يشمل المفيد وغيره ، مخالفا لمن رأى قصره على المفيد ، وأبان فساد رأى الجبائى من أن جنس الكلام يخالف جنس الصوت كما أبان فساد رأى المجبرة التى تزعم أن الكلام معنى فى النفس ، ثم ذكر أقسام الكلام ، وان المفيد من الكلام منه حقيقة ومجاز ، وأنه كله يرجع الى معنى الخبر ، كما أبان ان المتكلم من وقع منه الكلام قصدا ، وأن الحكاية هى المحكى عند قوم ، فالتالى للقرآن يسمع منه كلام الله على الحقيقة ، وهى غير المحكى عند قوم آخرين وان كانت مثله . وانتصر لهذا الرأى .

ثم ذكر اللغة ومعناها وأصلها أمواضعة أم توقيف وانتصر للرأى القائل ان أساس اللغة مواضعة واصطلاح ، وأن العقلاء استعانوا على هذه المواضعة بالحروف لسهولتها وتكلم على فضل اللغة العربية ومميزاتها وخصائصها ، وذكر أقسام تأليف الحروف وأن منه ما هو تأليف الحروف المتباعدة مخرجا وهو الأحسن ومنه ما هو تأليف من الحروف المتقاربة وهو قليل أو منبوذ .

ثم تكلم على الفصاحة وانها مقصورة على الألفاظ بعكس البلاغة فهى وصف للألفاظ مع المعانى وأبان عن شرف الفصاحة وأنها صفة للألفاظ متى ما استكملت عناصر عدة ، وأنه متى تكاملت تلك العناصر فلا مزيد على فصاحة الألفاظ ، وبحسب الموجود منها تأخذ نصيبها

من الوصف ، وبوجود أضدادها تستحق الذم بأنها غير فصيحة ، وذكر أن تلك العناصر والشروط قسمان :

١ — ما يوجد فى اللفظة الواحدة على انفرادها .

٢ — وما يوجد فى الألفاظ المنظومة .

أ — فاما ما يجب أن يوجد فى اللفظة المفردة فثمانية عناصر :

١ — أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج .

٢ — أن يكون لتأليفها فى السمع حسن ومزية على غيرها

٣ — أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية ، ونقد هنا رأى من مدح المعرى بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء .

٤ — أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية .

٥ — أن تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح .

٦ — أن لا تكون قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره .

٧ — أن تكون الكلمة غير كثيرة الحروف .

٨ — أن تكون مصغرة فى موضع عبر بها فيه عن شىء لطيف أو خفى .

ب — وأما عناصر الفصاحة فى الألفاظ المؤلفة :

أ — فمنها ما تشترك فيه الألفاظ المفردة وهى (١) :

١ — اجتناب تكرار الحروف المتقاربة فى تأليف الكلام ويرى

---

(١) وقبل أن يذكر الخفاجى ذلك يوضح أن تأليف الكلام صناعة موضوعها هو الكلام مخالفا لقدامة الذى ذهب الى أن موضوعها المعانى،

ابن سنان أن التأليف على ضربين فقط : متلائم ومتنافر ، والمتـلائم درجات ولا فرق بين القرآن وغيره فى ذلك ، وأبان أن وجه الاعجاز هو صرف الله العرب عن الاتيان بمثـله وناقش رأى الرمانى الذى ذهب فيه الى أن تباعد الحروف فى المخرج تباعدا شديدا مدعاة للتنافر كتقارب الحروف ، وذهب الخفاجى الى الثانى فقط .

٢ — أن يكون التأليف جاريا على العرف العربى الصحيح .

٣ — أن لا يكون التأليف قـد عبر به عن أمر آخر يكره ذكره .

ب — ومنها ما يختص به التأليف بما يرجع الى الألفاظ بانفرادها أو اشتراكها مع المعانى .

فمن أصول حسن التأليف :

أ — وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازا :

١ — بأن لا يكون فى الكلام تأخـير وتقـديم يفسـد المعنى أو الاعراب .

٢ — وبأن لا يكون الكلام مقلوبا فيفسد المعنى .

٣ — ومن وضع الألفاظ موضعها حسن الاستعارة ، وهنا يشرح الاستعارة ويذكر خصائصها والفرق بينها وبين التشبيه وينقـد رأى الرمانى الذى جعل من الفروق بينهمـا عدم ذكر أداة التشـبيه فى الاستعارة ، وذكرها فى التشبيه ، ثم ذكر أثر الاستعارة فى الفصاحة ، وأقسامها ، وأنها قليلة فى شعر المتقدمين كثيرة فى شعر المحدثين وخاصة أبا تمام .

= وان الفصاحة عبارة عن حسن التاليف فى الموضوع المختار ، ولذلك بدأ يتكلم على التاليف ووجوده حسنه او قبحه ليبين امر الفصاحة .

٤ — ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا تكون الكلمة حشوا وهنا يتحدث عن الحشو والغرض المنشود منه وما عيب منه وما استحسن ، وأدخل فى الحشو الايغال ، وكلام الخفاجى فى الحشو له صلة وثيقة برأى قدامة فيه •

٥ — ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون فيها معاظلة وهنا يتحدث عن المعاظلة والفرق بينها وبين مشاكلة النظم بعضه لبعض ودلالة البيت على قافيته (مما يسمى تسهيما أو توشيحا) • والخفاجى فى هذا متأثر بقدامة والآمدى جد التأثر •

٦ — ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا يعبر عن المدح بألفاظ الذم ولا العكس •

٧ — ومنه حسن الكناية فى الحال الذى يستدعى عدم التصريح•

٨ — وعدم استعمال الألفاظ العلمية والاصطلاحية ، وهو هنا متأثر برأى الجاحظ فى ذلك •

ب — ومن شروط الفصاحة المناسبة بين الألفاظ : من طريق الصيغة ، أو من طريق المعنى :

فأما المناسبة بينها من طريق الصيغة فأثرها فى الفصاحة ظاهرة ، ومن هذه المناسبة :

١ — السجع والازدواج وهنا يذكر الخفاجى مذاهب العلماء فى قبول السجع والازدواج وفى كراهتها ويستحسن السجع المطبوع ، وهو هنا متأثر بالجاحظ وبنقد النثر ، وينقل هنا كلمة بشر بن المعتمر — التى ذكرها الجاحظ فى البيان — فى قلق الألفاظ فى مكانها ، ثم يبين معنى السجع وأقسامه ، وينقد الرمانى فيما رآه من ذم السجع وفصاحة الفواصل ، ويتكلم عن منهج القرآن فى أسلوبه وأنه لم يكن كله مسجوعا

لأن ذلك من أمارات التكلف والاستكراه ، كما أنه لم يخل من السجع لأن السجع من صفات الفصاحة ، ويذكر الكتاب المحدثين الذين أكثروا من السجع والذين أقلوا منه والذين كانوا بين هؤلاء وهؤلاء كما ذكر أن جعل الرسالة كلها مسجوعة قبيح .

٢ — القوافى فى الشعر ويذكر الخفاجى انها تجرى مجرى السجع وأن المختار منها ما كان متمكنا يدل الكلام عليه ، وان الحطيئة وحسان التزما فى بعض قصائدهما ما لا يلتزم فى القافية ، وكذلك كثير وابن الرومى والمعرى ويتكلم عن شروط حسن القافية ويلم بكثير من عيوبها .

٣ — التصريع ويفيض فى الكلام فيه .

٤ — الترصيع وهو أن تكون الجمل التى يشتمل عليها البيت أو الفصل المنثور مسجوعة ، ويستحسن الخفاجى من ذلك ما قل دون ما كثر . وهو فى ذلك محتذ حذو قدامة فى نقد الشعر وان كان يخالفه فيه فان قدامة يستحسن الكثير منه والخفاجى يستحسن القليل دون الكثير .

٥ — اللف والنشر المرتب .

٦ — عدم كثرة الزحاف فى الشعر ، وتساوى الفصول أو أن يكون الفصل الثانى أطول من الأول دون العكس فى النثر .

٧ — التجانس وهنا يفيض الخفاجى فى الكلام عليه وفى تحديد معناه وذكر أقسامه وفى استحسان القليل الغير المتكلف منه ، والخفاجى متأثر فيما كتبه عن الجناس بقدامة والآمدى .

وأما المناسبة بين الألفاظ من طريق المعنى فعلى وجهين :

١ — تقارب معنى اللفظين .

٢ — تضاد معنيهما أو تقارب المعنى من التضاد . وهذا هو

المطابقة عنـد العلماء ويسميها قدامة تكافؤا وأنكر عليه ذلك الآمدى والأخفش ، وأبان الخفاجى أن علماء الشعر يسمون ما كان قريبا من التضاد «المخالف» ، ثم يذكر الخفاجى أقسام الطباق واسم كل قسم عنـد العلماء ويختار تسمية الجميع بالمطابق ، ثم يذكر حقيقة الطباق وما يستحسن منه ومثلا لجيـده ورديئه ، ويجعل التقديم والتأخير فى الأسلوب مما يجرى مجرى الطباق •

جـ ـ ومن شروط الفصاحة والبلاغة : الايجاز ، وهنا يذكر مقام الايجاز ومقام الاطناب ، متأثرا فى ذلك بنقـد النثر ، ومناقشا لمن يجعل الاطناب بلاغة ، ويشترط فى الايجاز وضوح المعنى وعدم خفائه والا كان قبيحا مذموما ، ويتبع هـذا بالكلام على المساواة والتذييل والاشارة والمقام الذى يستوجب كل واحد منها ، ويؤثر منها الايجاز ويذكر رأى علماء الأدب فيـه ، ويوضح أقسـامه ، ويناقش تعريفه الرمانى للايجاز ، ويشرح معنى الاطناب والتطويل والمساواة والتذييل والحشو الى آخر هـذه البحوث القيمة •

د ـ ومن شروط الفصاحة والبلاغة الوضوح فى الأسلوب شعرا أو نثرا ، وهنا ينقـد رأى الصابى الذى ذهب الى استحسان الوضوح فى النثر دون الشعر ، ويشرح الخفاجى أسباب غموض الكلام ، ويؤكد أن سر الاعجاز هو صرف الله تعالى النـاس عن معارضـته ، ويمثل الكلام الواضح والمغلق ، ويذكر وصـية بشر بن المعتمر التى ذكرها الجاحظ من قبل والتى توصى بعدم التوعر ، كما يذكر كلمة للجاحظ فى ذلك •

هـ ـ ومن أوصاف الفصاحة والبلاغة الكناية التى تكلم عليهـا الخفاجى متأثرا فى ذلك بقـدامة فى نقد الشعر •

و ـ ومنها التمثيـل •

جـ — وأما أسباب الفصاحة في المعاني التي تستعمل في صناعة تأليف الكلام فهي :

١ — صحة التقسيم .

٢ — تجنب الاستحالة والتناقض .

٣ — ألا يضع الجائز موضع الممتنع .

٤ — صحة التشبيه .

٥ — صحة الأوصاف في الأغراض .

٦ — صحة المقابلة في المعاني .

٧ — صحة النسق والنظم وحسن التخلص .

٨ — صحة التفسير .

٩ — وأما المبالغة والغلو في المعنى — فنقاد الأدب مختلفون فيهما : مدحا وذما ... والخفاجي يستحسن الغلو مع استعمال ما يقربه الى الصحة .

١٠ — الاستدلال بالتمثيل .

١١ — الاستدلال بالتعليل .

والخفاجي في هذا الباب كله متأثر بخطى قدامة في نقد الشعر الى حد بعيد .

وبعد ذلك كله يذكر الخفاجي الآراء الفاسدة في نقد الشعر وفي نقد الكلام :

١ — فيخطىء من يفضل أشعار المتقدمين على شعر المحدثين ، ويناقش هذا الرأى في تفصيل وقوة .

٢ — ويبين أن مذهب النقاد والمنهج في نقد الشعر هو ما قدمه

من نعوت الألفاظ والمعانى ، دون التفات الى تقدم الزمن أو تأخره فذلك لا تأثير له ، وهذا مذهب الجاحظ والمبرد والمعرى •

٣ — ويبين أن المعنى الفاحش (من الهجو ووصف الخمر وسواهما) لا يعيب الشعر — كما ذهب اليه بعض النقاد — ما دام تأليفه جميلا •

٤ — ويبين المناهج الخاطئة لبعض النقاد فى النقد . من اختيار ما يوافق ذوق طبع الناقد وحده ، ومن ايثار الوحشى دون المشهور ، ومن عكس ذلك ، ومن استحسن الشعر لأجله قائله •

وأخيرا يتكلم الخفاجى على النثر والشعر ومكانة كل منهما •

ويذكر ما يحتاج اليه البليغ من العلوم اللغوية والأدبية وسواها •

وكل هذه البحوث يذكرها الخفاجى فى افاضة وجمال شرح وقوة حجة وعفة مناقشة وطهارة نقد وسداد غرض وصواب غاية وأعدل منهج •

— ٤ —

فهذا الكتاب اذا بحث مفصل فى أسرار الفصاحة والبلاغة وأوصافهما فى اللفظ وفى النظم وفى المعنى •

وهو فى ذلك كله وبما فيه من كثير من الآراء الحافلة فى الأدب والنقد والبيان ذو أثر كبير خالد على الثقافة الأدبية والبيانية ، وقد نوه ابن الأثير م ٦٣٧ هـ فى أول مثله السائر بالكتاب وبمؤلفه وأشاد به أعظم اشادة وتأثر به فى بحوث كتابه المثل السائر ، ونقد بعض آرائه فى بعض الأحايين ، وكتب البلاغة المؤلفة فى العصور

الأخيرة وخاصة الايضاح للخطيب م ٧٣٩ هـ قـد تأثرت بسر الفصاحة وآرائه الى حـد بعيـد ، فهو المصـدر الأول للبلاغيين كما هو أهم مصـدر من مصادر الأدب والنقـد .

— ٥ —

ومع ذلك كله فيمكننا أن نقول ان مصادر ابن سنان الأولى التى اعتمد عليها فى تأليف كتابه الحافل هى :

١ — البيان والتبيين للجاحظ م ٢٥٥ حيث احتذى حذوه فى كثير من الآراء البيانية والأدبية التى تضمنها الكتاب .

٢ — الشعر والشعراء لابن قتيبة م ٢٧٦ حيث اعتمد على مقدمته اعتمادا كبيرا .

٣ — نقـد الشعر لقدامة بن جعفر م ٣٣٧ وقد وضعه الخفاجى موضع العناية حين ألف كتابه وسار على نهجه فى التأليف واحتذى حذو مؤلفه فى كثير من الآراء .

٤ — نقـد النثر حيث اعتمد عليه فى بعض فصول الكتاب وخاصة حينما كتب على مقامات الايجاز والاطناب .

٥ — الموازنة للآمدى م ٣٧٢ فقـد اعتمد عليها الخفاجى اعتمادا كبيرا وحفل بآرائها ونقـد الكثير منها ناهجا فى ذلك منهج المرتضى فى نقـده للآمدى فى كتابه « الشيب والشباب » .

٦ — الوساطة للجرجانى م ٣٩٢ فقـد ركن اليها فى بعض الآراء ونقل عنها الكثير من مباحث الاستعارة ونقـدها .

٧ — كتاب الرمانى م ٣٨٤ فى البلاغة فقـد أخـذ منه الخفاجى بعض آرائه ونقـد ما هو فى حاجة الى النقـد .

٨ — اعجاز القرآن للباقلانى م ٤٠٦ فهو كذلك يظهر أثره فى سر الفصاحة وخاصة فى مباحث السجع والفواصل فى القرآن •

ومع ذلك كله فشخصية الخفاجى قوية جـدا فى كتابه بنقـده لـما يستحق النقد من هذه الآراء وبحسن عرضه وجمال تنسيقه وقوة حجته وحسن ذوقه فى النقـد والتحليل •

— ٦ —

وابن سنان كما يبـدو من كتابه رجل ذو ثقـافة واسعة درس كتب الأدب والنقـد واللغـة وكانت من خصائص ومميزات ثقافته هذه الناحية الكلامية التى مهر فيها ، وأسلوبه فى الجـدل أسلوب قوى من أساليب المتكلمين وهو ينتصر لهم حتى يرى كلامهم دون ما — وراء هو الحجة الدامغة •

وهو فوق ذلك كله منصف فى حكمه معتدل فى نقـده يعتمد على الحجة والدليل قبل كل شىء ويختبر كل شىء بميزان العقـل والتفكير ويرتب كل شىء على أساس حكم العقل واستنتاجه •

— ٧ —

ومع ذلك كله فاننا نأخذ على ابن سنان الخفاجى بعض المـآخذ :
١ — فقد عاب قول ابى تمام :

يضحكن من أسف الشباب المدبر ••• وزعم أن المدبر مثل الأدبار وهذا لا أراه الا نتيجة التفكير البعيد الذى امتاز به ابن سنان والذى لا يصل الجمهور ولا يقبله ذوقهم •

٢ — ونقده ابن الأثير فى عيبه للكلمات الطويلة مثل المستنشدين

٣ — كما نقده فى جعل الاستعارة المبنية على غيرها قبيحة •

واقول ان ذلك مذهب أرسطو فى « الخطابة » احتذى حذوه ، قدامة فى كتابه نقد الشعر ، ثم احتذى حذوهما الخفاجى فى هذا الكتاب ، وقد شرحت ذلك شرحا وافيا فى كلمة نشرتها عن الموازنة •

— ٨ —

وبعد فقد عاصر الخفاجى ٤٦٦ شيخ البلاغة والبيان عبد القاهر الجرجانى م ٤٧١ هـ كما عاصر ابن رشـيق صاحب العمـدة المتوفى سنة ٤٥٦ •

ويغلب على ظنى أن بعد مواطن هذه الشخصيات الفذة عن بعض كان سببا فى عدم تأثر كل شخصية منها بالأخرى فى تفكيرها فى النقد وأحكام البلاغة •

فعبد القاهر عاش فى جرجان والخفاجى فى حلب وابن رشيق فى القيروان ، وألف الأول اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز من حيث ألف الثانى كتابه سر الفصاحة ، ومن حيث ألف الثالث العمدة فى صناعة الشعر ونقـده •

فأما الصلة الباقية بين ابن رشيق وابن سنان فمصدرها اعتماد الرجلين فى تأليفها على مصدر واحد له أهميته وهو نقد الشعر ، فكان كتاب العمدة وكان كتاب سر الفصاحة تجديدا يسير حول منهج قدامة فى النقد وفى التأليف •

ولكن لا تتجلى صلة واضحة بين الخفاجى والجرجانى ولا يظهر أى أثر للشبه أو التأثر بين الرجلين اللهم الا فى مواضع قليلة :

فقد ذكر ابن سنان — كما ذكر عبد القاهر — شبهة الذين زعموا أن الحكاية هى المحكى ، ودليلهم عليها أن الحكاية لو كانت غير المحكى بل مثله لكان من قرأ القرآن آتيا بمثله على الحقيقة ، وأجاب الخفاجى

عن هذه الشبهة كما أجاب عبد القاهر فى دلائله بأن التحدى انما وقع بفعل مثل القرآن على الابتداء دون الاحتذاء والتالى للقرآن قد أتى بمثله محتذيا فلا يكون بذلك معارضا وعلى هذا أيضا كان يقع التحدى بين العرب بالشعر على سبيل الابتداء (سر الفصاحة والدلائل ص ٢٧٠) .

ترجمة فوات الوفيات لابن سنان

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، أبو محمد الخفاجي الشاعر الأديب ، كان يرى رأي الشيعة ، وكان قد عصى بقلعة عزاز من أعمال حلب*، وكان بينه وبين أبي نصر محمد بن الحسن بن النحاس الوزير لمحمود بن صالح مودة مؤكدة ، فأمر محمود أبا نصر بن النحاس ان يكتب الى الخفاجي كتابا يستعطفه ويؤنسه ، وقال لا يأمن الا اليك ، ولا يثق الا بك ، فكتب اليه كتابا ، فلما فرغ منه وكتب ان شاء اللـــه تعالى شدد النون من ان ، فلما قرأة الخفاجي خرج من عزاز قاصدا حلب ، فلما كان في الطريق أعاد النظر في الكتاب فلما رأى التشـــديد على النون أمسك رأس فرسه ، وفكر في نفســه ، وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عبثا ، فلاح له أنه أراد « ان المــلا يأتمرون بك ليقتلوك »، فعاد الى عزاز ، وكتب الجواب : أنا الخادم المعترف بانعام ، وكسر الألف من أنا ومدد النون وفتحها ، فلما وقف أبو نصر على ذلك سر وعلم أنه قصد به « انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها » وكتب الجواب يستصوب رأيه ، فكتب اليه الخفاجي :

خف من أمنت ولا تركن الى أحد ... فما نصحتك الا بعــد تجريب
ان كانت الترك فيهم غير وافيـــة ... فما تزيد على غدر الأعاريب
تمسكوا بوصــايا اللــؤم بينهم ... وكاد أن يدرسوها في المحــاريب

واستدعى محمود أبا نصر بن النحاس ، وقال : أنت أشرت على بتولية الخفاجي ، وما أعرفه الا منك ، ومتى لم يفرغ بالي منه قتلتك، وألحقت بك جميع من بينك وبينه صلة وحرمة ، فقال له :

مرني بأمر أمتثله ، قال : تمضي اليه وفي صحبتك ثلاثون فارسا ، فاذا قاربته عرفه بحضورك « فانه يلقيك ، فاذا حضر ســألك النزول

عنده والأكل معه ، فامتنع ؟ وقل له : انى حلفتك أن لا تأكل زاده ، ولا تحضر مجلسه حتى يطيعك فى الحضور عندى ، وطاوله فى الحديث، وأخرج هذه الخشكانجتين فكل أنت هذه ، وأطعمه هذه ، فاذا استوفى أكلها عجل الحضور الى ، فان منيته فيها ، ففعل ما أمره به ، ولما أكلها الخفاجى رجع أبو نصر الى حلب ورجع الخفاجى الى عزاز ، ولما استقر بها وجد مغصا شديدا ، ورعدة شديدة ، فقال : قتلنى والله أخى أبو نصر ، ثم أمر بالركوب خلفه ورده ، ففاتهم ، ووصل الى حلب وصبح من الغد محمود ، فجاءه من عزاز (١) من أخبره أن الخفاجى فى الرمق الأخير ، ومات •

وكانت وفاته فى سنة ٤٦٦ هـ وحمل الى حلب (٢) •

ويلى ذلك عدة مختارات صغيرة من شعره •

(٢٩٧ — ٣٠٠/١ فوات الوفيات لابن شاكر ط ١٣٨٣ هـ) •

---

(١) بلدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب ، بينهما يوم • وهى طيبة الهواء عذبة الماء ، صحيحة لا يوجد فيها عقرب وليس بها شىء من الهوام (٦/١٦٧ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦) •

(٢) جاء فى معجم البلدان لياقوت عند ذكر حلب من رسالة لابن بطلان كتبها سنة ٤٤٠ هـ ما نصه : وفيها حدث يعرف بابى محمد بن سنان قد ناهز العشرين ، وعلا فى الشعر طبقة المحنكين ، فمن قوله :

اذا هجرتكم لم اخش صولتكم ... واذ مدحت فكيف السرى باللهب

فحين لم الق لا خوفا ولا طمعا ... رغبت فى الهجو اشفاقا من الكذب

(٣١٣ جـ ٣ معجم البلدان لياقوت ط ١٩٠٦ م) •

بحث فى المجـــاز (١)

وهل هو مبنى على تقدير مضاف أو على المبالغة ؟

١ ـــ الحديث عن المجاز وحقيقته مشهور معروف . فالتعبير فى شتى اللغات يجرى على احدى طريقتين : اما على أسلوب الحقيقـــة الذى تجد فيه الألفاظ والكلمات مستعملة فيما وضعت له ؛ والجمـــل موضوعة على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه فى العقل وواقع موقعه عاريا عن التأول لابسا ثوب الاسناد المألوف والمعروف (٢) ؛ وأما على أسلوب المجاز لذى نجد فيه الكلمات قد أريد بها غير ما أرادته اللغة وجرى عليه الوضع المألوف ، لمعنى سوغ هذه الارادة ، وارتباط بين ما تجوز بها اليه وبين أصلها الوضعى الذى اقترن اسمها بالدلالة عليه، أو نجد فيه الجمل وقد أخرج الحكم المفاد بها عن موضوعه فى العقل وطريقته فى المألوف من الاسناد لضرب من التأويل والتقدير (٣) •

٢ ـــ والمجاز فى الكلمة المفردة لغوى ، وفى الجملة من الكلام عقلى، اذ طريق التجوز فى الأول هو اللغـــة والوضـــع ، وفى الثانى المعنى والمعقول (٤) •

والمجاز ـــ لغويا أو عقليا ـــ يقع على وجه لا يعرى من ملاحظة أصله فى الوضع أو الاسناد ، فلا يكون مجازا حتى يكون هناك سبب بين معنى اللفظ المجازى وبين أصله الذى نجعله حقيقة فيـــه أو بين أصل الاسناد وما خرج اليه وتجوز به عنه (٥) •

---

(١) للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى •

(٢) راجع تعريف الحقيقة اللغوية ص ٣٠٢ اسرار البلاغة ، وحد الحقيقة العقلية ص ٣٣١ الاسرار •

(٣) راجع تعريف المجاز اللغوى ص ٣٠٤ الاسرار •

(٤) ٣٥٥ الاسرار •

(٥) ٣٤٣ و ٣٠٤ الاسرار •

والأسباب الكائنة بين المنقول والمنقول عنه — في المجاز اللغوى — تختلف في القوة والضعف والظهور وخلافه ؛ فنقول . رأيت أسدا نريد رجلا شجاعا شبيها بالأسد ، فلا يشتبه علينا الأمر في حاجة الثاني الى الاول ؛ اذ لا يتصور أن يقع الاسد للرجل على هذا المعنى الذى أردنا على التشبيه على حد المبالغة وايهام أن معنى من الأسد حصل فيه الا بعد أن يجعل كونه اسما للسبع ازاء العين ؛ فهذا اسناد نعلمه ضرورة ، ولو حاول محاول دفعه عن وهمك حاول محالا ؛ فمتى عقل فرع من غير أصل ومشبه من غير مشبه به ؟ وكل ما طريقه التشبيه فهذا سبيله ؛ وهو حرى بلقب الاستعارة ، وأما ما عدا ذلك فلا يتوى استناده هذه القوة حتى لو حاول محاول ان ينكره امكنه في ظاهر الحال كاليد للنعمة ، لو تكلف متكلف فزعم أنه وضع مستأنف أو في حكم لغة مفردة لم يمكن دفعه الا برفق وباعتبار خفى ، وهذا وأشباهه يأخذ اسم المجاز المرسل (٦) .

فالخلاصة أن المجاز عقلى ولغوى ، واللغوى استعارة ومرسل ؛ والاستعارة ضروب : تحقيقية ومكنية وتخييلية وافرادية وتمثيلية . هذا هو تحديد البيانيين لأنواع المجاز وشتى ألوانه ، ولكن لن نقنع بذلك التحديد ، ففيه القصور ، وهو بعيد عن أن يشبع حاجة البحث والذوق .

والمجاز حكمي ولغوى ، واللغوى مرسل واستعارة ، والاستعارة يدخل فيها عندى التشبيه البليغ ، والحقيقة اما قياس أو غير قياس ، والقياس تشبيه وتمثيل على غير حد المبالغة ، والتمثيل ألوان عدة ، وهو عندى ينتظم ما كان مثل يد الشمال مما يجعلونه استعارة مكنية ، وما كان مثل أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، وأخذ القوس باريها مما يسمونه استعارة تمثيلية ، وما وضحت فيه صورة التمثيل مثل

---

(٦) ٣٠٤ و ٣٠٥ الاسرار .

مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ، وغير القياس يشمل الأمثلة المنوعة والألوان المتعددة لأساليب الحقيقة ، كما يشمل الكناية بشتى ألوانها مما يذكر فيها التابع والرادف ويراد منه المتبوع والمردوف • ثم الكلام اما تحقيقى وسم بميسم العقل والحق ، واما تخيلى ألبسه الوهم والخيال صورا لا يؤيدها الواقع المحسوس ولا المعقول والاستعارة التخييلية انما هى تخييل وايهام لا استعارة ومجاز ، والتخييل لا يستلزم المجاز ولا الاستعارة (٧) ، فلدينا من صور المجاز الأساليب الآتية :

١ — أسلوب المجاز العقلى •

٢ — أسلوب المجاز المرسل •

٣ — أسلوب الاستعارة المفردة ومنها التشبيه البليغ •

وهذه الأنواع هى التى يشملها بحثنا الآن •

٣ — والذى نريد بحثه هو : هل جاءت ألوان المجاز هذه فى كلام العرب على المبالغة أو على تقدير مضاف محذوف ؟ فأمثال هذه الأساليب : نام ليلى ، وشاعت يدك النبيلة فى الآفاق ، وجاء الأسد ظافرا من ميدان الحرب ، أهى على تقدير محذوف حتى كأن تقدير الكلام ، نمت فى ليلى ، وشاعت آثار يدك النبيلة ، وجاء شبيه الأسد ، أم هى لا تجرى هذا المجرى ولا تسير على ذلك النهج ، بل جىء بها على حد المبالغة ، ليريك المتكلم الليل نائما ، واليد تفيض بالنعم والأسد مقبلا ظافرا •

لا نشك ولا يشك معنا كل ذى ذوق سليم أن ليس الى تقدير محذوف فى شتى ألوان المجاز من سبيل ، وأى بليغ وأية بلاغة أراد

---

(٧) راجع تفصيل ذلك كله فى كتابى « عبد القاهر واثره فى البلاغة ».

وتريد من أسلوب : جاء الأسد ظافرا جاء شبيه الأسد ، ومن أسلوب نام ليلى نمت فى ليلى ، ومن أسلوب ذاعت يدك النبيلة ذاعت نعمة يدك ؟ ثم أى فرق حينئذ بين بلاغة أساليب المجاز هذه وأساليب الحقيقة المجددة ، وأى فضل لاسلوبه على أسلوبها ، ومبنى المجاز بشتى ألوانه على المبالغة فى التصوير أو التشبيه ، وأى مبالغة تبقى حينذاك اذا ما ذهبنا هذا المذهب السطحى فى فهم بلاغة أساليب المجاز ؟ لا يمكننا على أى حال أن نسير فى هذا النهج ولا أن نذهب هذا المذهب ، فانما المجاز مبالغة والمبالغة لا تعرف طريق هذا التأويل ، فانما نريد ويريد كل بليغ اذا قال : نام ليلى أن يصور لك الليل نائما • لتحس من وراء ذلك ما يريد ذوقه من مثل هذا الأسلوب ، واذا قال : برت بعهد الانسانية الكريمة يده النبيلة فانما أراد أن يصور اليد نفسها وقد فاضت بالجود وكريم السخاء فى صورة رائعة تشير الى أنها هى نفسها الجود وانها مطبوعة عليه وأن آثارها لابد أن تنطلق منها انطلاق الخير من الغريزة الكريمة والفطرة الطاهرة الطيبة ، كما تشير الى اليد وقد امتدت بالخير وتصورها فى صورتها الصادقة حين خرجت الى ميدان الفعل والتنفيذ وكأنها مفكر يعمل وانسان يريد ، واذا قال قائل : جاء الأسد الظافر فقد أراد أن يدعى لهذا القائد فى شجاعته معانى الأســد فى قوته • وكل ذلك محال أن يكون على سبيل تقدير محذوف •

ولكن من أين أخذ العقل والفكر أصول هذه الأساليب المجازية ، ومن أين استمدها : أمن طريق الحقيقة أم من طريق التمثيل والادعاء؟ فالأسد الظافر حضر : كيف تناول عقل أجدادنا العرب هذا الأسلوب المجازى ، أذهبوا الى الدعوى والمبالغة فجعلوا القائد الظافر أسدا ، وصار اسم الأسد ، وهو العلم فى الشجاعة ، أولى به من هذا الحيوان المفترس ، وكأن خيالهم حلق فى آفاق الوهم فتخيلوه أسدا ، أم أنهم ذهبوا الى معنى المشابهة والحقيقة والقياس والتقدير فقالوا : زيد شجاع كالأسد ثم قالوا زيد أسد ثم قالوا جاء الأسد ، وهم فى صعودهم فى سلم التدريج البيانى فى الاداء يلاحظون معنى الحقيقة ويجعلون

الأصل الأول — وهو زيد شجاع شبيه بالاسد فى شجاعته — أمامهم ونصب أعينهم فى كل تدرج بيانى تدرجت اليه أساليبهم فى الأداء ؟

أما أنا فأذهب الى أن العقل الأدبى والعربى والبيانى الأول انما استعمل هذه الاساليب الجديدة على سبيل التخييل والوهم والادعاء، لا على طريق الحقيقة الأولى المجـــردة ، ونحن فى استعمالنا لهـــذه الأساليب نسير معهم فى هذه السبل ، ورأيى أن ذلك أسلم من التكلف الذى تعثر فيه بعض البيانيين ، كما أنه آلف للـــذوق وأكثر ملاءمة لمشاعر الانسان الأولى التى تنزع الى التخيلات قبل الحقائق ، وتجد فى تحليق الخيال فى الآفاق سبيلا الى التعبير عما يجيش فى صدرها من عواطف يصعب على الحقيقة كثيرا أو أحيانا التعبير عنها .

أما جمهور البيانيين من أصحاب الذوق البلاغى فيرون عكس ذلك، ويحملون الكلام على أنه فرع أصـــله الحقيقة ، وبناء أسه الواقع ، وأن جميـــع أساليب المجـــاز انما هى على تقدير محـــذوف . ووقف عبد القاهر موقفا وسطا ، فذهب الى أن المجاز من أسلوب التحقيق لا التخييل ، والى أن المجاز على تقدير المبالغة لا على تقدير محذوف فان تقدير المحذوف فى رأيه أصل تنوسى وصار شريعة منسوخه لا ينظر اليهـــا الذوق ولا يعتبرها بليغ ، وأول كلام من ذهب الى أن الكلام على تقدير محذوف بأنهم أرادوا أنه كذلك فى أصله الأول وفى شريعته المنسوخة ، أما الآن وما تفهمه من هذا السحر وذلك البيان فلا .

وعبد القاهر فى انكاره لهذا الرأى الساذج ساحر متذوق لسحر الكلام وبلاغة الاساليب صـــاعد فى ذلك الى الذروة العليا ، ولكنه فى تكلفه رد تأويل من أول أسلوب المجاز على تقدير محذوف الى أصـــل سليم لا يجافى الذوق ولا يعرضهم للنقد متكلف ، محاول لمـــا يجب أن لا نسلك فيه سبيله ، ولم لا نذهب الى خطأ رأى أمثال هؤلاء اللغويين الذين حاولوا أن يقيسـوا اللغة وأساليبها بحدود الاوضاع لا بمقاييس

الذوق والفطرة ؟ ولم لا نسلك سبيل البيانيين الناقدين المتذوقين أسحر الكلام وبلاغة الاساليب كالجاحظ ، وقد رأيناه حين مر بالبيت :

وطفقت سحابة تغشاها   تبكى على عراصها عيناها

حلله وأشار الى ما أملاه ذوقه عليه فقال : « جعل المطر بكاء من السماء على سبيل الاستعارة ، أو نجعل المطر بكاء من السماء الا ونحن قد نهجنا منهج التخييل ، وحدفنا عن سبيل الحقيقة والتقدير المتكلف ؟

هذا رأى فى هذه الناحية الخطيرة فى البيان وحقيقة نشأة أساليبه المجازية .

٤ — ولكن ما هو نص رأى عبد القاهر الذى يحدد فكرته ، ويوضح مذهبه فى ذلك ؟

أقول ان كلام عبد القاهر فى ذلك هو غاية الغايات فى الدقة والذوق والبيان وهو صريح لا لبس فيه ولا التواء ، ويغنينا كل الغنى عن أن نتجشم جمع آراء البيانيين سواء من أولى الذوق اللغوى للرد عليها ونقدها .

(أ) قال عبد القاهر عن المجاز العقلى ونفى أن يكون على تقدير مضاف محذوف وتعرض للاستعارة ، ما نصه :

« واعلم أن ليس الوجه أن يعد هذا على الاطلاق بعد ما حذف منه المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ، مثل قوله : « واسال القرية » ومثل قول النابغة :

وكيف تواصل من أصبحت   خلالته كأبى مرحب

وقول الاعرابى :

حسبت بغام راحلتى عناقا   فما هو ويب غيرك بالعناق

وان كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف ويقولون انه فى تقدير : « فانما هى ذات اقبال وادبار (٨) ، ذاك لأن المضاف المحذوف من الآية والبيتين فى سبيل ما يحذف من اللفظ ويراد من المعنى ، كمثل أن يحذف الخبر أو المبتدأ اذا دل الدليل عليه الى سائر ما اذا حذف كان فى حكم المنطوق به ، وليس الأمر كذلك فى بيت الخنساء ، لأنا اذا جعلنا المعنى فيه الآن كالمعنى اذا نحن قلنا « فانما هى ذات اقبال وادبار » أفسدنا الشعر ، وخرجنا الى شىء مغسول ، والى كلام عاد مرذول ، وكان سبيله سبيل من يزعم مثلا فى بيت المتنبى «بدت قمرا ومالت خوط بان » أنه فى تقدير محذوف ، وأن معناه الآن كالمعنى اذا قلت بدت مثل قمر ومثل خوط بان ، فى أنا نخرج الى الغثاثة ، والى شىء يعزل البلاغة عن سلطانها ، ويسد باب المعرفة بها وبلطائفها علينا ، فالوجه أن يكون تقدير المضاف فى هذا على معنى أنه لو كان الكلام قد جىء به على ظاهره ، ولم يقصد الى الذى ذكرنا من المبالغة والاتساع وأن تجعل الناقة كأنها صارت بجملتها اقبالا وادبارا حتى كأنها تجسمت منهما ، لكان حقه حينئذ أن يجاء فيه بلفظ الذات ، فيقال :« انما هى ذات اقبال وادبار » . فأما أن يكون الشعر الآن موضوعا على ارادة ذلك وعلى تنزيله منزلة المنطوق به ، حتى يكون الحال فيه كالحال فى « حسبت بغام راحلتى عناقا » ، فمما لا مساغ له عند من كان صحيح الذوق ، صحيح المعرفة ، نسابة للمعانى (٩) .

(ب) وقال عن المجاز المرسل ونفى أن يكون على تقدير محذوفه ما نصه :

« ويشبه هذا فى أن عبر عن أثر اليد والأصبع باسمهما وضعهم الخاتم موضع الختم كقولهم : عليه خاتم الملك ، وعليه طابع من الكرم ، والمحصول أثر الخاتم وأثر الطابع ، قال : « وتترك أموال عليها

---

(٨) اى فى بيت الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت   فانما هى اقبال وادبار

(٩) ٢٣٢ — ٢٣٥ دلائل الاعجاز .

الخواتم » ، وكذا قال الآخر : « اذا فضت خواتمها وفكت » ، وأما تقدير الشيخ أبى على فى هذين البيتين حذف المضاف وتأويله على معنى : وتترك أموال عليها نقش الخواتم ، واذا فض ختم خواتمها ، فبيان لما يقتضيه الكلام فى أصله ، دون أن يكون الأمر على خلاف ما ذكرته من جعل أثر الخاتم خاتما ، وأنت اذا نظرت الى الشعر من جهتــه الخاصة به ، وذقته بالحاسة المهيأة لمعرفة طعمه ، لم تشك فى أن الأمر على ما أشرت لك اليه ، ويدل على أن المضاف وقع فى المنسأة وصار كالشريعة المنسوخة تأنيث لفعل فى قوله ومضت خواتمها ، ولو كان حكمه باقيا لذكرت الفعل كما تذكره مع الأظهار ، وينظر الى هذا قولهم ضربته سوطا ، عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسمه وجعلوا أثر السوط سوطا ، وتفسيرهم له بقولهم أن المعنى ضربته ضربة سوط بيان لما كان عليه الكلام فى أصله وأن ذلك قد نسى ونسخ وجعل كأن لم يكن (١٠) .

(ج) وقال أيضا عن التشبيه البليغ : اذا قلت : زيد الأســد ، فالقصد أن تبالغ فى التشبيه ، فتجعل المذكور كأنه الأسد ، وتشير الى ما يحصل لك من المعنى اذا حذفت ذكر المشبه أصــلا فقلت : رأيت أسدا ، فأما نحو « فانك كالليل الذى هو مدركى » ، فلا يجوز أن تقصد جعل الممدوح الليل ، ولكنك تنوى أنك أردت أن تقول انه مثل الليل ، ثم حذفت المضاف من اللفظ ، وأبقيت المعنى على حاله اذا لم تحذف ، وأما هناك فانه وان كان يقول أيضا ان الأصــل زيد مثل الأســد ثم تحذف فليس الحذف فيه على هذا الحد ، بل على أنه جعل كأنه لم يكن لقصد المبالغة ألا تراهم يقولون جعله الأسد وبعيد أن تقول جعــله الليل (١١) .

---

(١٠) ٣٠٧ و ٣٠٨ اسرار البلاغة .

(١١) ٢١٥ اسررا البلاغة .

هذا هو رأى عبد القاهر فى وضوحه وقوته ودقته ؛ ولا يلتبس علينا بعد ذلك فهم رأى عبد القاهر فى رد الاستعارة الى التشبيه ، فانما يعنى بذلك الرد أن أصل الاستعارة التشبيه ؛ ولكن هذا الأصل نسى وصار شريعة منسوخة كما قال سابقا ، ولا بأس أن ننقل أهم فقرة لعبد القاهر فى رد الاستعارة الى التشبيه ، لنرى أن ما ذكرناه فى تأويلها وفهمها صحيح لا يتعارض معه نص ، لأنه هو الذى صرح به عبد القاهر سابقا ، قال :

أما المجاز فالاسم والشهرة فيه لشيئين :

الاستعارة ، والتمثيل على حد الاستعارة ، فالاستعارة أن تريد تشبيه الشىء بالشىء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجىء الى اسم المشبه به فتستعيره للمشبه وتجريه عليه ، تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالأسد فى شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رأيت أسد (٥٣ دلائل) .

وكذلك انى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، الأصل فيه أراك فى ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى ثم اختصر الكلام وجعل كأنه يقدم رجلا ويؤخرها عى الحقيقة كما كان الأصل فى قولك رأيت أسدا رأيت رجلا كالأسد ثم جعل كأنه الاسد على الحقيقة (٥٤ الدلائل) .

فالخلاصة فى ذلك بأن المجاز كله مبنى على المبالغة والادعاء لا على تقدير محذوف لا الآن كما يسلم به عبد القاهر ولا فى الأصل كما يذهب اليه هو واللغويون من البيانيين ، وأن أساليب المجاز تحلق فى أفق التخييل بجناح من الوهم ، وليس سيرها الى المبالغة فى طريق الحقيقة المعبدة ، فذلك ما لم يلاحظه ذوق أجدادنا العرب ولا ذوق من ينطق بهذه الأساليب المجازية الآن وأن تقدير بناء الاستعارة على التشبيه هو تقدير من عبد القاهر لأصلها المفسوخ . وبالله التوفيق .

نظرية النظم عنـد عبد القاهر

(١)

نظرية النظم أهم النظريات فى البلاغة العربية ، وبخاصة بلاغة عبـد القاهر .

وقـد عرض لهـا عبد القـاهر فى « دلائل الاعجاز » عرضـا واسعا ، وكذلك أشار اليها فى « أسرار البلاغة » ، وسوف نستعرض آراءه هنا بتفصيل .

(٢)

فى مقدمة دلائل الاعجاز يعرف عبد القاهر النظم بأنه « تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض (١) » ، ويجعل وجوه التعلق ثلاثة (٢) :

١ — تعلق اسـم باسـم بأن يكون خـبرا عنه أو حالا منه أو تابعا له ... الخ .

٢ — تعلق اسم بفعل بأن يكون فاعلا له أو مفعولا به أو مطلقا أو فيه أو له أو معه .

٣ — تعلق حرف بهما وذلك على وجوه عدة .

ويشير الى أنه من الضرورى فى معرفة الفصاحة أن نضع اليد على الخصـائص التى تعـرض فى نظم الكلام (٣) . وأن الألفـاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ولا من حيث هى كلم مفردة .

---

(١) ز — الدلائل — تعليق المراغى — نشر المكتبة المحمودية .
(٢) راجع ز وما بعدها الدلائل وكذلك ص ٣٨ المرجع .
(٣) ٢٧ الدلائل .

وانما تثبت لهـا الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها أو ما أشبه ذلك مما لاتعلق له بصريح اللفظ (٤) .

ويؤكد أن نظم الكلم يقتفى فيــه آثار المعانى وترتبها على حسب ترتيب المعانى فى النفس (٥) .

وليس النظم فى مجمل الأمر الا أن تضـع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه ، فلا تزيغ عنها (٦) فمداره على معانى النحو وعلى الوجوه والفروق التى من شأنها أن تكون فيه (٧) وليس هو الا توخى النحو فى معانى الكلم (٨) ، فلا معنى للنظم غير توخى معانى النحو وأحكامه فيما بين الكلم (٩) أو فيما بين معانى الكلم (١٠) بتعبير آخر .

والفكر لا يتعلق بمعنى الكلم المفردة مجردة عن معانى النحو أو منطـوقا بها على وجـه لا يتـأتى معه تقـدير معانى النحـو وتوخيها فيها (١١) .

ويأخذ فى تفصيل أمر المزية وبيان الجهات التى منها تعرض :
فيعرض للفظ يطلق والمراد به غير ظاهره مما يدور فى الأعم على شيئين : المجاز والكناية (١٢) ويقرر أن المزية فيهما وفى التمثيل ليست فى أنفس المعانى التى يقصد المتكلم اليها ولكنها فى طريق اثباته لهـا وتقريره اياها (١٣) .

---

(٤) ٢٣ المرجع (٥) ٣٥ المرجع .
(٦) ٥٥ الدلائل (٧) ٦٠ المرجع .
(٨) ٢٢٣ المرجع (٩) ٢٣٧ و ٢٥٠ المرجع
(١٠) ٢٥٦ و ٢٣٢ المرجع . (١١) ٢٥٩ المرجع .
(١٢) ٤٤—٤٧ الدلائل (١٣) ٤٧ المرجع .

ويعرض للاستعارة فى بيت ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

مؤكدا أنها على لطفها وغرابتها انما تم لها الحسن بما توخى فى وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قد صلحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لهـا (١٤) ، وكذلك يفصل الكلام على مدخل النظم فى بلاغة الاستعارة فى قوله تعالى « واشتعل الرأس شيبا » ، وقوله « وفجرنا الأرض عيونا » .

ويتحدث عن التشبيه فى مثل زيد كالأسـد ، وكأن زيدا الأسد ، ففى المثال الثانى زيادة فى معنى التشبيه ليست فى الأول ، وهذه الزيادة لم تكن الا بما توخى فى نظم اللفظ وترتيبه حيث قدم الكاف الى صدر الكلام وركبت معأن (١٥) .

كما يتحدث عن ضروب من المجاز العقلى أو المجاز فى الاسناد (١٦) وعن ضروب الكناية فى النسبة (١٧) .

ويقرر أن الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون لأنه لا يتصور أن يدخل شىء منها فى الكلم وهى أفراد (١٨) ، فاذا قلنا فى لفظة « اشتعل » من قوله تعالى « اشـتعل الرأس شيبا » انها فى أعلى المرتبة من الفصـاحة لم نوجب تلك الفصاحة لها وحدها ، ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف واللام ، ومقرونا اليهما الشيب منكرا منصـوبا (١٩) ، فليست الفصاحة صفة للفظ « اشتعل » وحده (٢٠) .

ويتحـدث عن وجوه النظم فى التقـديم والتـأخير (٢١) ، وفى

---

(١٤) ٦٨ المرجع (١٥) ١٦٠ المرجع .
(١٦) ١٩١ المرجع (١٧) المرجع .
(١٨) ٢٥٠ الدلائل (١٩) ٢٥٥ المرجع .
(٢٠) ٢٥٨ المرجع (٢١) ٨٣ المرجع وما بعـدها .

الحذف (٢٢) . ويتكلم على فروق الخبر من مثل زيد منطلق ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد (٢٣) ، وعلى أسرار الاتيـــان بالذى (٢٤) ، وعلى فروق فى الحال (٢٥) ، لها فضــــل تعلق بالبلاغة ، وعلى أسرار الفصل والوصل (٢٦) ، وعلى تقديم كل على النفى وتأخيرها عنه (٢٧) ، وعلى مثل « وجعلوا لله شركاء الجن » (٢٨) ، وعلى أسرار التنكير فى مثل « ولكم فى القصاص حياة » (٢٩) ، وعلى ضروب من تاكيد الخبر (٣٠) وعلى القصر (٣١) .

ويقرر أن المزية للكلام انما هى فى نظمه باعتبـــار ملاءمة معنى اللفظة لمعنى اللفظة التى تليها (٣٢) ، وليس الفضل والمزية فى الكلام أن تنظر فى مجرد معناه (٣٣) .

فالفصاحة والبلاغة عبارة عن خصائص ووجوه تكون معانى الكلام عليها ، وزيادات تحدث فى أصول المعانى ، كالذى أريتك فيما بين زيد كالأسد وكان زيد الأســـد ، ولا نصيب للالفاظ من حيث هى ألفـــاظ فيها بوجه من الوجوه (٣٤) ، فأنفس الكلم بمعزل عن الاختصـــاص والمزية (٣٥) ، فليس للفظ من حيث هو لفظ حسن ومزية (٣٦) ، اذ المزية ليست بمجرد اللفظ وانما تقع فى اللفظ مرتبا على المعــانى المرتبة فى النفس (٣٧) .

---

(٢٢) ٩٥ وما بعدها المرجع (٢٣) ١١٣ المرجع وما بعدها .
(٢٤) ١٢١ المرجع .
(٢٥) ١١٣ المرجع (٢٦) ١٤٥ المرجع .
(٢٧) ١٨٢ وما بعدها المرجع (٢٨) ١٨٧ وما بعدها المرجع.
(٢٩) ١٨٩ وما بعدها المرجع (٣٠) ٢٠٦ وما بعدها .
(٣١) ٢١٤ وما بعدها المرجع (٣٢) ٢٣ الدلائل .
(٣٣) ١٦٧ المرجع (٣٤) ١٧٠ المرجع .
(٣٥) ٢٢٣ المرجع (٣٦) ٢٣٥ المرجع .
(٣٧) ص ٢ اسرار البلاغة شرح رشيد رضا — ط ١٩٥٩ — مطبعة صبيح .

ويجعل الاعجاز القرآنى فى النظم وحده لا فى شىء آخر [٣٨] .

(٢)

وبذلك ينتهى عبد القاهر من عرض نظريته فى النظم هذا العرض الجديد ، لتلك النظرية الجديدة أيضا .

ويعرض الدكتور مندور لقضية النظم عند عبد القاهر فيقرر :

١ ـــ أن الأدب فن لغوى [٣٩] كما قرر عبد القاهر من قبل بالفحوى فاخضاع الفكرة أو الاحساس للفظ هو ما يميز الأدب عن غيره من الفنون ، وهذه النظرية الصحيحة هى موضع اعتزازنا بتفكير عبد القاهر [٤٠] وعبد القاهر يبدأ بنظرية فلسفية فى اللغة ، ثم ينتهى الى الذوق الشخصى الذى هو مرجعنا الأخير فى دراسة الأدب [٤١] .

٢ ـــ النقد وضع مستمر للمشاكل ، فلكل جملة أو بيت مشكلته التى يجب أن نعرف كيف نراها ونضعها ونحكم فيها ، وهذا هو النقد الموضعى كما رآه عبد القاهر [٤٢] .

٣ ـــ الحكم على النظم هو النظر فى المعنى منظوما والذوق هو الفيصل الأخير فى الحكم على هذه الدقائق ، والى هذا فطن عبد القاهر بحسه الأدبى الصدق [٤٣] ، ويتحكم الذوق عند عبد القاهر فى نظم المعانى التى نعبر عنها [٤٤] .

٤ ـــ وتسوق فكرة النظم عند عبد القاهر الى تخطى الاعراب والجملة البسيطة الى الجملة المركبة [٤٥] ، فعنى بها من حيث الجودة ونقدها نقدا أدبيا [٤٦] .

٥ ـــ احساس عبد القاهر الأدبى سابق دائما لعقله [٤٧] .

---

(٣٨) ٢٤٦ الدلائل .   (٣٩) فى الميزان لجديد لمندور الطبعة الثانية .
(٤٠) ١٥٥ المرجع .   (٤١) ١٦٩ المرجع .
(٤٢، ٤٣) ١٥٧ المرجع   (٤٤) ١٥٩ المرجع .
(٤٥) ١٦٠ المرجع .   (٤٦) ١٦١ المرجع .
(٤٧) ١٦١ المرجع نفسه .

٦ ــ اهتدى عبد القاهر الى كل تلك الحقائق ــ التى وان يكن فى تفكير اليونان القدماء ما يماشيها كما أن فى علم اللسان الحديث ما يؤيدها ــ فالفضل الأكبر فى الوقوع عليهـــا لمواهب عبد القـــاهر الفطرية (٤٨) •

٧ ــ ليس لنظرية عبد القاهر فى النظم من القيمة ما لتطبيقاته ، فهناك يظهر ذوقه العربى السليم ، ذلك الذوق الذى لا يمكن أن يغنى عنه فى الأدب شىء ؛ وما نظرية عبد القاهر فى رمزية اللغة ورد المعانى الى النظم وما منهجه فى نقـــد النصوص نقـــدا موضوعيا الا مراحل تنتهى به الى الذوق الذى يدرك الدقائق ويحس بما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة » (٤٩) •

هـــذا وقد أطلق السكاكى (٦٢٦ هـ) صاحب المفتاح على أصول النظم وأبوابه ومســـائله علم المعانى ، وأخـــذ قواعده ، كما أخـــذ فروعه ، من كتاب دلائل الاعجاز •

(٤٨،٤٩) ١٦١ المرجع نفسه •

أسرار البـــلاغة

لعبد القـــاهر الجرجانى

— ١ —

كتبت من قبـــل عن التراث النقـــدى لعبد القاهر الجرجانى فى كتابه المشهور « دلائل الاعجاز » ، وذلك فى مقالة نشرت فى مجلة الهلال

وهنا وفى هذا الكتاب أكتب عن التراث النقـــدى لعبد القـــاهر فى كتابه « أسرار البلاغة » .

وعبد القاهر شخصية طريفة حقا ، عاش ثمانية وســـتين عاما ميلاديا ، وواحدا وسبعين عاما هجريا (٤٠٠ـــ٤٧١هـ:١٠١٠ـــ١٠٧٨م)، وبذلك يكون قـــد مضى على وفاته تســـعة قرون ميلادية وفى عام ١٤٠٠ هجرية يكون قـــد مضى على ميـــلاده عشرة قرون هجرية ، ولهـــذه المناسبة أو تلك ، بالاضافة الى عظمة شخصيته ناقـــدا .. رأيت أن أخصص هـــذه الكلمة للحديث عن كتاب أسرار البلاغة ، الذى يمثـــل لنـــا عبد القاهر فى تحليله النقدى الرائع لأســـاليب البيان العربى . وللفروق بين أسلوب وأسلوب ، وشاعر وشاعر فى الصورة الشعرية عند هـــذا أو ذاك .

وعبد القـــاهر من أعظم النقاد فى تاريخ الثقـــافة الأدبية عنـــد العرب ، وهو الذروة التى وصل اليها النقـــد العربى ، وقـــد ســـبقه نقاد كبار وضعوا أصول نظريات فى النقـــد ، فالأصمعى وضع مقياس الشخصية الفنية فى النقـــد فى كتابة « فحولة الشعراء » ، وابن سلام وضع مقياس الطبقة فى كتابه « طبقات فحول الشعراء » ، والجاحظ وضع مقياس الذوق فى تقرير الأثر الأدبى ، وابن قتيبـــة وضع مقياس

المحاكاة للجاهليين ، وابن المعتز وضع نظرية البديع ودافع عن المحدثين من خلالهــا ، وقدامة وضع الميزان النقدى فى تقدير الشاعر والشعر ، والآمدى وضع مقياس العمودية أو نظرية عمود الشعر ، والقاضى على ابن عبد العزيز الجرجانى وضع نظرية العــدالة النقــدية فى الحكم على الشاعر ، وعبد القاهر الجرجانى وضع نظرية النظم وطبق عليها تطبيقات نقدية رائعــة فى كتابيه « دلائل الاعجــاز » و « أسرار البــلاغة » .

ويقول الدكتور محمد مندور فى كتابه « فى الميزان الجــديد » ص ١٤٢ : « ان لدينـــا كتب نقــد منهجى مفصل لا نظن ان الأوربيين قــد وضعوا فى آدابهم خيرا منها ، وخير مثــل لتلك الكتب هــو : « الموازنة » للآمدى ، و « الوساطة » للقاضى الجرجانى .. ومع ذلك فالفرق كبير بين عبد القاهر الجرجانى وبين الآمدى والقاضى الجرجانى فاذا كانت أحكام هذين الناقدين تعــد الأساس القوى لنشأة النقد العربى ، فان دراسات عبد القاهر قــد بنت للنقــد صرحا شامخا ، وكتاباه « الدلائل » و « الأسرار » جــد مبتكرين فى تاريخنا النقدى والبيانى ، ويرى الدكتور منــدور أن كتاب « أسرار البلاغة » أقرب الى الفلســفة النظرية منه الى النقد الأدبى ، فالأدب فن لغــوى ، ومنهجه هو المنهج الفقهى ، كما فهمه عبد القاهر وطبقه فى « دلائل الاعجاز » (١) .

وفى الواقع أن « الأسرار » استهداء بالذوق وتحليل للنصوص ووضع أصول بيانية من خلال هــذا التحليل وبارشاده .

ويبحث عبــد القاهر فى « أسرار البلاغة » عن المعانى الثانوية ذات العلاقة اللزومية ، بينما يقصر البحث فى « الدلائل » عن وجوه

---

(١) فى الميزان الجديد — للدكتور مندور .

النظم وأسراره ، وتجعل البلاغة فيه •• ومن ثم كانت بحوث عبد القاهر في « الأسرار » ترجع الى الكلمة المفردة ، من حيث دلالتها على المعانى اللزومية ، وذلك في التشبيه والتمثيل والاستعارة والمجاز والكناية . أما « دلائل الاعجاز » فهو بحث في الأسلوب وخصائصه ووجوهه والفروق البلاغية التي تدور حول هذه الوجوه • ويؤكد ذلك ما قاله عبد القاهر في « دلائل الاعجاز •• » من أنه « ما رأينا في الدنيا عاقلا أطرح النظم ، والمحاسن التي هو السبب فيها ، من الاستعارة والكناية والتمثيل وضروب المجاز والايجاز ، وصد بوجهه عن جميعها » • فدراسة النظم أفاض فيها عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » ودراسة المحاسن التي هو السبب فيها • من الاستعارة والكناية والتمثيل وضروب المجاز والايجاز هي موضوع كتاب « أسرار البلاغة » •

— ٢ —

ولا يغفل عبد القاهر في كتابه « أسرار البلاغة » أهمية المعانى الثانوية ودلالتها الجمالية في النص الأدبى ، سواء كانت هذه المعانى الثانوية معانى لزومية ، أو من مستتبعات التراكيب ، أو أثر لرموز صوتية ، أو ايحاءات نفسية . فهي التي تعطى للأسلوب دلالته البلاغية ، وتمنحه قيمة جمالية ، وكثير من المهارة الأدبية انما هو اطلاق تلك المعانى الثانوية لتؤثر تأثيرها في الخيال • ويقرر أن اللفظ يدل على معناه الذى يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض ، فالمعنى عنده هو المفهوم من ظاهر اللفظ ، ومعنى المعنى هو أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضى بك ذلك المعنى الى معنى آخر ، ومدار هذا على الاستعارة والكناية والتمثيل•• وقد فصل الحديث عنها في هذا الكتاب ، « أسرار البلاغة » ، وهو في ذلك كله يتلاقى مع كبار النقاد في مختلف العصور • أو هم الذين يتلاقون مع عبد القاهر ، ويدورون حوله •• يقول لاسل آير كرومبى الناقد الانجليزى في كتابه « قواعد النقد الأدبى » : ان المعنى الذى

نجده فى معاجم اللغة ما هو الا النواة التى يتجمع حولها طائفة من المعانى الثانوية ، وكثير من المهارة الأدبية عبارة عن اطلاق تلك المعانى الثانوية لتؤثر تأثيرها فى الخيال (٢) . فان أسمى ما يصل اليه فن الأدب أن يجعل (٣) الايحاء اللفظى من القوة والسيطرة وبعد المدى والحيوية والقوة بمكان عظيم فالشاعر (٤) يستخدم المعانى العقلية للالفاظ ، ويستخدم كذلك علاقاتها وايحاءاتها وايقاعها والصور الموسيقية وغيرها مما تكونه الألفاظ حين يربط بعضها ببعض . فان عناصر الصورة تتكون من الدلالة المعنوية للالفاظ والعبارات ، ويضاف الى ذلك مؤثرات أخرى يكمل بها الأداء الفنى ، وهى الايقاع للكلمات والعبارات ، والصور والظلال التى يشعها التعبير ، وأصبحت هذه المعانى الثانوية ذات خطر كبير فى الصورة الأدبية (٥) .

— ٣ —

ولقد كشف عبد القاهر بذهنه اللماح ، وعبقريته الفائقة عن نظرية الرمزية فى اللغة ، فقرر أن اللفظة رمز لمعناها ، رمز للفكرة أو التجربة أو العاطفة ، أو المعنى ، وأن قيمتها فيما ترمز اليه ، وليست البلاغة فيها وحدها .

واذا قال أفلاطون من قبل : ان الكلمة انما تعنى الفكرة ذاتها وحقيقتها الخارجية المتمثلة فى صورة من كلمة على السواء (٦) ، أو قال أرسطو : ان عملية النطق مستلزمة ضرورة للتفكير والكلمات رموز

---

(٢) ص ٤ قواعد النقد الادبى ترجمة د. محمد عوض .
(٣) ص ٣٨ المرجع نفسه .
(٤) ١٠٢ الادب وفنونه ، الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتى .
(٥) ص ٤٥ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتى .
(٦) ٢٧ الادب وفنونه لعز الدين اسماعيل .

للمعاني (٧) . فان عبد القاهر يؤكد أنك تطلب المعنى واذا ظفرت به فاللفظ معك وازاء ناظرك (٨) . ويجيء برجسون بعد ذلك فيقرر اننا انما نفكر بالألفاظ ، ويقول لاسل آبر كرومبي أستاذ النقد الانجليزي بجامعة لندن : ان على الأديب أن يجعل ألفاظه محاكية لتجاربه ورمزا لتلك التجارب ، وعليه أن يجمع بين مقدرته على التعبير عما في نفسه بذلك الرمز وبين مقدرة ذلك الرمز نفسه على نقل تجاربه الى القراء(٩) فما وظيفة الألفاظ في الأدب الا أن تكون رمزا (١٠) ، ويقول ميخائيل نعيمة في كتابه « الغربال » : لا قيمة للغة في ذاتها ونفسها ، بل قيمتها فيما ترمز اليه من فكر أو عاطفة .

— ٤ —

والعلاقات الاسلوبية بين الالفاظ هي في رأى عبد القاهر موطن البلاغة ، وهي ما عبر عنه بالنظم ، وما نعبر نحن عنه بالشكل والصورة، مع الخلاف بين النقاد في تحديد معنى الشكل تبعا لاختلافهم في تحديد معنى المضمون ، فمن مجموع العلاقات بين الألفاظ في النص الأدبي تتكون الصورة ، وفيها تظهر البلاغة أو الجمالية . فاللغة حين يستعملها الشاعر تصبح لغة شعرية ، لا لأنها في ذاتها لها هذه الخاصية ، ولكن لأنها خضعت للتجربة في نفس الشاعر ومقتضيات التعبير عن هذه التجربة ، فالشاعر يريد انتاج تركيب معين من خلال اللغة ذات الطبيعة التحليلية ، واحداث الأثر التركيبي من خلال أداة تحليلية يمثل أعظم نجاح للشاعر .

وكما اعتد عبد القاهر الجرجاني بالشكل الادبي ، ورأى الحقيقة

---

(٧) الخطابة لارسطو ١٤٠٠ ب س ١٥ — ٢٤ .
(٨) ٤٩ دلائل الاعجاز .
(٩) ٣٤ قواعد النقد الادبي — ترجمة محمد عوض — القاهرة ١٩٣٦ .
(١٠) ٣٥ المرجع نفسه .

الجمالية فيــه لا فى المضمون ، ذهب هــذا المذهب أيضــا بنــدتو كرونتشــيه (١٩٥٢) متأثرا فى ذلك بالآراء النظرية لعبد القــاهر ، ويحدد كرونتشيه المضمون بأنه الأحاسيس أو الناحية الانفعالية قبل صقلها صقلا جماليا ، أما الشــكل فهو صــقلها وابرازها فى تعبير عن طريق النشاط الفكرى ، ولا قيمة عنــده فى الشكل للكلمات المفردة من حيث هى مادة التعبير ، ولا من حيث الجرس والصوت منفصلين عن الفن والصورة • وهــذا كله هو رأى عبد القــاهر • فالشكل عنــد كرونتشيه هو النظم عند عبد القاهر ، والمضــمون عنده صــورة قريبة من المعنى عنــد عبد القاهر • واذا ذهب الكثير من النقاد الى الفصل بين الشكل والمضمون ، أو اللفظ والمعنى ، كما فعل ابن قتيبة وقدامة ، حيث ذهبا الى أنهما عنصران مســتقلان تمام الاستقلال ، فان ابن طباطبا فى كتابه « عيار الشــعر » يذهب الى أن اللفظ جسم روحه المعنى ، وكذلك ذهب ابن رشيق القيروانى فى كتابه « العمــدة » ، فلا يمكن عنــد هذين الناقدين الفصل بين اللفظ والمعنى ، اذ همــا متلازمان وهــذا هو ما اهتدى اليه عبد القــاهر والنقاد الجمــاليون فيما بعــد ، اذ رأوا أن الصورة والمضمون فى النص الأدبى هما وجها النموذج الادبى ، والفصــل بينهما غير ممكن ، فليس هناك مضمون وصورة ، بل هما شىء واحد ، فمادة النموذج وصورته لا تفترقان فهما كل واحــد • وبينما نجــد الكلاسيكيين يرفعون من شــأن اللفظ ، والرومانسيين يهتمون بالمعنى ويقــدمونه على اللفظ ودعاة « الفن للفن » يحررون النص الأدبى من كل قيود المضمون والمحتوى ، ما دام النص يغــذى فينا حاســة الجمال ، ودعاة الرمزية يهتمون اهتماما خاصا بما توحيه الصــور والألفــاظ من رموز ومجازات عن طريق موسيقاها وأصواتها ، ودعاة الواقعيــة يهتمون بالمضمون فى النص ومحتواه الواقعى أو الاجتماعى •• فان الفلسفة الجمالية وهى مطابقة تمام المطابقة لفلسفة عبد القــاهر النقدية • ان لم نقل انهــا متأثرة بهــا ، تؤكد وحدة العمل الأدبى ، وتربط بين مضامينه وأشكاله برباط

وثيق من الوحـــدة والالتئام (١١) ، وهكذا تجد فلسفة عبد القـــاهر اللغوية ذات قيم جمالية مبتكرة ، فاللفظ يستمد عنده بلاغته من أنه ظل للمعنى ، والمعنى يستمد مزيته من حيث أنه المـــادة الغفـــل التى يصوغها اللفظ ، ومن أجل ذلك رفض عبد القـــاهر الاعتداد بالمعنى وحده ، مرددا ما ردده الجاحظ من قبل (١٢) من أن المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والقروى والبـــدوى ، وانما الشأن فى اقامة الوزن ، وتميز اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع ، وجودة السبك ؛ وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير ، وهذا هو ما قرره مالارجيه الفرنسى فيما بعـــد من أن الشـــعر لا يصنع من الافكار ولكنه يصنع من الالفاظ (١٣) ومن ثم فان الشاعر لا يكفيه أن يحصـــل على قـــدر من الافكار حتى يستطيع أن يقول الشعر ، فنحن لا نحكم على الشـــاعر الا بعـــد أن تقرأ الالفاظ التى كتبها (١٤) . كما رفض عبد القـــاهر الاعتداد باللفظ وحده ، فنعنى أن تكون الفصاحة صـــفة للفظ من حيث هو لفظ ، والالفاظ فى ارتباطها الفنى انما تكون فى القصيدة مجموعة الصور التى تنقل الينا الفكرة أو التجربة أو المشاعر النفسية .

— ٥ —

ويشرح لنـــا عبد القاهر غرضه من كتابه « أسرار البـــلاغة » فيقول (١٥) : أعلم أن غرضى أن أتوصل الى بيان أمر المعانى كيف تتفق وتختلف . ومن أين تجتمع وتفترق ، وأفصـــل أجناسها وأنواعها ، وأتتبع خاصها ومشاعها » « ويقول : من الكلام ما هو شريف فى جوهره

---

(١١) راجع ١٦٢ فى النقد الادبى للدكتور شوقى ضيف .
(١٢) م ٣ . ٤ الحيوان للجاحظ ، ص ١٦٧ دلائل الاعجاز .
(١٣) ١٠٩ الادب وفنونه .
(١٤) ص ١١٠ المرجع نفسه .
(١٥) ١ — ١١٨ اسرار البلاغة — طبع مكتبة القاهرة ١٩٧٢ .

كالذهب الابريز الذى تختلف عليه الصور ، وتتعاقب عليه الصناعات، وجل المعول فى شرفه على ذاته ، وان كان التصوير قـد يزيد فى قيمته. ومنه ما هو كالمصنوعات العجيبة من مواد غير شريفة ، فلها — ما دامت الصورة محفوظة عليها — قيمة تغلو . ومنزلة تعلو [١٦] .

ويقول : وأول ذلك وأولاه ، وأحقه بأن يستوفيه النظر ويتقصاه: القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة [١٧] وحديث عبد القـاهر عن هذه الأساليب انما هو لتقرير أن بلاغة التشبيه والتمثيل والاستعارة وغيرها راجعة الى النظم أو هى بسبب منه : ونظريته فى النظم هى موضوع كتابه « دلائل الاعجاز » ورأيه فى المحاسن التى يرجع السبب فيها الى النظم فى الاستعارة والتمثيل والتشبيه هو موضوع كتـابه « أسرار البلاغة » ففـكرة عبد القـاهر فى كتابيه واحدة ، وهى أن البلاغة ترجع الى النظم والصياغة ، أى أنها فى الشكل لا فى المضمون ، سواء فيما يتصل بخصائص الأسلوب من ذكر وحذف وتقـديم وتأخير الخ ، أو بأهم عناصره من التشـبيه والتمثيل والاسـتعارة والكناية والمجاز ، وقـد بحث بلاغة النظم فى « الدلائل » . وبلاغة التشبيه وأخواته فى « أسرار البـلاغة » حيث يقرر أن بلاغة هـذه الألوان راجعة فى الحقيقة الى النظم . فاذا كان عبد القـاهر يؤكد فى كتابه « الدلائل » ان البلاغة انما هى فى النظم ، الذى هو تعلق معانى الكلم بعضها ببعض ، فانه يدور حول ذلك فى « أسرار البلاغة » حيث يشرح ويطبق هـذه النظرية على التشبيه وأشباهه ، لأن ذلك وثيق الصـلة بالابداع الأدبى ، ففى « الدلائل » يشرح نظريتـه فى النظم ويقيم تطبيقات واسـعة عليها ، وفى « الأسرار » يدرس أبواب التشـبيه ونظائره دراسة تؤكد اعتماد هـذه الأبواب على فكرة النظم .

---

(١٦) المرجع نفسه ١/١١٨
(١٧) المرجع نفسه ١/١٣٠ .

ومن أجل ذلك نقد درس عبد القاهر هذه الأبواب دراسة نقدية وبيانية مفصلة ، درس التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية وسائر ضروب المجاز ، وتحدث عن الأخذ والسرقة ، وقسم المعانى الى عقلية وتخييلية .

ويقرر عبد القاهر خاصة الأسلوب : وملكية كل أديب لأسلوبه ، فالاسلوب هو الذى يميز بين موهبة وموهبة ، وشاعر وشاعر ، وهذا الأسلوب ليس سردا لألفاظ ، بل ترتيبا لمعانيها وفق ترتبها فى النفس، فهو المقصود من كلام عبد القاهر على المعنى ، وأنه الذى يستحق أن تكون فيه المزية والفضيلة .

ان نظرية النظم التى شرحها عبد القاهر فى « دلائل الاعجاز »، قد بنى عليها تطبيقات واسعة فى « أسرار البلاغة » لفنون التشبيه والتمثيل والمجاز والكناية ، فدلائل الاعجاز يتضمن نظرية النظم وتطبيقات واسعة عليها تدور حول الأسلوب ، « وأسرار البلاغة » يتضمن تطبيقات عليها تدور حول الاستعارة والتشبيه واخواتهما من التمثيل والمجاز والكناية والأخذ والسرقة وضروب المعانى التحقيقية والتخييلية ، لأنها صور المعانى ، والقطب الذى تدور حوله البلاغة .

بلاغة الشكل اذا قد درس عبد القاهر وجوهها البلاغية فى الدلائل .. أما ما يتصل بالشكل وهو الكلمة من حيث دلالتها على معانيها اللزومية فى المجاز والاستعارة والكناية وصلة ذلك بالتشبيه والتمثيل ، ومن حيث دلالتها كذلك على المعانى التحقيقية والتخييلية والعامية والخاصية مما هو وثيق الصلة بالابداع الأدبى من ناحية ، وبالنظم والصياغة من ناحية أخرى ، فقد درسه عبد القاهر فى « أسرار البلاغة » دراسة مفصلة ، حيث جعل ذلك كله من المحاسن التى يكون النظم السبب فيها .

وفى « الأسرار » تظهر بوضوح ملكة عبد القاهر البلاغية

والنقـدية ، ويبدو الرجل ناقدا من أعظم النقـاد ، الذين يدركون بأذواقهم أسرار الكلام ، ودقائق البلاغة ، ويفرقون بمشاعرهم الفنية بين أسلوب وأسلوب ، ولفظة ولفظة وحرف وحرف .. ومع أنه قـد أفاد من جهود النقاد قبله ، فانه كان ذروة لم يستطع أحـد الوصول اليها ، وكان قوة تجديدية كبيرة فى الأدب ونقـده ، وفهم موازينه وادراك أسرار بلاغاته .

فى الأسرار أروع الفصول التحليلية فى النقـد ، وفى خصائص البيان ومشكلاته فى عصره . وفيه ربط النقـد بالتأثير النفسى للنص الأدبى ، ومحاولة الكشف عن مدى هـذا التـأثير ، وأثره فى بلاغة النص ، مما يجعل للكتاب أهمية خاصة .

— ٦ —

وفى « أسرار البلاغة » كثير من الأحكام النقدية على النصوص وعلى الشعراء ..

فهو يشير الى أقوال بعض النقاد فى طرح بلاغة أبيات كثير عزة المشهورة :

ولـمـا قضـينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسـح
وشـدت على دهم المطايا رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننـا وسـالت بأعنـاق المطى الأباطح

ويرى عبد القاهر كلامهم لغوا ، ويعلى من شأن الصورة الشعرية التى رسمها كثير فى أبياته ، ويعتـد ببلاغتها اعتدادا كبيرا (١٨) .

ويقول عبد القاهر فى البحترى : لا تكاد تجـد شاعرا يعطيك فى المعانى الدقيقة من التسهيل والتقريب ، ورد البعيـد الغريب الى

---

(١٨) ١١٤ — ١/١١٦ أسرار البلاغة ط القاهرة ١٩٧٢ .

المألوف القريب ما يعطى البحترى ، أو يبلغ فى هـذه مبلغه ، فانه ليروض لك المهر الارن رياضة الماهر ، ثم لا يمكن ادعاء أن جميع شعره فى قلة الحاجة الى النثر ، والغنى عن فضل النظر ، كقوله :

فـؤادى منـك ملآن   وسرى فيك اعلان (١٩)

ويقول عن ابن المعتز : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها ، لأنك تعنى تشبيه المبصرات بعضها ببعض ، وكل ما لا يوجد التشبيه فيه من طريق التأول .. الخ (٢٠) .

ويشير الى بلاغة التشبيه فى قول عدى بن الرقاع :

تزجى أغن كان ابـرة روقـه   قلم أصاب من الدواة مدادهـا

وحسد جرير له على ما وصـل اليه الشـاعر من هـذا التشبيه البليـغ (٢١) .

ويعرض عبد القاهر لكثير من النصوص الشعرية ويحللها ويوازن بينها ، ويكشف عن سر بلاغتها ، ويبين منزلتها فى الابداع الأدبى ، ويهتدى بذوقه الى أدق الفروق البيانية بين كلام وكلام وصـورة وصـورة .

وبعـد فكتاب أسرار البلاغة من أجل كتب النقـد التى ظهرت فى تراثنا العربى ، ومن أحكامه واستنباطاته وكشفه عن خصـائص أساليب التشبيه والاستعارة والتمثيل والكناية والمجاز ، أخـذ علماء البلاغة القواعد التى تحدث عنها عبد القـاهر فى « أسرار البلاغة »

---

(١٩) ٢٧٢ و ٣٧٣ /١ المرجع .
(٢٠) راجع ١٩٨ — ٢٠١ /١ المرجع .
(٢١) راجع ٢٨٠ /١ المرجع نفسه .

ووضعوها مقاييس لبلاغة هذه الأساليب ، وبنوا عليها أحكاما صارت جزءا من البلاغة العربية •

ونلحظ أن عبـد القاهر مزج فى كتابه النقـد بأصول البلاغة ، فمن هـذه الأصول نعرف أن عبد القـاهر من أئمة النقاد المنهجيين ، ومن أحكامه فى النقـد نتبين مدى روعته فى التطبيق على مقاييسـه النقـدية والبيانية التى كشف عنها •

ونحن لا نملك هنا الا غاية الايجاز ، حتى لا نقع فى فرط التطويل الذى يذهب ببلاغة القصد • ويبعـد بنا عن بلوغ الغاية •

سر الفصـــاحة للخفاجى

— ١ —

نحن فى القرن الخامس الهجرى . وتراثنا النقـــدى ملء السمع والبصر ، والكتب الرائدة فيـــه كثيرة ، والنظريات النقـــدية جـــد ثرية وغنية ، والنقـــاد لا يزالون يفاجئون قراءهم بالكثير من الآراء والأفكار التى تدور حول النقـــد .

واذا نحن نفاجأ بظهور ثلاثة كتب فى وقت واحـــد ، وفى بيئات متعددة ، دون أن يعلم مؤلف أحدها عما ظهر فى الوقت نفسه من كتب نقـــدية أخرى شيئا ..

— « دلائل الاعجاز » للامام عبد القاهر الجرجانى — ٤٧١ هـ — ويكمل نظرية عبد القـــاهر النقـــدية فيه كتابه الآخر « أسرار البـــلاغة » .

— «العمدة فى صناعة الشعر ونقده » لابن رشـــيق القيروانى المتوفى عام ٤٥٦ هـ .

— « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجى المتوفى عام ٤٦٦ هـ .

عبد القاهر يظهر فى جرجان ، وابن رشيق فى القيروان ، وابن سنان فى حلب .. الثلاثة من أعلام النقاد فى القرن الخامس الهجرى ، وان كان يسبقهم الباقلانى الذى توفى فى مطلع هذا القرن عام ٤٠٣ هـ . والثلاثة شاركوا فى النقد مشاركة كبيرة ، وأسهموا كذلك فى وضـــع أصول البيان وقواعد البلاغة ، والثلاثة يبـــدو أنهم تأثروا بآراء قدامة ابن جعفـــر (— ٣٣٧ هـ) فى كتابه « نقـــد الشعر » ، وان كان تأثر ابن رشيق وابن سنان به جـــد كبير ، مما يجعلهما يعتمدان على كتابه

قدامة اعتمادا شديدا ، ويجعل بينهما من التشابه ما قد يدعو الى القول بأن أحدهما رجع الى الآخر وأفاد منه ، وان كان الأمر ليس كذلك على وجه اليقين . أما الخفاجي وعبد القاهر فليس بينهما أي أثر للمشابهة والتأثر العلمي الا أشياء قليلة لا تغني من الأمر شيئا ، مثل ما ذكره ابن سنان وعبد القاهر حول اعجاز القرآن الكريم كتاب العربية الخالد المنزه من شبهة الذين زعموا أن الحكاية هي المحكى ، والرد عليها (دلائل الاعجاز ، وسر الفصاحة) ، ولو أن عبد القاهر أو ابن سنان قد اطلع أحدهما على آراء الآخر في النقد وأصول البلاغة ، لكان لذلك أثره في تحويل التيارات النقدية والبيانية الى مناهج جديدة .

ونعود الى ابن سنان وكتابه « سر الفصاحة » .

— ٢ —

ابن سنان (١) هو الأمير الشاعر الناقد الاديب العالم أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحيى بن سنان الخفاجي الحلبي ، ينتمى الى بنى حزن الخفاجيين الذين استقروا في حلب ، وذاعت شهرتهم فيها حتى ليقول ابن سنان لبعض خصومه :

مهلا فانك ما تعد (مباركا) خالدا ولا تحمى — سنانا — والدا
بيت له النسب الجلى وغيره دعوى تريد أدلة وشواهدا .

ويقول كذلك :

ضلالك ، ما نسبت الى (سنان) ولا ضربت خؤولك في تميم

وقد ولد في حلب عام ٤٢٣ هـ ، نعرف ذلك من قصيدة له في ديوانه

نظمها عام ٤٤٣ هـ ويقول فيها مفتخرا بأصوله بالخفاجيين من بنى عامر العقيليين :

اذا عامر فرعت فى العــــلا ولم يبق من فوقهـــا مرتقى
علقت بأطراف ذاك النجــــار وجلدت بعــادية ذاك البنــا
بعشرين أنفقتها فى الصــدود وجــدت بها فى زمان النوى

ويؤيد ذلك رسالة كتبها ابن بطلان الى صديق له عام ٤٤٠ ويصفة له فيها مدينة حلب ويقول (٢) :

ان فيها شابا يعرف بالخفاجى قد ناهز العشرين ، وعلا فى الشعر طبقة المحنكين .

وقــد تتلمذ ابن سنان على شاعر المعرة الكبير أبى العلاء المعرى (٣٦٣ — ٤٤٩ هـ) ، فى معرة النعمان القريبة من حلب ، وعلى أعلام علماء حلب فى عصره ، وقرأ الكثير من تراث العربية فى اللغة والأدب والنقــد والبيان ، وسمت نفسه الى أعلى مدى من الطموح ، وتوفى أستاذه أبو العلاء عام ٤٤٩ هـ وابن سنان فى السادسة والعشرين من عمره ، وفى الديوان قصيدة رائية رثى فيها جماعة من أهله وأصدقائه ، وأظهر فيها حزنه العميق على فيلسوف المعرة وشاعرها .

وفى عام ٤٥٣ هـ وابن سنان فى سن الحادية والثــلاثين ربيعا يسافر شاعرنا الناقد من حلب الى القسطنطينية ، وفى الديوان أربع قصائد تشير الى ذلك ، ففى قصــيدة بعث بها من القسطنطينية الى (ابن ملهم) والى حلب من قبل الفاطميين عام ٤٥٣ هـ يقول :

وا أســفى من رحــلة طوحت فيهـــا الى الــروم الاعاريب
قادنى الدهــــر اليهــا ومن يجانب الأقــــدار مغلوب (٣)

ويذكر د. الدهان تفسير آخر لرحلة ابن سنان الى القسطنطينية نقلا عن ابن العديم مؤرخ حلب ، فيقول (٤) :

ذكر الأمير محمود المرداسي الكلابي في أن يظفر بالحكم وحده ، وأن تكون له حلب كلها دون عمه (ثمال) الذي يساعده الفاطميون ، وفكر محمود في أن يستنجد بالروم ، ونظر حوله ، فوقع نظره على شاعرنا الشاب ابن سنان ، وقر رأيه على ارساله الى بلاد الروم في المهمة الشاقة ، وسار الشاعر على كره ، وخلف وراءه زوجته وصحبه ووطنه ، وربوعا أحبها ، وعيشا ألفه ، وكان ذلك في سنة ٤٥٣ هـ ، والشاعر في الثلاثين من عمره . وقد ذكر المؤرخون هذه البعثة ، فاثبتها ابن العديم مؤرخ حلب ، وأوردها ابن القلانسي مؤرخ دمشق الذي قال :

« ندب ابن سنان للمسير من حلب الى القسطنطينية رسولا . يستنجد لمحمود على عمه ثمال . ولم يذكر المؤرخون عن صحب هذا الرسول ورفاقه شيئا ، وسكتوا عن كل ما يدور حول الرسالة ، وعن الترجمان ، وعن المسالك والدروب (٥) ولكن التاريخ يعلمنا أن الأمير محمودا صالح عمه (ثمالا) ، واقتسما البلاد بينهما ، فسقطت بذلك سفارة الشاعر (٦) .

وفي احدى قصائد الخفاجي التي بعث بها من هناك الى بعض أبناء عمومته في حلب يقول :

أأغيب عن حلب ثلاثة أشهر	لم تكتبوا فيها الى بلفظة
قلتم شغلنا بالحصار ، وصدنا	ما كان بعدك من (معز الدولة)
لو شئت أهرب مرة من عندكم	ما كانت أقصد غير قسطنطينية

وتدل هذه القصيدة على أن ابن سنان وبعض بني أعمامه انتهزوا فرصة الخلافات السياسية على ملك حلب بين الفاطميين والكلابيين ،

فثاروا ببعض ولايات حلب ، ليقيموا لهم فيها دولة ، ولكنهم غلبوا على أمرهم ، ففر ابن سنان الى القسطنطينية خوفا من أن يفتك به أحد ، ويكون ذلك تفسيرا آخر لهـذه الرحلة وهو الذى أرجحه لأنه يرجع الى شعر ابن سـنان •

وعاد الشاعر ابن سنان ، لا الى حلب ، ولكن الى ولاية صديقه (ابن ملهم) فى طبرية وعكا ، عام ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ هـ •

وفى عام ٤٥٦ هـ توفى صديقه أبو العلاء صاعد الكاتب بانطاكية فرثاه ابن سنان بثلاث مرات نجدها فى الديوان ، وكان يراسل ابن منقذ ، وكان ابن منقذ يأخذ عليه قيامه بالثورة من أجل الملك •

وفى صفر من عام ٤٥٦ هـ يعود ابن سنان الى حلب ويمدح أميرها محمود بن صالح بن مرداس الكلابى ، ويقيم فى ظله ، مؤملا أن يقلده ولاية اقليم من الأقاليم التابعة لدولة حلب ، ولكن الأمـير محمـود ابن صالح لم يفعل ، وبدأ تململ ابن سنان يظهر فى شـعره ، وبدأت الوشـايات تثور حوله • ويعزم على الرحيـل من حلب الى ولاية ابن حمدان عام ٤٥٩ هـ فيرسل قصيدة الى صديقه ابن حمدان يقول فيها فيما يقول :

يظن العـدى أنى مدحتك للغنى ... وما الشعر عندى من كريم المكاسب
أعنى على نيل الكواكب فى العلا ... فأنت الذى صـيرتها من مطـالبى

ويتوسط وزير الأمير محمود بينه وبين ابن سـنان حتى يقلده ولاية « قلعة عزاز » (٢) فى آخـر عام ٤٦٠ هـ ، فأقام بها شـاعرنا الناقد •• ولكن لم يلبث أن شـق عصا الطاعة ، وأعلن اسـتقلاله بالولاية ، ولم يجد الأمير محمود بن صالح شيئا نافعا فى حل هـذه المشكلة الا أن يعمل على قتل ابن سنان بالسم بحيلة من حيل الخداع وكان ذلك عام ٤٦٦ هـ ، فمات ابن سنان وحملت جثته الى حلب فدفن بها ، ومات شهيدا لطموحه •

وهكذا نجد أن الشاعر قد انصرف طيلة حياته الى السياسة ولم يفزع الى الادب وحده ، ولو كان قد فزع لذلك ، وعاش حياته كلها للادب والنقد لكن شيئا رهيبا فى هذا المجال . واذا نظرنا الى كتابه « سر الفصاحة » هالتنا شخصية ابن سنان النقدية واللغوية والأدبية ، فما بالنا لو أن هـذا الشاعر العظيم الذى توفى . عن ثلاثة وأربعين عاما ، كانت حياته كلها خالصة للثقافة والأدب .

ان مؤامرات السياسة وأحداثها فى عصره ، وطموح ابن سنان وآماله العراض ، قد عجلت بالقضاء عليه ، وبموته مسموما .

— ٣ —

وفى وسط هذه الأحداث السياسية ألف ابن سنان كتابه « سر الفصاحة » ، كما ألف كتابا فى اعجاز القرآن سماه « الصرخة » وجمع ديوان شـعره ، وان كان الكثير من شـعره قد ضاع فى هـذه المحنة السياسية .. وكتبه وشعره تدل على ثقافة ابن سنان الأدبية والنقدية الواسعة ، ولا شك أن لتلمذته على أبى العلاء المعرى أثرا كبيرا فى ذلك ويذكر ابن سنان استاذه أبا العلاء فى قصيدته التى رثى فيها جماعة من أهله وأصدقائه ، وأظن أنه نظمها بعد فشل ثورته السياسية الأولى ، فيقول :

ومقيما على المعرة تطويـــ ـه الليالى ، وذكره منشـــور

ويقول الدكتور الدهان : « كان شاعرنا يجوس خلال حلب ، ويلوذ بعلمائها وأدبائها ، ويأخذ عن شيوخها وأساطينها ، وهم بقية العصر العصر الحمدانى الزاهر ، وتلاميذ العباقرة الشيوخ ممن درجوا على هذه البقعة الخالدة : كابن جنى ، وابن خالويه ، والفارابى والمتنبى ، والسلامى ، وأبى فراس ، فالعصر المرداسى خليفة العصر الحمدانى فى كل شىء ، والخفاجى أراد أن يكون خلفـا لهؤلاء النوابغ ، فملأ صدره بالعلم والمعرفة (٨) .

ويقول كذلك عن « سر الفصاحة » : انه دروس جيدة فى النقد الأدبى ، يعدها النقاد من طلائع الكتب الرصينة فى هذا الباب ، ويعترفون لمؤلفه بسعة الاطلاع ، ودقة المعرفة ، وسلامة الذوق ، يعرض لآراء الفحول والقدماء من النقاد ، فيقف لهم ، ويبدى رأيه فيهم ، فيخالف ويوافق ، ويستحسن ويستقبح ، ويورد شواهده من الشعر والنثر فى اختيار رفيع ، يدل على رسوخ قدم ، وقوة بيان ، وأسلوبه فى الكتابة هو أسلوب الفحول فى النثر ، ليس فيه سجع ولا التزام ، انما هو رقيق فصيح بليغ ، كأجمل ما تكون الأساليب النثرية (٨) ، ويكرر ذلك فيقول : ان ابن سنان غدا بكتابه اماما من ائمة النقد الأدبى (٨) .

فكتاب « سر الفصاحة » كتاب جليل ، عظيم الخطر ، كبير الأثر فى بحوث النقد والبلاغة ، مشهور بين العلماء ، مشهود له بالأهمية والابتكار والخلق .

يقول الأستاذ عبد المتعال الصعيدى محقق الكتاب : ان أسلوب ابن سنان فى كتابه أسلوب أدبى علمى ممتاز ، لا يطغى فيه ذوق الأديب على ذوق العالم ، كما طغى فى أسلوب عبد القاهر الجرجانى ، ولايطغى فيه ذوق العالم علىذوق الأديب ، كماطغى فىأسلوب السكاكى(منبعده)، وكان لهذا أثره فيمن حذا حذوه من المتأخرين من علماء البلاغة ، فقد أمعنوا فىطريقته الىأن أخلوها منالذوق الأدبىوجعلوا منكتبالبلاغة ميدانا لجدلهم العلمى ، فقد انصرفوا عن ذلك الأسلوب الأدبى العلمى الممتاز للخفاجى ، متأثرين بمدرسة السكاكى دون مدرسة الخفاجى ، ودون مدرسة عبد القاهر أيضا (٩) . ويقول أيضا ان عبد القاهر ذهب بالشهرة فى علوم البلاغة عند المتأخرين ، دون ابن سنان الخفاجى ، حتى عدوه شيخ البلاغة على الاطلاق فقدر لمدرسته البقاء بينهم ، دون مدرسة الخفاجى ، مع أن أسلوب الخفاجى أقرب الى أسلوبهم من أسلوب عبد القاهر (١٠) .

وفى مقدمة « سر الفصاحة » التى كتبها ابن سنان يقول انه أودع كتابه طرفا من شأن الفصاحة وحقيقتها ، وجملة من بيانها ، مقربا ذلك الى الناظر ، وموضحا اياه للمتأمل (١١) •

والكتاب بحث مفصل فى أسرار الفصاحة والبلاغة ، وقد رجع ابن سنان الى النظرية اللغوية فى البلاغة وهى بلا شك عنده أساس نظريته فى النقد ، فقد تكلم على اللغة والحروف ، وعلى الالفاظ المفردة وصفاتها وأسباب الفصاحة فيها ، ثم على الالفاظ المؤلفة وأسرار فصاحتها ، ثم على المعانى المفردة وما يجب أن تكون عليه فى التأليف ، ليكون الكلام موائما للفكر والمنطق والعقل ؛ وذكر أن الفصاحة مقصورة على الالفاظ بعكس البلاغة فهى وصف للالفاظ مع المعانى ، ووضع المقاييس البيانية الدقيقة لكل شىء ، ذاهبا الى أن تأليف الكلام — أى الأدب — صناعة موضوعها هو الكلام ، مخالفا لقدامة فى « نقد الشعر » الذى ذهب الى أن موضوعها المعانى •• ومن أجل ذلك كله عرض ابن سنان لقضايا بيانية كثيرة ، كما عرض لقضايا لغوية أيضا هى احساس الحركة النقدية •

١ — فهو يذهب الى ضرورة تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج •

٢ — وينقد من يمدح أستاذه المعرى بالغموض ، ولذلك يفصل الكلام فى الوضوح ، ويجعله شرطا فى الفصاحة والبلاغة •

٣ — ويرى ضرورة أن تكون الكلمة غير كثيرة الحروف •

٤ — كما يرى ضرورة اجتناب الحروف المتقاربة فى تأليف الكلام

٥ — وضرورة وضع الألفاظ موضعها حقيقة أو مجازا •

٦ — وضرورة المناسبة بين الألفاظ من طريق الصيغة أو من طريق المعنى •

٧ — ويعرض للحشـــو فى الكلام ، متأثرا فى ذلك بقدامة مبينا ما يعاب منه وما يستحسن ويدخل الايغال فى الحشو وفى حديثه عن المماطلة فى الكلام — سوء التركيب — يفرق بينها وبين مشاكلة النظم بعضه لبعض ، متأثرا أيضا بقدامة •

٨ — ويتحدث ابن سنان عن الاستعارة والكناية ، وعن التمثيل، والتشبيه ، وعن المبالغة فى المعنى واختلاف نقاد الأدب حولها •

٩ — كما يتحدث عن السجع والازدواج واراء النقاد فيهما ، ويستحسن السجع المطبوع ، متأثرا فى ذلك بالجاحظ وبقدامة ، وينقد الرمانى فيما ذهب اليه من ذم السجع وفصاحة الفواصـــل • ويذكر الكتاب المحدثين الذين أكثروا من السجع ، والذين أقلوا منه ، والذين كانوا بين هؤلاء وهؤلاء ••• ويذكر القوافى فى الشـــعر والتصريع ، والتجانس ، وتقارب معنى اللفظين ، وتضاد معنييهما ، هذا هو المطابق عند البلاغيين ، وقدامة يسميه « تكافؤا » ، وينكر ذلك عليه الآمدى •• ويذكر الايجاز ، ويناقش تعريف الرمانى له •

١٠ — ويتحدث عن المعانى وأسباب فصاحتها من مثل : صـــحة التقسيم — تجنب الاستحالة والتناقض — صحة الأوصاف فى الاغراض صحة المقابلة — فى المعانى — صحة التفسير ، وهو فى ذلك متأثر جد التأثر بقدامة •

— ٤ —

وابن سنان يخطىء من يفضل أشعار المتقدمين على شعر المحدثين ويناقش ذلك كله فى تفصيل وقوة •

وكذلك يبين أن منهجه فى النقـــد هو تحكيم ما قدمه فى كتابه من مناهج حول الألفاظ والمعانى ، دون التفات الى تقدم الزمن أو تأخره ، وهـــذا هو مذهب الجاحظ والمبرد والمعرى والمنصفين من النقاد •

ويشرح ابن سنان أن المعنى المبتذل أو الماجن لا يعيب الشعر فى شىء — كما ذهب اليه بعض النقاد — ما دام تأليفه بليغا .

ويبين المناهج الخاطئة لبعض النقاد فى النقد ، من اختيار ما يوافق ذوق الناقد وطبعه ، ومن ايثار الغريب دون المشهور ، ومن عكس ذلك ، ومن استحسان الشعر لأجل قائله .

وهكذا نجد منهج ابن سنان فى النقد قريبا من منهج قدامة ، فى النظر الى اللفظة المفردة ، واللفظة المنظومة المؤلفة فى الكلام ، وفى المناسبة بين الألفاظ من طريق الصيغة ، أو من طريق المعنى ، وفى مسائل كثيرة ، تتصل بالأسلوب والصياغة أو بالفكرة والمعنى ، ويبدو فى ذلك كله ، وبما فيه من الآراء الحافلة فى النقد ، ذا أثر كبير فى الثقافة النقدية والبيانية فى القرن الخامس الهجرى وما تلاه من قرون ، وقد نوه ابن الأثير (— ٦٣٧ هـ) فى أول كتابه « المثل السائر » بالكتاب وبمؤلفه ، وأشاد بهما ، وتأثر بالكتاب فى كثير من دراساته .

ويرجع ابن سنان الى آراء النقد قبله كثيرا : كالجاحظ وابن قتيبة ، وقدامة والآمدى ، وصاحب « الوساطة بين المتنبى وخصومه » وهو القاضى الجرجانى ، والرمانى ، والباقلانى وغيرهم .. ومع ذلك كله فشخصية ابن سنان قوية واضحة فى كتابه : بنقده لما يستحق النقد من الاراء ، وبحسن عرضه ، وجمال تنسيقه ، وقوة حجته وسلامة ذوقه فى النقد .

وثقافة ابن سنان هى من ثقافة المتكلمين ، وأسلوبه فى الجدل قوى واضح ، وهو ينتصر للمتكلمين ، حتى يرى كلامهم دون ما سواه هو الحجة الدامغة .

وهو منصف فى أحكامه الأدبية والنقدية والبيانية ، يعتمد على الحجة والدليل ، ويختبر كل شىء بميزان العقل والتفكير .

واذا كان قد نقد أبا تمام فى قوله

يضحكن من أسف الشباب المدبر

لأن المدبر — فى رأيه — مثل الادبار .. فان ذلك تفكير بعيد وتعليل غير منصف . ولا يقبله ذوق الجمهور .

ويعيب ابن الأثير على ابن سنان طرحه للكلمات الطويلة مثل « المستنشدين » .

ان المنهج العام النقدى لابن سنان مبنى على أساس منهج قدامة ، وكذلك كان الأمر عند ابن رشيق .. ولكن ابن سنان يعتمد على نظرية لغوية فى النقد يرجع اليها ويحكمها ، فاللغة عنده هى الأساس الأول فى الصياغة الاسلوبية ، وهى الميزان السليم فى النقد ، ولابد أن يحتكم ذوق الناقد وطبعه الى جوهر اللغة ، وطرائق تأليفها .

وذوق ابن سنان النقدى ذوق عال رفيع ، يقول ابن سنان :

أجاز لنا فى بعض الأيام شيخنا أبو العلاء بن سليمان (المعرى) قول الشاعر (الحطيئة) :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد

وقال : من حبه لها لم ير تكرير اسمها عيبا ، ولأنه يجد للتلفظ باسمها حلاوة ، فلم ير من الاعتذار للتكرير الا هذا (١١٣) . ثم يقول :

ولم يزل الناس على وجه الدهر منكرين قول امرىء القيس :

الا اننى بالٍ على جمالٍ بالِ يقود بنا بال ، ويتبعنا بال

وهو لعمرى قبيح ، وأن كان عيب هذا الفن — التكرير — الذى لا غاية وراءه فى القبح قول مسلم :

سلت وسلت ، ثم سل سليلها فأتى سليلُ سليلها مسلولا

ولولا أن هذا البيت مروى لمسلم ، وموجود فى ديوانه لكنت أقطع على أن قائله أبعــد الناس ذهنا ، وأقلهم فهما ، وممن لا يعد فى عقلاء العامة ، فضلا عن عقلاء الخاصة ، لكنى أخال خطوة من الوســواس عرضت له وقت نظم هذا البيت فليته لمــا عاد الى صـحة مزاجه ، وســـلامة طبعه ، جحده ، فلم يعترف به ، ونفاه فلم ينســب اليه . وما أضيف هذا وأمثاله الا الى عوز الكمال فى الخلقة ، وعموم النقص لهذه الفطرة (١٣) .

ويقول ابن سنان :

فأما قول أبى الطيب :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا   فلاتحسبنى قلتماقلت عنجهل

فقــد كان الصاحب أنكره على أبى الطيب ، والأمر فيــه على ما قاله ، وهو من ردىء الاستعارة ، وأرى أن الزائد فى قبحه قوله : « حلواء » ، لأن المستعمل فى هذا الفن « حلاوة » .

ويذكر رأى الصــولى فى الاحتجاج لأبى تمام بصحة استعمال أسلوب « ماء الشباب » على صحة استعماله « لمــاء الملام » ، ويقول اثر ذلك : هــذه جملة ما قاله أبو بكر — الصولى — وهى غير لائقــة بمثله من أهــل العلم بالشعر — أى النقــاد — لأن قولهم كلام كثير الماء ، وماء الشباب وقول يونس :

ان الأخطل أكثرهم ماء شعر ، انما المراد به الرونق ، كما يقال ثوب له ماء ، ويقصد بذلك رونقه ، ولا يحسن أن يقال :

ما شربت أعذب من ماء هذا الثوب ، كما لا يجمل أن يقال : ما شربت أعذب من ماء هــذه القصيدة الخ (١٥) .

وهكذا فان كتاب « سر الفصاحة » ، وأن غلب عليه طابع البلاغة ،

فان هــذا الطابع لم يخرجه عن النقــد ، ولم يبعــد به عن مجال الحكم والموازنة والشرح والتحليل والتفسير للحكم الأدبى .

ولا نســتطيع أن نلم بكل ما فى الكتاب من أحكام فى النقــد ، فهو كله مبنى على النقــد ومملوء بنظرياته ، مما يستحيل معه احصاء أثره فى هــذا المجال .

ولنقف هنا ، لنقول فى آخر الأمر : ان « سر الفصاحة » وان كان بحثا عن أصــول الفصاحة والبلاغة ، الا أنه من أروع كتب النقــد العربى ، وأجمعها لأصــوله ، وأشــملها لمذاهبه وتياراته ، وأكثرها مناقشات ، وأحكاما نقــدية ، تستند الى الذوق ، وترجع الى الطبع ، وتستهدى بأحكام الفطرة الأدبيــة الخالصة .

مراجع بحث سر الفصاحة للخفاجى

(١) راجع ترجمته فى ٢٢٢ — ٢٢٥ ج ١ فوات الوفيات ، وقــد نقلت هــذه الترجمة فى مقدمة ديوانه المطبوع بالمطبعة الأنسية — بيروت عام ١٣١٦ هـ (ص ٢ و ٣ من الديوان) ، ونقلها أيضــ مؤلف كتاب « أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشهباء » ص ٢٠١ — ٢٠٤ ج ٤ . وقــد ترجم له بروكلمان وجورجى زيدان وغيرهما . وورد ذكره فى « معجم البلدان » لياقوت عنــد الكلام عن حلب ، كما ورد استطرادا فى « معجم الأدباء » لياقوت أيضــا . وفى صفحة ٣٤٥ من « حلبــة الكميت » للنواجى شــعر له ، وراجع رسالة مخطوطة عن ابن سنان للأســتاذ الدكتور عبد الحميد العبيسى ، وفى مجلة الأزهر عام ١٩٦١ و ١٩٦٢ مقالات عن ابن سنان للدكتور محمد كامل الفقى ، وقــد ظهر كتاب عن ابن سنان وسر الفصاحة — منذ أعوام ، وقد ترجم له الدكتور سامى الدهان فى كتابه « قدماء ومعاصرون » ص ٦٧ — ٨٧ (طبعــة دار المعارف المصرية عام ١٩٦١) ، وترجم صاحب هــذا البحث له فى كتابيه « بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى » (ص ٨ — ٤٠ ج ٢

طبعـــة ١٩٤٩) « والخفاجيون فى التاريخ ص ١٠١ — ١٢٤ — طبعة دار الطبـــاعة المحمدية بالأزهر — بالقاهرة) .

(٢) راجع الرسالة فى ٣٣٣ ج ١ « أعلام النبلاء فى تاريخ حلب الشـــهباء » نقـــلا عن (معجم البـــلدان) لياقوت عنـــد الكلام على (حلب) .

(٣) ص ٣٥ من الديوان .

(٤) ص ٧٤ قدماء ومعاصرون — للدكتور محمد سامى الدهان — طبعـــة دار المعارف .

(٥) ٧٥ و ٧٦ المرجع نفسه .

(٦) ٨١ المرجع .

(٧) بلدة شمالى حلب ، بينهما مسيرة يوم ، طيبة الهواء ، عذبة فيها قلعة حصينة (١٦٧/٦ معجم البلدان لياقوت — ط ١٩٠٦) .

(٨) ص ٧٨ و ٧٩ قدماء ومعاصرون — د. الدهان .

(٩) صفحة د — و — هـ « سر الفصاحة » تحقيق عبد المتعـــال الصعيدى .

(١٠) صفحة ط ؛ ى — المرجع نفسه .

(١١) راجع ص ٣ من كتاب « سر الفصاحة » .

(١٢) ١١٥ المرجع .

(١٣) ١١٦ المرجع .

(١٤) ١٥٤ المرجع .

(١٥) ١٦٣ — ١٦٤ المرجع نفسه .

الكلمة الأخيرة

هذا هو الجزء الخامس من شرحنا على الايضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى المتوفى عام ٧٣٩ هـ وهو يشمل بحوث المجاز والاستعارة والكناية جميعا .

ورغم دقة هذه البحوث وصعوبتها ، فان كتابتنا فيها تعتبر من أوفى ما كتب حولها حتى الآن ، وفى هذه البحوث خلاصة لآراء عبد القاهر فى أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، ولآراء سواه من أئمة البلاغة .

وبعد فانى أحمد الله على توفيقه ، وأسأله السداد والعون والرعاية ، وما توفيقى الا بالله .

محمد عبد المنعم خفاجى
الأستاذ بكلية اللغة العربية

كلمة النــاشر

الايضــاح فى علوم البلاغة

للامام الخطيب القزوينى

كتاب الخطيب : « الايضاح » أهم كتب البـلاغة ، وأحفلهـا بالبحوث والدراسات والآراء والمذاهب •

وهو فوق ذلك أمثل كتب البلاغة أسلوبا ، وأجملها بيانا ، وأوفاها بحثا ، وقــد جمع فيه المؤلف كثيرا من آراء ونظريات المتقــدمين فى البلاغة وخاصة عبد القاهر الجرجانى امام البلاغة ، والسكاكى فيلسوفها المتوفى عام ٦٢٦ هـ •

وكتاب الايضاح هو الكتاب الدراسى المقرر فى شتى كليات اللغة والأدب فى الشرق العربى •

وقــد قام محمد عبد المنعم خفاجى الأســتاذ بكلية اللغة بعمل جليل ، هو شرح الكتاب شرحا جديدا ضافيا ، فى ستة أجزاء كبيرة تبلغ صفحاتها ألفا وستمائة صــفحة ، والتزم طبعه ونشره مكتبة الكليات الأزهرية •

وقــد حرص فى شرحه على تلخيص آراء المتقدمين وتوضيحها ودراستها ونقدها • وأعظم عمل فى هذا الكتاب فوق ذلك : ذكر جميع المصادر والمراجع : وشرح الشواهد ، وذكر مصــادرها ، وموضــع الشاهد فيها ، فوق ما فيه من تحقيقات علمية واسعة وتعليقات فى غاية الأهمية لعلماء البلاغة ودارسيها •

وفى آخر كل جزء من أجزاء هذا الشرح بحوث ضافية ودراسات جديدة فى البلاغة ومؤلفاتها وعلمائها مما لم يسبق اليه أحد •

« النــاشر »

فهرس الجزء الخامس

من كتاب

الايضـــــاح

للخطيب القزوينى

الموضـــوع	الصفحة